الحركة الأباضية في المشرق العربي

نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري

رسالة تقدم بها

مهدي طالب هاشم

إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد جزءاً من متطلبات

درجة ماجستير آداب في التاريخ الإسلامي

كانون الثاني ١٩٧٧

الطبعة الاولى

١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م

الحركة الأباضية في المشرق العربي

نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري

رسالة تقدم بها

مهدي طالب هاشم

إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد جزءاً من متطلبات
درجة ماجستير آداب في التاريخ الإسلامي
كانون الثاني ١٩٧٧

الطبعة الاولى
١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م

دار الاتحاد العربي للطباعة
لصاحبها : محمد عبد الرازق
١٩ كنيسة الأرمن - شارع الجلاء
تليفون : ٩٣٤٠٩٨

أشهد بأن إعداد هذه الرسالة جرى تحت إشرافي في جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات درجة ماجستير آداب في التاريخ .

التوقيع :

المشرف : الدكتور فاروق عمر فوزي

١٠ / ١ / ١٩٧٧

بناء على التوصيات المتوفرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم : الدكتور صالح أحمد العلي

رئيس لجنة الدراسات العليا

في قسم التاريخ

١٠ / ١ / ١٩٧٧

نشهد بأننا أعضاء هيئة المناقشة ، اطلعنا على هذه الرسالة ، وقد ناقشنا الطالب فى محتوياتها ، وفيما له علاقة بها ، ونعتقد بأنها جديرة بالقبول ، بتقدير (جيد جداً ٨٨ ٪) لنيل درجة ماجستير آداب فى التاريخ .

التوقيع :	التوقيع :
الاسم : الدكتورة ميلحة رحمة الله	الاسم : الدكتور عبد الرحمن العانى
التوقيع :	التوقيع :
الاسم : الدكتور فاروق عمر فوزى	الاسم :

صدقت لمجلس كلية الآداب

التوقيع :

عميد كلية الآداب

/ / ١٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى أستاذى الفاضل الدكتور فاروق عمر فوزى على الجهود القيمة التى بذلها معى فى إعداد هذه الرسالة ، ولما كان له من فضل فى اقتراحه وتنبيهه على دراسة هذه المنطقة من وطننا العربى والإسلامى ، كما وأتقدم بجزيل الشكر للأستاذ حسام قوام الدين الذى أعاننى فى تسهيل مهمة البحث ، كما أتقدم بالشكر الجزيل للشيخ محمود بن زاهر الهنائى وأسرة الإمام غالب بن على لتوفيرهم بعض المخطوطات النادرة التى كان لها دور كبير فى البحث ، كما وأثنى على الحاج إبراهيم اطفيش المدير فى دار الكتب المصرية على المساعدات القيمة التى أسداها لى ولا يفوتنى أن أشكر الإخوة العاملين فى قسم التصوير فى دار الكتب المصرية وموظفى قسم المخطوطات . كما وأشكر جميع الإخوة الذين أعانونى فى هذا البحث وأخيراً نبتهل إلى الله العلى القدير أن يهدينا سبيل الرشاد ، هو مولانا عليه توكلنا وإليه نميب .

مضامين البحث

تميز القرن الأول الهجرى بظهور البواكير الأولى للتيارات السياسية فى العالم الإسلامى . وقد أولى الباحثون المحدثون أهمية كبيرة فى دراستهم للأحزاب التى مثلت قوى المعارضة السياسية والعقائدية للدولة الأموية . وبقدر مايتعلق الأمر بالخوارج فقد برزت دراسات ركزت على الناحية السياسية لحركة الخوارج السياسية مثل دراسة فلهاوزن (١) ودراسة الدجيلى (٢) على أن هذه الدراسات اقتصرت بصوره خاصة على القرن الأول الهجرى . ولذلك فإن تطور الحركة الخارجية لاسيما فى القرنين الثانى والثالث الهجريين وما بعدهما تفتقر إلى الدراسات الجادة .

إن هذه الفرق (الخوارج) قد تطورت من الناحيتين العقائدية والسياسية ولا يستطيع الباحث إدراك مدى التعقيد السياسى والعقائدى للحركة الخارجية الخارجية مالم يلاحق تطورها فى القرون التى تلت القرن الأول الهجرى كما أن هذه الدراسات لم تؤخذ بوجهة النظر الخارجية من الناحية السياسية لعدم اعتمادها على مصادر كتبها أو ألفها كتاب خوارج .

كما اتسمت هذه الدراسات بالتأكيد على جانب الأبعاد السياسية العسكرية، ولم تتطرق لدراسة مرحلة الإعداد السرى للدعوات الخارجية .

فنحن لانعرف كيف كان يعمل المحكمة الأول وماتلاهم من الفرق الخارجية

---

(١) انظر على سبيل المثال : فلهاوزن ، يوليوس ، الخوارج والشيعة ، ترجمة ، عبد الرحمن بدوى ، (القاهرة ، ١٩٦٨) .

(٢) الدجيلى ، محمد رضا ، فرقة الازارقة ، (النجف ، ١٩٧٣) .

أن دراسة الدعوات التى اعتمدت على تنظيمات سرية ضرورة هامة من الناحية السياسية لأنها تلق الضوء على عبقريات سياسية مغمورة كانت تدير التنظيمات السرية من وراء ستار ، وتمهد سبيل انتشار أفكارها العقائدية ، ولهذا حاولت إظهار الدور الجماعى لقادة الدعوة الأباضية كل حسب أهميته فى النشاط السياسى ، مؤكدا المواهب القيادية التى تميز بها بعض الأشخاص على البعض الآخر .

إن مثل هـذه الدراسة والعناية بهـا تمكننا من معرفة سير التيارات السياسية وقوى الدفع الحقيقية التى توجه علاقتها وربطها بالتيارات السياسية الأخرى .

أن البحث الذى تتضمنه الرسالة دراسة سياسية تاريخية تلق الضوء على دعوة لاتزال مغمورة هى الدعوة الأباضية فى الفترة المحصورة بين عام ٦٤هـ حتى سنة ٢٨٠هـ / ٦٨٣ — ٨٩٣م . إذ كان لهذه الدعوة دور سياسى فعال فى أواخر عهد الدولة الأموية ، بل أنها كانت أنشط الحركات الخارجية فى العصر العباسى سواء فى المشرق العربى أو فى المغرب العربى ، ولهذا كان من الضرورى دراسة هذه الدعوة من الناحية السياسية لأنها الدعوة الوحيدة المتبقية حتى يومنا هذا ، وقد تركت أثرا كبيراً فى التاريخ السياسى المعاصر لإقليم عمان والخليج العربى . ولهذا لايمكننا دراسة التاريخ السياسى المعاصر لهذه المنطقة مالم ندرس الجذور التاريخية للدعوة الأباضية التى طبعت تاريخ هذه المنطقة بطابعها العقائدى ، وهكذا كان اختيارنا لدراسة الدعوة الأباضية فى المشرق العربى بعد توجيه من الأستاذ المشرف الدكتور فاروق عمر وتأكيده على دراسة هذه المنطقة من وطننا العربى وعالمنا الإسلامى .

لقد جعلنا عنوان الرسالة الدعوة الأباضية فى المشرق العربى من

سنة ٦٤ هـ حتى سنة ٢٨٠هـ لأن هذه الدعوة شملت بنشاطها المغرب أيضاً فى الفترة موضوعة البحث . أما مصطلح المشرق فهو فى هذة الدراسة فعنى به هنا الاصطلاح المحدود الرقعة من الناحية الجغرافية والذى أطلقه أباضية المغرب على الاباضية القاطنين شرق المغرب ويعنون به أيضاً أباضية البصرة وعمان بشكل خاص[1]. وابتدأ البحث من عام ٦٤هـ /٦٨٣م لأن هذا التاريخ يمثل المنعطف الكبير فى تاريخ الحركة الخارجية إذ بدأ الخط المعتدل من المحكمة الأولى بالتبلور رافضاً الأفكار المتطرفة التى طرحها الأزارقة والصفرية وغيرهما من الحركات الخارجية وتمثل هذا الخط بالدعوة الاباضية .

أما اختيارنا لسنة ٢٨٠ / ٨٩٣م نهاية للدراسة التى تتضمنها الرسالة فلأن هذا التاريخ يمثل سقوط الكيان السياسى للأمامة الاباضية الثانية التى أقامتها الدعوة الأباضية بعمان حيث سيطر العباسيون على بعض أجزائها وبدايه وهن أصاب الدعوة الأباضية حتى منتصف القرن الرابع الهجرى .

أما صعوبات البحث التى اعترضتنى فهى تعترض أى باحث فى هذا الموضوع تتمثل بندرة المادة التاريخية عن الدعوة الأباضية أولا ، وندرة المصادر السياسية عن دعوة الأباضيين ثانياً ، ويكفى أن نقول أنه لا يمكن لأى باحث أن يعد دراسة واضحة عن هذا الموضوع فيما لو اقتصر بالاعتماد على كتب التاريخ العام (الحولى) التى اعتاد الباحثون الاعتماد عليها إذ لا تتوفر فيها مادة تاريخية عن هذه الدعوة باستثناء بعض الإشارات الغامضة التى

---

(١) أطفيش ، محمد بن يوسف بن عيسى ، الامكان فيما جاز أن يكون أو كان (الجزائر ، ١٣٠٤ هـ) ص ١١١ . ومعنى هذا التزامنا بدراسة الدعوة الاباضية فى البصرة وعمان وفقاً لهذا المصطلح الجغرافى .

لاتتعدى أسطراً قليلة . ومن هنا فلا بد من البحث عن مصدر آخر لهذه الدراسة فكانت المخطوطات التى ألفها الكتاب الأباضية خير عون لنا فى إعداد هذه الرسالة وهنا تواجه الباحث مشكلة كبيرة وهى التعرف على الأعلام الذين قادوا النشاط السياسى وانتما آتهم القبلية والفترة التى عاشوا فيها ، كما أن هذه المخطوطات لم تقدم عنها دراسات سابقة تقيم الدليل على علميتها ولما كان الباحث مسئولا عن علمية هذه المصادر فلا بد من إجلاء الغموض الذى اكتنف الاعلام الذين ألفوا هذه المصادر .

ولما كانت هذه المصادر مؤلفة من كتب السير والفقه وكتب التاريخ المحلى فقد ظهرت مشكلة جديدة وهى عدم التمكن من تحديد تاريخ ثابت كما هو الحال فى كتب التاريخ الحولى ولهذا السبب ، لم نتمكن من تحديد تاريخ ثابت لنفى الدعاة إلى عمان أو سجنهم من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى . وكان من الصعوبة بمكان تحديد التاريخ الذى دخلت به الدعوة إلى المغرب. كما أن هذه المصادر تقدم لنا معلومات واضحة عن النشاط السياسى للدعوة الأباضية بعد وفاة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمه وخلفه الربيع بن حبيب بن عمرو الفرهودى فى البصرة . وماهو جدير بالذكر أن المصادر العمانية تكاد تسكت فى أخبارها مابين سنة ١٣٥ حتى سنة ١٧٧ للهجره وهى فترة نشط فيها الدعاة الأباضية وأسسوا الكيان السياسى للإمامة الثانية عام ١٧٧هـ / ٧٩٣م سوى بعض المعلومات القليلة التى لاتمكننا من رسم صورة واضحة لتفسير الاحداث والتى شملتها هذه الحقبة من تاريخ عمان السياسى .

لقد اقتصرت دراستنا على الجانب السياسى ، لعدم وجود دراسة فيه من جهة ، ولأن هذه الفرقة قامت على أساس سياسى بحت يتمثل بوجهة نظرها للإمامة الإسلامية ، ثم أن استعراض جميع النشاطات الفكرية والإدارية والاقتصادية يحتاج إلى بحوث طويلة ودراسات مسهبة للاحاطة

بها ولهذا اقتصر دورنا على الجانب السياسى من الأباضية إضافة إلى الأبعاد السياسية لعقيدتهم .

يقع البحث فى سبعة فصول وعدة ملاحق :

تناول الفصل الأول بالدراسة والتحليل المصادر الأصلية التى اعتمدنا عليها فى إعداد هذا البحث ، ذلك لأن المصادر الأباضية أغلبها مخطوطة ولم يتسن للباحثين تقديم دراسات علمية من هذه المصادر ومواردها وهنا تكمن أهمية إفراد فصل خاص لدراسة هذه المصادر فهو يلقى الضوء ولأول مرة على حد علمنا على أهمية المصادر الأباضية وخاصة فيما يتعلق منها بتاريخ عمان فى الفترة موضوع البحث . كما عرفت فى هذه الدراسة بالأعلام الذين ألفوا هذه المصادر مؤكداً أن تاريخ عمان قد كتب ولم تصلنا مصادر نتيجة لانعدام الجهود المبذولة فى استقصاء هذه المصادر المخطوطة فى المكتبات العمانية وحوازتها العلمية ، إذ أن الاجتهاد لازال مفتوحاً لدى علماء الأباضية حتى يومنا هذا وفى مثل هذه الحالة تكثر المؤلفات والبحوث الفقهية ومايتعلق بها من دراسات أخرى تنتظر من يكشف عنها ويعرف بها للباحثين فى تاريخ هذه المنطقة من عالمنا العربى — الإسلامى .

ولما كانت الدعوة الأباضية من الدعوات المغمورة فى تاريخنا العربى والإسلامى من حيث المنشأة أو النشاط السياسى فقط تناول البحث فى الفصل الثانى الجذور التاريخية لنشأة الدعوة الأباضية ، بما فى ذلك تسميتها بالأباضية ، وعلاقة الأباضية بالدولة الأموية ، مؤكدين على الدور الفعال للمنظمة الأباضية السرية فى مرحلة الكتمان والتخفى ودور جابر بن زيد الأزدى (ت ٩٣ هـ) ، وخليفته أبى عبيده مسلم بن أبى كريمة الذى توفى فى خلافة

أبى جعفر المنصور فى قيادة الدعوة الأباضية ، إضافة إلى دور الدعاة الآخرين فى النشاط السرى فى البصرة .

كما أكد البحث فى هذا الفصل الدور الكبير لمدينة البصرة مركز إشعاع الدعوة الأباضية ، فى نشر أفكارها فى عمان والمغرب .

وخلاصة القول إننا تناولنا فى هذا الفصل استعداد الدعوة للظهور بعد بناء نفسها الذى استمر زهاء نصف قرن من الزمان .

وفى الفصل الثالث من الرسالة تناول البحث بدايات النشاط السياسى للدعوة الأباضية فى المشرق العربى ومحاولتهم تأسيس أمامة أباضية فى عام ١٢٩ هـ / ٧٤٦م إلا أن محاولتهم باءت بالفشل بعد أن استمرت لأكثر من سنتين إذ قضى عليها فى عام ١٣٢هـ / ٧٤٩ م . وقد امتدت هذه المعركة لتشمل حضرموت واليمن والحجاز . كما تناول البحث العلاقة الوثيقة بين أباضية البصرة واليمن والحجاز وعمان .

وكانت عمان هى المنطقة الثانية التى أصبحت مسرحاً لنشاط الدعاة الأباضية بعد حضرموت واليمن . ولما كانت هذه الدعوة عميقة التأثير فى تاريخ عمان السياسى فقد أفردنا ثلاثة فصول لدراستها ، تناول الفصل الرابع بداية الدعوة الأباضية نعمان والظروف التى مهدت لقيام الامامة الأباضية الأولى سنة ١٣٢هـ — ١٣٤هـ / ٧٤٩ م — ٧٥١ م . وتناول الفصل الخامس من الرسالة قيام الإمامة الثانية ١٧٧هـ / ٧٩٣ م إذ استطاعت الدعوة الأباضية انتزاع هذا الإقليم من الخلافة العباسية والقضاء على اتباعهم من آل الجلندى الذين أصبحوا قوى المعارضه للدعوة الأباضية فى هذه الحقبة .

وقد تناول هذا الفصل بالدراسة فترة إمامة محمد بن عبدالله بن أبى عفان

والوارث بن كعب الخروصى وغسان بن عبد الله وإمامة عبد الملك بن حميد من بنى على الأزدى حتى نهاية إمامة المهنا بن جيفر اليحمدى الأزدى سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م ، وكانت عمان فى هذه الحقبة قد نعمت بالهدوء النسبى والاستقرار السياسى كما كانت من الدول البحرية المهابة الجانب ، وقد درسنا فى هذا الفصل قوى المعارضة السياسية للإمامة الأباضية وعلاقة الإمامة الأباضية بالدولة العباسية .

وفى الفصل السادس تناول البحث بداية الضعف والوهن للإمامة الأباضية بعد إمامة الصلت بن مالك ٨٥١/٢٣٧ م حتى سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨م إذ كانت هذه الإمامة قد ازدهرت سياسيا فى مطالع إمامة الصلت بن مالك ثم بدأت بعدها الحرب الأهلية التى أدت إلى سقوط الإمامة الاباضية وعودتها إلى حضيرة الخلافة العباسية سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م .

وقد أكدنا على الأسباب الرئيسية التى أدت إلى زوال هذه الإمامة التى دامت أكثر من مئة عام .

وتناول البحث فى هذا الفصل السابع من الرسالة الأبعاد السياسية لنظرية الإمامة الأباضية وفى هذا الفصل يكون سر من أسرار بقاء وديمومة الدعوة الأباضية ونجاحها السياسى فى حين اختفت بقية الحركات الخارجية .

أما الملاحق : فهى تدعم البحث المقدم فى فصول الرسالة من الناحية العلميه ، وتناول الملحق الأول ، ببليوغرافيا وصلتنا من القرن الثامن الهجرى تقيم الدليل على ازدهار التراث الفكرى للأباضية ، ومن ناحيه أخرى تؤكد علميه الروايات التى اعتمدنا عليها فى إعداد هذا البحث .

وفى الملحق الثانى : دراسة لرسالة الإمام الأباضى أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة وهى تقيم الدليل على وجود اتصالات سرية بين الدعوة الأباضية بالبصرة والمغرب .

ويتعلق الملحق الثالث بأسماء حملة العلم الاباضية الذين انطلقوا من البصرة لنشر الدعوة الأباضية بعمان .

الفصل الأول

نقد وتحليل المصادر

رغم أن الدعوة الأباضية كانت من أهم الحركات الخارجية المعارضة للخلافتين الأموية والعباسية إلا أنها لم تلق عناية من الباحثين مثلما لقيت الحركة الخارجية عموما على يد بعض المؤرخين[1] والباحثين المحدثين[2].

وقد اقتصرت هذه الدراسات على القرن الأول الهجرى بصورة خاصة، لسهولة البحث فيها وتيسر مصادرها. فى حين ترك الباحثون دراسة الاباضية فى المشرق العربى وعمان خاصة فيقول الدكتور فاروق عمر مثلا «لازال تاريخ عمان، الوسيط منه والحديث على حد سواء، غير مكتوب... فلم يكتب المؤرخون عن هذا التاريخ إلا فى النادر، وربما كان ذلك يعود إلى جملة أسباب نذكر منها: عدم توفر مادة تاريخية أو وثائقية كافية[3]».

ويشكو نيلينو قلة المعلومات المتوفرة «عن مذهب الاباضية الأول فى الأجزاء الشرقية من بلاد الخلافة[4]».

---

(١) فلهاوزن، يوليوس، الخوارج والشيعة، ترجمة عبدالرحمن بدوى. (القاهرة، ١٩٦٨).

(٢) الدجيلى، محمد رضا، فرقة الأزارقة، (بغداد، ١٩٧٣).

(٣) د. عمر فاروق، ببليوغرافيا فى تاريخ عمان، مجلة المورد، مج ٣، ع ٤ (بغداد، ١٩٧٤) ص ٢٧٥.

(٤) مجموعة من المستشرقين، والتراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ترجمة عبد الرحمن بدوى، ط ٣ (القاهرة، ١٩٦٥) ص ٢٠٩.

ولهذا كان الجهد كبيراً فى الحصول على معلومات تاريخية تكشف لنا تاريخ الدعوة الأباضية فى المشرق العربى وخاصة إذا عرفنا أن كتب التاريخ العام لا تشير إلا إلى الحركات المشهورة التى تشكل خطرا على السلطة المركزية كالحركة الاباضية التى شملت حضرموت واليمن وامتدت إلى الحجاز فى سنة ١٣٠هـ / ٧٩٤ كما لاحظنا البلاذرى والطبرى والأزدى يتكلمون بإسهاب عن حوادث هذه الحركة ، ولكن هذه المصادر لا توجد فيها سوى إشارات لا تتعدى أسطراً قليلة عن تاريخ الدعوة الأباضية فى أطراف الخليج العربى الشمالية والغربية كالبصرة وعمان فكان لابد من البحث عن مصادر جديدة لتوضيح الغامض من تاريخ هذه الدعوة فكانت كتب التاريخ المحلى خير عون لنا فى إظهار ما خفى من نشاط سرى وتوضيح المبهم فيما له علاقة ببحثنا .

ولما كانت أغلب هذه المصادر مخطوطه لذا سنقدم نقدا وتحليلا لطبيعة هذه المصادر وقيمتها العلمية كل حسب أهميتها وفائدتها للبحث الذى بين أيدينا .

آ — التاريخ المحلى .

١ — مخطوطة كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، لسرحان بن سعيد الأزكوى « مات فى القرن الحادى عشر الهجرى /الثامن عشر الميلادى »

تعقيب :

الشيخ المؤرخ سرحان بن عمر بن سعيد الأزكوى فى القرن الثانى عشر الهجرى . حيث وقف بتاريخه فى كتابه كشف الغمة حتى نهاية زعيمى الفتنة وهما الوصيان محمد بن ناصر الغافرى وخلف بن مبارك (الملقب بالقصير) الهناقى وكانت وفاتهما سنة ١١٤٠ هجرية .

لم تجر لحد الآن دراسة علمية لتقييم المادة التاريخية لهذه المخطوطة باستثناء الدراسة المختصرة للدكتور فاروق عمر وهو أول من نبه إلى أهمية هذه المخطوطة فى دراسة التاريخ المحلى لعمان[١] .

والمخطوطة التى نتكلم عنها هى المخطوطة المصورة الموجودة بمكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد[٢] . تقع المخطوطة فى أربعين باباً تتضمن التاريخ المحلى لعمان بصورة خاصة ، كما تشمل بعض الأبواب على سير علماء الاباضية وعقائدهم . وتقع المخطوطة فى ٤١٠ أوراق أى ٨١٩ صفحة تبدأ المخطوطة « بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله الذى رفع السماوات بغير عمد وبناها[٣] » ويلتهى الكتاب بالعبارة التالية « ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم... فإنى لست بأهل للتصنيف.. والحمد لله رب العالمين... وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً»[٤] .

أما فيما يتعلق بمنهج الكتاب بشير الازكوى بقوله « قد دعتنى الحاجة إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه وتلخيص معانيه وتصنيفه وأن لم أكن أنا للتأليف أهلا وذلك لما رأيت أكثر أهل زماننا قد غفلوا عن أصل مذهبهم الشريف، وقد رغبت أنفسهم عن قراءة الكتب التى أصلها السلف[٥] » .

---

(١) د . عمر فاروق ، ببلوغرافيا فى تاريخ عمان ، مجلة المورد ، مج ٣ ، ع ٤ ص ٢٧٦ .

(٢) مخطوطة مصورة بالفوستات تحت رقم ٢٠٠٥ - نفس المخطوطة مصورة

(٣) الازكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٢ أ

(٤) المصدر السابق ٤١٠ أ .

(٥) كشف الغمة ٢ أ .

ويظهر من نص الازكوى إشارة إلى وجود كتب السلف التى اعتمد عليها ولخص معانيها .

وهنا تظهر القيمة العلمية لهذه المخطوطة التى اعتمدت على مصادر مخطوطة فى مادتها ، ومما يؤسف له أن الأزكوى لايرجع الفضل إلى أهله فلم يشير من قريب أو بعيد إلى المصادر التى قام بجمع مادته منها دون جهد كبير[1] . وقام بنسبة الكتاب إلى نفسه ويحق له ذلك ، ولكن لايحق له أن يقول لنا فى مقدمته وكأنه ابتدع أسلوباً أدبياً جداً فى كتابه التاريخ لجعل كتابه ظاهرة فى القصص والأخبار ، وباطنه فى المذهب المختار ، لأن الناس لقراءة الأثر لايستمعون ، ولاستماع القصص عن اللغو يتبنون فلت إلى رغبتهم لكى يكونوا مستبعين[2] .

وعند المقارنة بين المصادر التى اعتمد عليها الازدكوى وجدنا أنه لم يضف إلى الأخبار ولم يصغها صياغة قصصية كما زعم فى مقدمته . ولبيان ذلك سنتناول بعض هذه الأبواب التى نقلها الأزكوى كاملة دون أن يضيف إليها شيئاً اللهم إلا استعمال مرادفات لتعطى نفس معانى الكلمات التى غير شكلها ولنبدأ معه على سبيل المثال من الباب الرابع ، وموضوعه فى انتقال الأزدكوى إلى عمان وإجلاء الفرس عنها .

فبعد إجراء مقارنة بين ما كتبه فى هذا الباب بما كتبه العوتبى فى مخطوطة

---

(١) ولهذا احتمل الدكتور فاروق عمر أن إحدى مصادر الكتاب الروايات الشفوية ، انظر مجلة المورد ، مج ٣ ، ع ٤ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٧٥ .

(٢) كشف الغمة ورقة ٢ ب — مع أنه يختتم كتابه باعترافه بأنه ليس أهلا للتصنيف (ورقة ٤١٠ أ) .

أنساب العرب وجدنا أن الأزكوى نقل حرفياً من العوتبى . وعلى سبيل المثال ورود النص الآتى بمخطوطة الأنساب « وكانت الفرس فى السواحل والشطوط وكانت الأزد ملوكا فى البادية وأطراف الجبال فانحاز منهم مالك إلى قلهات[١]» نقله الأزكوى بالشكل الآتى « فكانت الفرس فى السواحل وشطوط البحر والازد ملوكا فى البادية والجبال وأطراف عمان[٢]» .

وفى الباب السابع والعشرين نقل الأزكوى رسالة لعبد الله بن أباضى[٣]. من كتاب (جامع السير فى تراجم العلماء)[٤] .

---

(١) العوتبى — سلمة بن مسلم الصحارى ، أنساب العرب ، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٢٤٦١ تاريخ) . ورقة ١٨٦ ب .

(٢) كشف الغمة ورقة ٢٨ ب . ويمكن القول أن الأزكوى نقل الباب الرابع من كتابه عن العوتبى ولتعزيز رأينا انظر الأمثلة الآتية .

١ — نقل مقاطع شعرية مطلعها .

« تحن إلى أوطانها أبل مالك ومن دونها عرض الفلا والدكادك »

انظر العوتبى ورقة ١٨٥ ب ، كشف الغمة ورقة ١٩ ب .

٢ — « ثم سار من فوره ذلك يريد عمان لجعل لا يمر بقبيلة من قبائل العرب من معد وغيرهم من اليمن إلا سالموه » العوتبى ورقة ١٨٥ ب — نقل الأزكوى النص بالشكل التالى « ثم سار يريد عمان فكان لا يمر بحى من أحياء العرب من معد ولا عدنان إلا سالموه » كشف الغمة ورقة ١٩ ب .

وبهذا يتضح لنا أن الأزكوى نقل هذا الباب محرفا الالفاظ دون المعنى للمقارنة أكثر انظر العوتبى ١٨٥ م — ١٨٦ ب والأزكوى ١٩ أ — ٢٨ ب .

(٣) انظر كشف الغمة من ورقة ٢٠٠ أ — ٢٠٧ أ .

(٤) مخطوطة فى مكتبة الإمام غالب بن على فى الدمام بالمملكة العربية السعودية وقد حصلت على هذه الرسالة مصورة بالفوستات عن النسخة الأصلية بمكتبة الإمام غالب بن على بالدمام . حيث جمعت كل هذه السير .

كما يحتمل أنه نقل هذه الرسالة من (كتاب الجواهر المنتقات فى إتمام ما أخر بـ كتاب) الطبقات[1] للبرادى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى، وتكمن أهمية هذه الرسالة فى تحديد الفترة التى عاش فيها عبد الله بن أباض التميمى الذى نسبت إليه الفرقة كما أنها تحدد طبيعة العلاقة السياسية بين الأمويين والأباضية ونظراتهم فى طبيعة الحكم الإسلامى فى صدر الإسلام[2].

كما تناول الأزكوى فى الباب الثامن والعشرين والتاسع والعشرين جوانب من الفكر الأباضى السياسى وموقفهم من الفرق الإسلامية الأخرى وأغلب الظن أنه اعتمد فى هذا الباب على كتاب البسيوى المرسوم بـ « أصل ما اختلفت فيه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم[3] .

وفى الباب الحادى والثلاثين تناول الأزكوى الأئمة الذين باعوا أنفسهم لله من أئمة الأباضية وقد انفرد الأزكوى بالقول بوجود صلة بين أبى بلال مرداس وجابر بن زيد واعتمد فى ذلك على روايات أبو سفيان محبوب بن الرحيل من هبيرة القريشى[4] .

---

(١) البرادى ، أبو القاسم ، محمد بن إبراهيم ، الجواهر المنتقات فى إتمام ما أخل به كتاب الطبقات ، (قسطنطينية الجزائر ، ١٣٠٥ هـ) طبعة حجرية. رقم الكتاب بدار الكتب المصرية (١٥٨٤٣ ح) انظر للمقارنة الصفحات ١٥٦ — ١٦٧ .

(٢) انظر الفصل الأول من الرسالة .

(٣) البسيوى ، أبو الحسن على بن محمد ، أصل ما اختلف فيه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ، مخطوطه بمكتبة الإمام غالب بن على ، ضمن كتاب (جامع السير فى تراجم العلماء) .

(٤) كشف الغمة ورقة ٢٦٦ ب .

ولعل الأزكوى اعتمد فى هذا على كتاب الدرجنى المرسوم بطبقات الاباضية أو ربما وقع فى يديه كتاب السير للشماخى والمعلوم أن كلا من الدرجينى والشماخى اعتمدوا على روايات أبو سفيان محبوب بن الرحيل[١].

فعلى سبيل المثال أن الازكوى أخذ مادته التاريخية فيما يتعلق بأخبار أبى الحر بن الحصين أحد شيوخ الاباضية واعتقاله بأمر مروان بن محمد الثانى من كتابى الدرجينى والشماخى[٢].

ومما هو جدير بالذكر أن الازكوى قد حرف كثيرا فى خطبة أبى حمزة التى ألقاها بالمدينة . مستعملا أسلوب السجع الذى لم يكن يستعمل فى بداية القرن الثانى الهجرى فأفقد الخطبة قوتها البلاغية ومما أدخله على هذه الخطبة قوله على لسان أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى قوله : « واجتنبوا القبائح واقبلوا النصايح ، واذكروا اسم الله على الذبايح[٣]» .

إلى آخر ما أضافه الأزكوى إلى هذه الخطبة . كما أن هناك بعض الأخطاء التاريخية وقع فيها الأزكوى فهو يشير إلى خروج عبد الله بن يحيى الكندى سنة ٩٠ هـ بدلا من سنة ١٢٩ هـ[٤]. ومما يؤاخذ على الأزكوى وهو عربى

---

(١) ينظر نقد وتحليل كتب التراجم والسير من هذا الفصل .

(٢) ينظر للمقارنة ، كشف الغمة ورقة ٢٧١ ب — الدرجينى ، أبو العباس أحمد ، طبقات الاباضية ، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١٢٥٦١ ح) ورقة ١١٣ أ — الشماخى ، أبو العباس أحمد بن سعيد ، كتاب السير الاباضية ص ١٠٠ .

(٣) انظر كشف الغمة ، ورقة ٢٧٦ أ .

(٤) كشف الغمة ، ورقة ٢٧٦ أ .

عمانى نقله للأحداث التى تمجد بالفرس والبربر التى طغت على كتب السير السير المغربية دون مناقشتها[1] وأخذها إخذ مسلمات واقعة لأن كتابها من

تعقيب :

الأحاديث التى وردت فى فصل الفرس والبربر أحاديث نبوية صحيحة رواها أئمة الحديث كالبخارى ومسلم وأحمد وأبو نعيم وغيرهم من طرق كثيرة وهذه الأحاديث لاتدل على تمجيد العنصرين الفارسى والبربرى على العنصر العربى كلا والله . وإنما تشير إلى ظهور رجال من الفرس يحملون لواء الدفاع عن الدين الإسلامى ، وقد حمل الأباضية تلك الأحاديث على ظهور الأئمة الرستميين . لما امتازوا به من استقامة وعدالة ونزاهة فى الحكم وقد شهدت بذلك الكتب التاريخية قاطبة وأشادت بعدلهم وسلوكهم الإسلامى ، وكذا القول فى البربر الذين عرفت عنهم الاستقامة والجهاد والتضحية لأجل إعلاء كلمة الله . ولنشر الدعوة الإسلامية .

فلا يكون هناك لبس أوريب فى صحة هذه الأحاديث .

---

(١) ومن الأحاديث الموضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب المغاربة ونقلها الأزكوى حديث الرسول الذى أوصى فيه بالبربر قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « جاءنى ـ جبرائيل ـ وقال لى يامحمد أوصيك بتقوى الله والبربر ... » كشف الغمة ورقة ٢٨١ ب .

كما نلاحظ نقل الأزكوى مثل هذه الأحاديث التى تمجد بالعنصر البربرى حديث موضوع على لسان الخلفاء الراشدين « قال على بن أبى طالب يا أهل مكة وأهل المدينة أوصيكم بتقوى الله وبالبربر خيراً فانهم سيأتونكم بدين الله من المغرب بعد ما تضيعونه هم الذين ذكر الله فى كتابه « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ... الآية » . . قال البكرى ... وهو راوية الحديث ـ فمن حين ما وقعت الفتنة إنما نقاتل نحن العرب على الدينار والدرهم ، أما البربر فإنما يقاتلون على دين الله » كشف الغمة ورقة ٢٨٢ أ . نقله عن الدرجينى ، طبقات الأباضية ورقة ٩ أ .

إخوانه في المذهب الأباضي في المغرب [1] .

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين الدعوة في البصرة ودعاة الغرب أو كما يسميهم الأباضية (حملة العلم) فان الازكوى نقل أخباره حرفيا عن كتاب الدرجيني طبقات الأباضية . وربما اعتمد كذلك على كتاب السيرة وأخبار الأمة لأبي زكريا الورجلاني [2] .

أما فيما يتعلق بتاريخ عمان في الحقبة الإسلامية فقد شمل الباب الثالث والثلاثين حتى الثامن والثلاثين وهنا تكمن أهمية أخبار الأزكوى فيما يتعلق بتاريخ الأباضية الأساسي في عمان في الفترة موضوع البحث . فقد اعتمدت عليه في دراستي للإمامة الأباضية الثانية بعمان بشكل خاص والتي شملت الفترة مابين ١٧٧ هـ - ٢٨٠ هـ - لأنه ركب هذه الأخبار بشكل يشبه التاريخ الحولي ومما يلاحظ على رواياته في هذه الحقبة الاختصار الشديد فقد كتب لنا عن أخبار إمامة عبد الملك بن حميد الأزدي ماده لاتتعدى التعريف به وبعد له بعمان وهي مادة لاتتعدى السبعة أسطر لاتمكن الباحث من دراسة أحداث خمسة عشر عاماً وهي الفترة التي حكم بها هذا الإمام [3] .

عن موارد أخباره في هذه الحقبة فانه اعتمد أساساً على مجموعة من

---

(١) بما أن العقيدة الإسلامية لاتقيم لعنصريات الدم وزنا لأنها جعلت الإسلام الهوية الأساس للأمة الإسلامية ، فكان عليه عدم الأخذ بهذه الأحاديث التي وضعت تقرباً لحكام الدولة الرستمية الذين كانوا من أصل فارسي وأرادوا أن يرفعوا منزلتهم في الإسلام على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) قارن ، كشف الغمة ورقة ٢٨٣ أ مع الدجيني ، طبقات الاباضية ١ ورقة ١٠ أ . أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة ورقة ٢ ا .

(٣) كشف الغمة ورقة ٢٣١ ب .

المخطوطات العمانية الأصلية ، كمخطوطة الأنساب للعوتبي[1] ومخطوطة أبي المؤثر الأحداث والصفات[2]. ومخطوطة البسيوى الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان[3] . ومخطوطة الرقيشى ، مصباح الظلام[4] ومخطوطة الشيخ أبي قحطان خالد بن قحطان . الموسومة بسيرة أبي قحطان[5] .

---

(١) انظر للمقارنة :

العوتبي أنساب العرب ، ورقه ١٦٨ ب كشف الغمة ، ورقة ٢٢٨ ب .

المصدر السابق ، ورقة ١٦٩ ب ، كشف الغمة ، ٢٢٩ ب .

المصدر السابق ، ورقة ١٦٥ أ ، ب كشف الغمة ٢٣٣ ب فما بعد وقد نقل الأزكوى معلوماته عن العوتبي مختصراً وناقلا فى بعض الأحيان .

(٢) أبو المؤثر — الصلب بن خميس ، من علماء القرن الثالث ، الأحداث والصفات نقل الأزكوى بعض أخباره عن الصلت بن مالك عن طريقه . انظر للمقارنة أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ورقة ٩ وكشف الغمة ٢٣٣ أ

(٣) البسيوى ، محمد بن على ، الحجة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان . ورقة ٢١ فما بعد . أخذ عنه الأزكوى عبارات صاغها بأسلوبه الخاص انظر كشف الغمة ٢٣٣ ب .

(٤) الرقيشى ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الحسن . مصباح الظلام مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٩٠٥٤٢ب ورقة ٢٦ أ . — كشف الغمة ورقة ٢٣٠ ب. قارن أيضا بين مصباح الظلام ورقة ٢٦ ب و ٢٧ أ . وكشف الغمة ورقة ٢٣١ ب و ٢٣ أ .

(٥) انظر كشف الغمة حيث يشير إلى إطلاعه على سيرة الشيخ أبي قحطان خالد بن قحطان ورقة ٢١٣ أ . ومن مقارنة المصدر المتوفر لدينا يظهر ان أبا قحطان خالد بن قحطان من علماء القرن الثالث والرابع الهجريين . وقد عاصر الأحداث التى وقعت فى زمن الصلت بن مالك وأمدت إلى سقوط الإمامة الأباضية الثانية سنة ٢٨٠ هـ لا سيما وأنه وقد ورده ذكره فى سيرة البسيوى ، من علماء القرن الخامس الهجرى انظر الحجة على من أبطل السؤال ورقة ٢٠ .

ومن هذه الدراسة المختصرة يتبين لنا الجهد الذى بذله الأزكوى فى جمع أخباره التى ألفت هذا الكتاب وقد لمح لنا الأزكوى عن موارد أخباره فهو يقول « ولقد طالعت الكتب الكثيرة وسألت أهل الخبرة فلم أقف على علم ذلك »[1] أو كقوله ووقفت على كتاب مسطور أن سبب هذه الوقعة[2] ، أقول رغم هذه الإشارات فان الأزكوى كان من الواجب عليه أن يشير إشارة صريحة إلى المصادر التى اعتمدها .

ومن هذا كان اعتمادنا على الأزكوى كبيراً فى إعداد هذه الرسالة بعد أن تبين لنا صحة موارد أخباره وأصالتها التاريخية ومع أننا اقتصرنا فى دراسة موارده فى الفترة موضوعة البحث فلا شك أنه بذل جهداً كبيراً فى الاطلاع على مصادر أخرى للحقبة التى تلت سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م إذ أن أخباره عن إقليم عمان استمرت حتى سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م - ١٧٢٨ م . ومن هنا تأتى أهمية هذه المخطوطة[3] فى استعراض تاريخ عمان استعراضاً شاملا .

٢ — من كتب التاريخ المحلى التى اعتمدنا عليها فى إعداد البحث بشكل كبير هو كتاب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان لمؤلفه نور الدين عبد الله ابن حميد السالمى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م وتظهر قيمة الكتاب رغم أنه من المصادر المتأخرة جداً ، بالجهود التى بذلها السالمى بمراجعته لمجموعة كبيرة من السير العمانية الأصلية كتبها علماء الأباضية كل منهم يمثل اتجاها

---

(١) كشف الغمة ورقة ٣٤٤ ب .

(٢) كشف الغمة ورقة ٣٤٧ ب .

(٣) يقوم أحد الطلبة العرب بدراسة وتحقيق هذه المخطوطة لنيل درجة الدكتوراة من جامعة مانجستر . وحيث علم أستاذى المشرف بنية الطالب المذكور توقف عن تحقيق هذه المخطوطة الكبيرة حيث كان قد بدأ فعلا بتحقيقها .

سياسياً فى موالاته لبعض الأئمة ، كما أن السالمى حين ينقل من هذه السيرة لايحرف فيها كما فعل الأزكوى ونستطيع القول باطمئنان أن السالمى نقل فى كتابه سير كاملة دون أن يحذف منها أو يضيف عليها ، ومن هنا تأتى قيمة روايات السالمى فمراجعة هذه الروايات تعنى الاطلاع على مخطوطات لم نستطع الحصول عليها وصلتنا عن طريق السالمى ولذلك اعتبرنا كتاب السالمى من المصادر الأصلية وفيما يلى بعض هذه الأمثلة التى تدل على أن السالمى لم يحرف فى نقله لهذه المخطوطات[1] .

وقد أشار السالمى فى مقدمة كتابه إلى اطلاعه على هذه السير يقول : « فتتبعت ماأمكننى تتبعه من كتب السير والآثار والتواريخ »[2] .

كما يشكو من ندرة المادة التاريخية « إذ لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية »[3] ومع شكوى السالمى من ندرة المعلومات التاريخية فإن الجهد الذى بذله فى استقصاء المصادر واعتماده

---

(١) قارن بين سيرة أبى المؤثر الصلت بن خميس ورقة ٢ ، والسالمى تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ٢٠٨/١ ، أبو المؤثر ورقة ٨ ، السالمى تحفة الأعيان ٢٠٠/١ . قارن بين العوتبى ، أنساب العرب ، ورقة ١٦٣ أ — السالمى . تحفة الأعيان ٢٣٣/١ .

كما نقل السالمى عن سيرة الشيخ أبى قحطان خالد بن قحطان . انظر السالمى تحفة الأعيان ٢٠٢/١ ،

كما اعتمد على كتاب للفضل بن الحوارى وكان معاصراً للامامة الإباضية الثانية وهو يمثل وجهة الجماعة الموالية لإمامة راشد بن النظر .

انظر السالمى تحفة الأعيان ٢٢٧/١ .

(٢) السالمى ، تحفة الأعيان ٤/١ .

(٣) المصدر السابق .

على روايات تمثل وجهات أطراف النزاع فى الفترة موضوعة البحث فى تاريخ عمان عمل يذكر فيشكر . ومما يؤاخذ على السالمى أنه لا ينقد الروايات التى اعتمد عليها فى تأليف كتابه ولا يميز بين صحيحها وسقيمها[١].

٣ — ومن كتب التاريخ المحلى : التى تتعلق بتاريخ عمان فى الفترة التى نشأت فيها الإمامة الأباضية هو كتاب (الفتح المبين فى سيرة السادات البوسعيديين) ويتضح من عنوان الكتاب أنه عالج فترة حكم البوسعيد لعمان الذى بدأ فى سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤٢ م .

مؤلفه حميد بن محمد بن رزيق من علماء القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ، عاش فى حدود ١٢٥٠ هـ ١٨٣٥ م[٢].

تظهر قيمة الكتاب فى معالجته لتاريخ القرن الثامن عشر ١٨ و ١٩ الميلاديين بصورة خاصة أما قبل هذه الفترة فرواياته مختصرة جداً . فيما يتعلق

---

(١) انظر على سبيل المثال روايته التى تتعلق بانتخاب الإمام وارث بن الخروصى . تحفة الأعيان ١/١١٥ .

(٢) معلومات شفوية عن الشيخ محمود بن زاهر الهنائى من عائلة الإمام غالب ابن على إمام الأباضية الحالى ، القاهرة ١٣/١١/١٩٧٥ .
وللمؤلف كتب خرى موجودة فى مكتبات انجلترا .
١ — السيرة القحطانية فى ثلاث مجلدات ضخمة .
٢ — قصيدة بائية وعليها شرحه تقع فى حوالى ٢٠٠ صفحة تبدأ بذكر الإمام الجلندى بن مسعود وتنتهى بذكر الإمام سلطان بن مرشد آخر أئمة اليعاربة .

يبحثنا فيبدو أنه اختصر معلوماته من كتاب (كشف الغمة) لسرحان بن سعيد الأزكوى أو من مصادر أخرى اطلع عليها ولهذا فأخباره عن أئمة عمان فى الفترة موضوعة البحث مقتضبة جدا وقد لا تتعدى فى بعض الأحيان ذكره لوفاة الإمام ومدة حكمه[1] . ولا بد من الإشارة إلى أهمية مقدمة المترجم إلى الهوامش التى وضعها والتى تزيد من قيمة الترجمة .

(ب) كتب الطبقات : ومن المصادر التى اعتمدنا عليها فى إعداد هذا البحث كتب الطبقات الأباضية ونشاطاتها فى نشر الدعوة الأباضية فى المغرب والمشرق .

ومن هذه الكتب :

١ — ومن أهم هذه المصادر كتاب الدرجينى (المتوفى فى حدود القرن السابع الهجرى المرسوم بطبقات الأباضية ، ولا زال الكتاب مخطوطا يقع فى ٢٧١ ورقة من الحجم الكبير قصد الدرجينى من تأليف كتابه ليتعرف الأباضية على مناقب السلف والأخبار وسيرتهم الصالحة ، وقد رتب الكتاب

---

(١) ترجم الكتاب ونشر من قبل جورج بيرسى باجر باللغة الانكليزية
History, of the Imams and seyyids of Oman. from 661 A.D. London, 1871.
وقد خطأ المترجم فى اسم بن رزيق وسماه سليل بن رزيق بينما اسمه الأول حميد .

(٢) الدرجينى ، أبو العباس أحمد ، طبقات الأباضية ، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١٢٥٦١ ح) ، نسخة من مجلدين مصورة بالفوستات عن الأصل المحفوظ بالخزانة التيمورية تحت رقم (٢٦٧٢ تاريخ) تاريخ نسخ المخطوطة الخامس من شوال سنة ٩٩٧ للهجرة قام بنسخها بخط مغربى عبدالرحمن ابن يحيى بن عبد الرحمن .

على أساس ذكر كل طبقة من رجال الأباضية خلال خمسين عاما ويستمر فى تراجمه لرجال المذهب الأباضى خلال خمسين عاما ويستمر فى تراجمه لرجال المذهب الأباضى المغاربة منهم خاصة حتى بداية المئة الأولى من القرن السابع الهجرى، فهو بلا شك من أهم المصادر عن تاريخ الأباضية بالمغرب العربى .

وتكمن أهمية هذة المخطوطة بالنسبة لبحثنا فى جانبين :

الأول : أن الدرجينى اعتمد فى ترجمته لرجال الأباضية فى الخمسين سنة الثانية والثالثة بعد الهجرة على رواية أباضى من المشرق وهو أبو سفيان محبوب ابن الرحيل الذى عاصر الدعوة فى مرحلة الكتمان فى البصرة ، وكان من أبرز علماء الأباضية الذين ألفوا فى السير[1] ، وبهذا يكون اعتمادنا على رواياته

---

(١) قال عنه الدجينى فى طبقاته (محبوب بن الرحيل ... وممن يسبق إلى تخليد سير السلف الأخيار ... وجمع فى سلك واحد بين غرائب الفقه وعجائب الأخبار) الدرجينى ، ورقة ١/١١ أ .

ومما يقيم الدليل على وجود كتابة هذا أن البرادى قد ذكر فى رسالته التى ذكر فيها مؤلفات علماء الأباضية المشارقة من أهل عمان والبصرة يقول البرادى (كتاب أبى سفيان يشتمل على الأخبـــار والفقه والكلام والعقائد وقال الإمام : أفلح رضى الله عنه عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة لا سيما كتب أبى سفيان يشتمل على الأخبار وعهده الذى كتب فيه إلى الإمام عبد الله بن يحيى الكندى) .

البرادى ، رسالة البرادى ، فى الإشارة إلى الكتب التى ألفها المشارقة من علماء الأباضية . ضمن كتاب تبين أفعال العباد ، ورقة ٢٠٦ ب وقد حفظ لنا العهد الذى كتبه أبو سفيان إلى (طالب الحق) الجيطالى . إسماعيل بن موسى ، (ت، ٧٥٠ هـ) قناطر الخيرات القسم الأول (القاهرة ، ١٩٦٥) ص ٢٧٨ — ٢٨٩ .

عن الدعوة الأباضية فى البصرة فى مرحلة الكتمان اعتماداً على داعية عاش النشاط السرى واطلع على أخباره عن قرب ، وخاصة فيما يتعلق بنشاط جابر ابن زيد وأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة من أئمة الدعوة الأباضية . وموجز القول أن أخبارنا عن الدعوة الأباضية فى البصرة فى الأعم الأغلب وصلت عن طريق أبى سفيان محبوب بن الرحيل وقد اعتمد الدرجينى فى نقل رواياته على مايظهر على كتاب أبى سفيان محبوب بن الرحيل .

الجانب الثانى : أن الدرجينى فصل بشكل واضح بانتشار الدعوة الأباضية فى المغرب ودور أبى عبيدة مسلم فى إعداد الدعاة الأباضية وتأثيرهم فى تاريخ المغرب السياسى[1] .

أما قيمة المعلومات التى وردت فى هذه المخطوطة بالنسبة للمغرب فهى تتناول صراع الأباضية مع العباسيين بعد سنة ١٤٠ هـ ٧٥٧ فى عهد أبى جعفر المنصور كما تظهر بوضوح تطور ونشأة الدولة الرستمية فى تاهرت سنة ١٦٠ هـ ٧٧٦ م .

ومما يؤخذ على الدرجينى نقله لأحاديث تطغى عليها مسحة عنصرية على لسان رسول الله ﷺ تمجد (بالفرس) والبربر[2] .

٢ — ومن كتب الطبقات التى اعتمدنا عليها فى إعداد هذا البحث (كتاب السير) لمؤلفه أبى العباس أحمد بن أبى عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخى

---

(١) الدرجينى ، طبقات الأباضية ١/ ورقة ١٠ ب .

(٢) المصدر السابق ورقة ١٩ .

(ت ٩٢٨ هـ)[1] .

تناول الكتاب التاريخ الإسلامى بصورة عامة مبتدأ بحياة الر... والخلفاء الراشدين ثم فصل بأسباب الصراع بين الدولة الأموية والخوارج وهنا تكمن أهمية كتابه لمن أراد دراسة الحركة الخارجية فى بداياتها ويمكن القول أن الشماخى خير من جمع أخبار الخوارج خلال هذه الحقبة ، ثم استعرض الشماخى نشاط الدعاة الأباضية فى البصرة وفصل فيها كثيراً معتمداً فى ذلك على روايات أبى سفيان محبوب بن الرحيل ، ويبدو أنه اعتمد على كتاب الدرجينى فيما يتعلق بنشاط الأباضية بالبصرة إلا أن الشماخى يختلف مع الدرجينى فيما يتعلق بمركز عبد الله بن أباض فى الدعوة الأباضية . وتبدو ... ماخى لاعتماده عدة مصادر أباضية نعرف البعض منها ونجهل البعض الآخر[2] .

---

(١) الشماخى ، السير ، يقع الكتاب فى ستمائة صفحة من الحجم المتوسط طبعة حجرية فى (قسنطينية الجزائر ، لات) بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨٩٦ ح .

(٢) وعلى سبيل المثال :

١ — المختصر لابن عمار (لانعرف عنه شيء) .

٢ — كتاب أبى زكريا بالسيرة وأخبار الأمة .

٣ — كتاب أبى الربيع سليمان بن عبد السلام . المسمى (سير أبى الربيع) .

٤ — كتاب أبى نوح صالح بن إبراهيم (لانعرف عنه شيء) .

٥ — كتاب سير مشايخ نفوسه .

وردت هذه المصادر من خلال شرح المؤلف فى طبقات كتابه .

٣ — ومن كتب الطبقات المهمة كتاب السيرة وأخبار الأمة لمؤلفه أبى زكريا يحي بن أبى بكر الورجلانى (ت ٤٧٠ هـ).

وتتجلى أهمية هذه المخطوطة لتأكيدها على الصلة الوثيقة بين الدعوة الأباضية فى البصرة والمغرب ودور حملة العلم المغاربة فى نشر المذهب الأباضى بالمغرب[1]. وتظهر قيمة المخطوطة إذ عرفنا أن الدرجينى والشماخى أخذا معلوماتهما من كتاب (السيرة وأخبار الأمة فيما يتعلق بانتشار المذهب الاباضى بأرض المغرب[2] على أن قيمته بالنسبة إلى بحثنا محدودة.

٤ — ومن كتب الطبقات الأخرى، كتاب الجواهر المنتقات فيما أخل به كتاب الطبقات، لأبى الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادى من علماء القرن الثامن والتاسع الهجرى وتظهر قيمة كتاب البرادى لأنه احتفظ لنا برسالة عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان. إلا أنه يقع فى أخطاء تاريخية حينما يعدد ثورات الأباضية بعمان ويمتاز بعدم الدقة فى أسماء الأئمة الأباضية. إلا أنه قد اطلع على مصادر تاريخية أصلية فى بعض المواد ككتاب ابن صغير المالكى مؤرخ الدولة الرستمية. الذى يذكر لنا الخطأ الذى وقع فيه بروكلمان فيما يتعلق[3] باسم الفرقة الوهبية وهو الاسم الثانى للفرقة الأباضية.

---

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٩٠٢٠ ح) تقع المخطوطة فى ٢٠١ ورقة أى فى ٤٠٢ صفحة.

(٢) قارن بين السيرة وأخبار الأمة ورقة ٥ أ. وطبقات الدرجينى ورقة ١٠ أ.

(٣) البرادى، الجواهر المنتقات الجزائر طبعة حجرية ١٣٠٥ هـ ص ١٧٠، ١٧٤.

ج ـ كتب السير العمانية والتراجم :

تعتبر كتب السير العمانية الموارد الأصلية للتاريخ العماني فى الفترة موضوعة البحث ، وتتجلى قيمة هذه السير رغم صغرها من حيث الحجم والمادة التاريخية لأن كتابها من علماء الفرقة المشهورين من ناحية وبعضهم قد عاصر قسم من هذه الأحداث من ناحية أخرى ، كأبى المؤثر الصلت بن خميس الذى عاصر سقوط الأمامة الثانية وشهد بيعه الصلت بن مالك سنة ٢٣٧ ﻫ . ولما كان هؤلاء العلماء كل منهم يمثل وجهة نظاره الخاصة فى الأحداث التى يرتكبها بعض الأئمة أو ما يسمى عندهم بمفهوم الولاية والبراءة والوقوف فقد انقسموا فى تفسيرهم للأحداث التى جرت فى هذه الفترة إلى ثلاثة أقسام مؤيد للإمام فيقوم بالمدح والثناء ويصفه بحسن السيرة أو معارض يبلغ به الأمر تكفير هذا الإمام ، ولولا هذه المواقف المتناقضة لما استطعنا أن نقيم تقيما واضحا للأحداث السياسية التى جرت فى هذه الحقبة فلو أجمع كتاب السير العمانية على الثناء على أئمتهم فقط لخفيت عنا الجوانب السلبية فى الحياة السياسية للتاريخ العمانى . ومن أهم السير العمانية التى اعتمدنا عليها :

١ ـ سير ابى المؤثر الصلت بن خميس [١] الذى عاصر المهنا بن جيفر ت٢٣٧ ﻫ وشهدت بيعة الصلت بن مالك (قال أبو المؤثر : كنا فى الشوره لما مات المهنا فوقع فى ثوبى دم ، قال فذهبت أغسله فرجعت وقد بايعوا الصلت » [٢] .

---

(١) تقع هذه المخطوطة فى حوالى إحدى وثلاثين ورقة ، فى مكتبة الإمام غالب بن على ضمن كتاب مخطوط يسمى بالسير العمانية بالدمام المملكة العربية السعودية .

(٢) السالمى ، نور الدين عبد الله بن حميد . تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان (١٩٧٤) ١٦٢/١ .

وتتجلى قيمة هذه السيره لانفرادها بمعلومات دونها شاهد عيان تعالج الظروف التى سبقت سقوط الإمامة الثانية سنة ٢٨٠ هـ، كما تظهر بوضوح الصراع القبلى بين قبائل الأزد اليمانية والقبائل النزارية بعمان وأثر هذا الصراع فى زوال الإمامة الثانية كما تخلو هذه المخطوطة من معلومات عقائدية تتعلق بنظام الإمامة الاباضية ، وتظهر ميول أبى المؤثر واضحة فى دفاعه عن إمامة الصلت بن مالك ولذا يجب الحذر من رواياته فى دراسة وتقييم الصراع السياسى على الإمامة بين الجماعة المواليه للصلت بن مالك والجماعة الموالية لراشد بن النظر .

٢ – وتعتبر سيرة أبى الحسن بن محمد البسيوى الموسومة (الحجة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان) من أهم المصادر التى عالجت فترة سقوط الامامة الأباضية الثانية لأن مؤلفها كان من أنصار الصلت ابن مالك المتطرفين وكانت الغاية من تأليفه لهذه السيرة الطعن بامامة راشد ابن النظر وبجماعته التى أوصلته إلى الإمامة وقد ساق المؤلف فيها أدلة تاريخية ستشهدا بسيرة السلف من الأباضية وهنا تكمن الاستفادة من هذه الاستشهادات فى دراستنا للأمامة الأباضية بعمان ، كما تتضمن هذه السيرة معلومات قيمة تمثل وجهة نظر الاباضية فى الخلافة الاسلامية وموقفهم من بقية الفرق الاسلامية .

٣ – وللبسيوى سيرة صغيرة تسمى (أصل ما اختلفت فيه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم ، تعالج الأسباب التى أدت اختلاف المسلمين إلى الفرق المعروفة دارسا أصولها من وجهة نظر الاباضية ، وفيها إشارات عقائدية تمثل موقف الأباضية من الفرق الاسلامية الأخرى ، كما أنه يشير

إلى اختلاف الخوارج إلى الفرق المختلفة مهاجما فرقة الازارقة [١]

٤ — ومن السير الأخرى التى كتبها أئمة الأباضية هى سيرة عبد الله ابن أباض الذى نسبت إليه الفرقة الأباضية وتظهر قيمتها أنها تلقى الضوء على العلاقة بين الدول الأموية والاباضية فى خلافة عبد الملك بن مروان وهى عبارة عن رسالة بعثها عبد الله بن أباض لعبد الملك بن مروان ردا على رسالته التى بعث بها مستفسراً عن رأى الأباضية فى الأزارقة وفى خلافة عثمان والأمويين بالذات . وقد وصلتنا هذه الرسالة فى كتاب السير العمانية ومنه نقلها الازكوى فى كتابه كشف الغمة إذ وجدنا عند المقارنة المتطابق فى النصوص فى كل الكتابين ، كما وردت هذه السيرة فى كتاب البرادى الموسوم (بالجواهر المنتقات فيما أخل به كتاب الطبقات) [٢] إلا أنها تختلف فى أشكال بعض الكلونات ولا تمس المعنى .

٥ — ومن السير المهمة هى سيرة شبيب بن عطية العمانى وتكمن قيمة هذه السيرة لأن كاتبها كان كما يبدوا من أئمة الأباضية بعد سقوط الإمامة الأباضية الأولى سنة ١٣٢ هـ ، وتظهر هذه السيره تحديد لمعنى الخوارج والرد على خصومهم الذين وضعوا الاحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم للطعن فيهم [٣] .

---

(١) تقع السيرة الأولى فى حوالى عشرين صفحة وتقع الثانية فى حوالى عشرة صفحات . ضمن كتاب السير العمانية ، فى مكتبة الإمام غالب بن على.

(٢) البرادى ، أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم ، الجواهر المنتقات فيما أخل به كتاب الطبقات ، طبعة حجرية (قسطنطينية ، ١٣٠٥هـ) بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤٣ح .

(٣) وردت هذه السيرة ضمن كتاب يسمى (قطعة من كتاب الأديان) لمؤلف مجهول تقع هذه السيرة فى حوالى ١٩ ورقة أى حوالى ٣٨ صفحة . رقم المخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٢٩٨ ب . أنظر الملحق الأول من الرسالة .

٦ ــ مصباح الظلام للرقيشى ومن مصادر السير المهمة المنظومة شعراً والتى أوردت معلومات قيمة عن الدعوة الاباضية مخطوطة (مصباح الظلام) لمؤلفها أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الحسن بن أحمد الرقيشى الأزكوى [١] ، وهى عبارة عن قصيدة ألفها أحمد بن النظر من علماء القرن السادس الهجرى [٢] . تتضمن سيرة أئمة الخوارج من المحكمة الاولى وأئمة الاباضية العمانيين حتى أمامة الصلت بن مالك (٢٣٧ - ٢٧٥ ﻫ) وتتجلى قيمة هذه المعلومات أن الرقيشى حدد لنا بداية حكم كل من هؤلاء الأئمة وانتهائها ، وعند مقارنة أسلوب الأزكوى الذى امتاز بنقل أحداثه كاملة من بعض المخطوطات التى أطلع عليها ، نلاحظ أنه لا يحدد أخباره بتاريخ معين مما يجعلنا لطمئن أن الأزكوى قد نقل بعض أخباره عن مخطوطة الرقيشى الذى نجهل وفاته ، إلا أن هذه الروايات تمتاز باختصارها الشديد وتأتى قيمة هذه المعلومات باعتماد الرقيشى على روايات أبى المؤثر الصلت بن خميس من علماء القرن الثالث الهجرى الذى نقل أخبارة عن محمد بن الرحيل (ت ٢٦٠ ﻫ) .

ح ــ كتب الأنساب : كان اعتمادنا على كتب الأنساب قليلا جداً

---

(١) مخطوطة بدار الكتب المصرية تقع فى ٦٧ ورقة أى فى ١٣٤ صفحة برقم ٢٠٥٤٩ب . مع قصيدة مخمسه فى أمر الخلاف بين الصحابة ، ضمن مجموعة (٦٧ - ٧٩) ألفها عبد الله بن عمر بن زياد البهلوى . وقد نقل الازكوى جزءاً من هذه القصيدة مما يدل على أن هذه المخطوطة أقدم من كشف الغمة أنظر للمقارنة. البهلوى ورقة ٧١ أو كشف الغمة ورقة ٢٧٩ب ٢٨٠ ا

(٢) الحارثى عبد الله سالم بن حمد العمانى ، العقود الفضية فى أصول الاباضية. ط دار اليقظة العربية (بسوريا ولبنان ، ١٩٧٤)ص ٢٧٨، ٢٧٩ .

لمعروفها عن الترجمة لشخصيات مغمورة كرجال الدعوة الاباضية إلا فى القليل النادر .

١ — وتأتى فى مقدمة هذه المصادر كتاب انساب الأشراف للبلاذرى ، وقد اعتمدنا على الجزء الثامن من الأنساب وهو مخطوط بمكتبة الدراسات العليا ، وتأتى قيمة المعلومات التى أوردها البلاذرى من خلال حديثه عن خلافة مروان بن محمد أنه أعطى صورة متكاملة لحركة الاباضية فى اليمن سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م منذ بدايتها فى حضرموت حتى توسعها واستيلاءها على الحجاز ثم بداية ضعفها وانهيارها وبعبارة أخرى أن البلاذرى راقب الحركة من حيث قوتها وضعفها . [١]

أما كتب النسب الاخرى فقد كانت قليلة فى معلوماتها عن الاباضية فلا حاجة إلى ذكرها فى هذا الباب .

٢ — ومن كتب الأنساب اعتمدنا عليها فى إعداد البحث مخطوطة أنساب العرب لسليمة بن مسلم العوتبى الصحارى ، ويحتمل أن العوتبى قد كتب أنسابه فى نهاية القرن الخامس الهجرى . وتوفى بعد هذا التاريخ[١]

---

(١) البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) ، أنساب الأشراف ج ٨ ، مخطوطة بمكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد تحت رقم ١٦٤١ .

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٢٤٦١ تاريخ) ، تقع المخطوطة فى ١٧٨ ورقة من الحجم الكبير ، تاريخ نسخ المخطوطة ١١٣٠ هـ قام بنسخها مرشد بن محمد بن راشد الرستاقى .

ومن هذه المخطوطة نسخة فى باريس بالمكتبة الوطنية برقم 50, Arabe وتتألف من ٢١٩ ورقة ونسخة عند المستشرق جونسون وتتألف من ٢١٩ ورقة

والمخطوطة عبارة عن تاريخ للقبائل اليمانية بشكل خاص وفيه مادة تاريخية قيمة عن دور القبائل اليمانية فى معارك القادسية ونهاوند ، وحين يتكلم العوتبى عن تاريخ هذه القبائل وانسابها يذكر لنا حوادث تاريخية تتعلق بشكل مباشر بالأشخاص المترجم لهم . فعند حديثه عن القبائل الأزدية بعمان أورد لنا أخبار قيمة جدا عن الدعوة الأباضية وبداية دخول الحركة الخارجية إلى عمان فعند الحديث فى فراهيد وهن فرع من القبائل الأزدية ترجم لنا أسماء حملة العلم مشيراً إلى مواطن بعضهم فى إقليم عمان كالربيع بن حبيب الفرهودى وبلج بن عقبة الفرهودى [1] . وحين تكلم العوتبى عن أولاد مالك بن فهم وبنى هناة أفاد بمعلومات قيمة عن سقوط الإمامة الأباضية الثانية بشكل واضح الإمامة الأباضية الثانية بشكل واضح جداً ما كان لنا الحصول عليها فى مصدراً آخر بهذا الشكل المفصل الذى أورده العوتبى . كما أن العوتبى انفرد بهذه المعلومات ومنه أخذت بقية المصادر العمانية أخبارها عن هذه الحقبة من تاريخ عمان [2]

أيضاً راجع د عمر ، فاروق ، ببليوغرافيا فى تاريخ عمان ، مجلة المورد مج ٣ ع ٤ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٧٧) .

وردت فى المخطوطة ترجمة لأبى الحسن على بن محمد البسيوى الذى عاش فى إمامة راشد بن سعيد اليحمدى الذى تولى الإمامة سنة ٤٢٥ هـ فيمكن الاستنتاج أن العوتبى قد ألف كتابه بعد هذا التاريخ لأن هذه الشخصية آخر ما ترجمه الأزكوى من الاعلام فى كتابه أنظر العوتبى ، الأنساب ، ورقة ١٦٢ ا .

الحارثى ، العقود الفضيه فى أصول الأباضية ، ص ٢٥٧ .

انظر العوتبى ، الانساب ورقة ١٠١ ب ، ١٧٠ ب .

(١) العوتبى ، الانساب ، ورقة ١٦٢ب ، ١٦٤ب ١٦٥ ا ، ١٦٩ب .

ومما يؤاخذ على العوتبي الخلط بين أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى والمختار بن أبى عبيدة الثقفى يقول « وقام ابراهيم -- بن مالك — هذا مع أبى حمزة المختار بن عوف وكان أحد ذوى النجدة والبسالة » كما أن المختار ابن عوف قد بعث برأس عبيد الله بن زياد إلى الإمام على بن الحسين بن أبى طالب [1] .

وتظهر ميول المؤلف الأزدية بترجمة للقبائل الازدية بما يقارب السبعين صفحة كما تظهر ميوله الاباضية بترجمة لمجموعة من العلماء الاباضية وترجمة عليهم كالشيخ أبى الحسن على بن محمد البسيوى [2]

(ح) كتب الفقه والعقائد:

لا تخلو كتب الفقه والعقائد الاباضية من إشارات تاريخية مهمة لتوضيح الموقف السياسى لسلوك الدعوة الاباضية فى مرحلة الكتمان والظهور وموقفهم من بقية المسلمين المخالفين لهم فى المذهب. كما توضح هذه المصادر نظرية الإمامة وتطورها لدى الاباضية.

وتأتى فى مقدمة هذه المصادر (كتاب مختصر الخصال) ألفه الإمام الاباضى إبراهيم بن قيس الحضرمى من أئمة حضرموت فى القرن الخامس

---

(١) المصدر السابق ورقة ٨١ أ .

(٢) المصدر السابق ، ورقة ١٦٢ أ .

يشير ناسخ المخطوطة أنه قد ضمن كتاب العوتبى روايات ميزها بقوله « وربما كانت هذه الاوراق متفرقة فى أجزاء لجمعناها فى مجلد واحد فى هذا الكتاب . العوتبى ورقة ١٩٦أ .

الهجرى وتأتى قيمة هذه المخطوطة بالنسبة لبحثنا فى موضوع الإمامة خاصة لأن كاتبه إمام أباضى [١]

ومن المصادر المهمة فى هذا الباب (شرح مقدمة التوحيد) للشماخى وتظهر قيمتها فى تصنيفه للمراحل التى مرت بها الدعوة الاباضية كالكتمان والظهور وذكره لانواع الإمامة وشروطها [٢]

كما لا يخلو (كتاب شرح قواعد الإسلام) لاسماعيل بن موسى الجيطالى ت ٧٥٠ هـ من معلومات قيمة فيما له علاقة بانتقال الشخص من المذهب الاباضى إلى مذهب آخر وتحديد موقف الاباضية من أئمتهم كما تلقى الضوء على موقف أئمة الاباضية من المسلمين المخالفين [٣]

إضافة إلى مصادر عقائدية مخطوطة ومطبوعة أخرى أوردناها فى الفهرس اعتمدنا عليها فى هذه الرسالة إلا أنها أقل أهمية من المخطوطات الثلاث التى ورد ذكرها أعلاه .

ح – كتب التاريخ الحولى

لقد دون الاخباريون كتبا فى تاريخ الخوارج ، فقد كتب أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧ هـ) كتابا عن (السنة والجماعة وذم الهوى وترك الخوارج) ، كما كتب الهيثم بن عدى (ت ٢٠ هـ) كتابا فى الخوارج وكتب أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف المدائنى (ت ٢٢٥ هـ)

---

(١) مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٥٩١ ب ، تقع المخطوطة ٨٥ ورقة .

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٥٨٧ ب ضمن مجموعة من (ورقة ١ — ٩٥) .

(٣) مخطوطه بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢٠٦٧ب) .

كتاب الخوارج [١] . ومما يؤسف له أن كتبهم لم تصلنا كاملة ، إلا أنها أصبحت موارد لمؤرخى التاريخ الحولى الذين نقلوا اخبارهم عن الخوارج بصورة عامة عن هؤلاء الاخباريين ويتضح هذا واضحا فى تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠) وتاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) وقد اقتصرت المعلومات التاريخية لهذه المصادر على الأجزاء الغربية من الجزيرة العربية كالحجاز واليمن فيما له علاقة بالحركة الآباضية حيث اهتم الاخباريون بأخبار الحجاز مثلا لقدسيتها لدى المسلمين بصورة خاصة . إلا أن هذه المصادر قد أغفلت فى أخبارها الأقاليم الشرقية من الجزيرة العربية وبالذات عن اقليم عمان مركز الدعوة الاباضية وإذ كانت هناك ثمة أشارات فانها لا تتعدى أسطر قليلة .

ولهذا نلاحظ أن خليفة بن خياط فى الجزء الثانى من كتابه التاريخ قد اهتم بنشاط الحركة الاباضية فى اليمن وحضرموت والحجاز ، وتعتبر روايات خليفة عن أباضية اليمن واضحة ومتكاملة من حيث متابعته للحركة حتى سقوطها [٢] . فيما لو قورنت بروايات الطبرى التى تنتهى بسردها الأحداث بعد مقتل عبد الله بن يحيى الكندى ، وامتاز الطبرى على خليفة بذكره عدة أسانيد للحادثة الواحدة [٣] ، بينما اقتصر خليفة بن خياط

---

(١) ابن النديم ، محمد بن إسحق بن محمد ، الفهرست (بيروت ، ١٩٦٤) . ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) ابن خياط ، خليفة ، تاريخ خليفة ، القسم الثانى ، حققه سهيل زكار و د . أكرم ضياء العمرى ، ط / (دمشق ، ١٩٦٨)، و (النجف ١٩٦٧) .

(٣) الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة ، ١٩٦٠) .

باعتماده على سند واحد للحادثة ، ويمكن القول أنه لا يمكننا رسم صور واضحة للحركة الاباضية فى الثمن سنة ١٢٩ هـ إلا بمقارنة روايات خليفه بن خياط والبلاذرى والطبرى وتبدو قيمة هذه المصادر التاريخية فى كو أصبحت مرجعا للمصادر التى تلتها .

د — كتب الجغرافية :

تظهر أهمية الكتب الجغرافية فى معرفة مواقع المدن العمانية ، وبالتالى معرفتنا لتحرك قوى المعارضة وتوزيعها على هذا الأقاليم من الناحية الجغرافية ، كما كان العامل الجغرافى أثراً بارزاً فى استقلال إقليم عمان عن السلطة المركزية للدولة الاسلامية .

ومن المصادر المهمة التى اعتمدنا عليها كتاب المسالك والممالك للاصطخرى (ت ٣٤١ هـ) وفيه إشارات مهمة عن تاريخ عمان عن الفترة موضوعة البحث بالإضافة إلا جغرافيتها .

وفى كتاب المقدس (ت ٣٨٠ هـ) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم معلومات مقتضية عن بعض مدن عمان . ويعتبر معجم البلدان لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) من الكتب الموسوعية فهو بالإضافة إلى جغرافيته فيه مادة تاريخية وأدبية عن الخوارج هذا بالإضافة إلى اعتمادنا على كتب جغرافية أخرى فى هذا البحث .

هـ — المراجع الحديثة والمقالات :

ومن المراجع الحديثة التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث كتاب العقود الفضية فى أصول الأباضية لمؤلفه سالم بن حمد الحارثى وتأتى قيمة معلوماته فى ذكره لمؤلفات الأباضية من أهل عمان .

ومن المقالات التي أسهمت في التنبيه على أهمية مصادر التاريخ المحلي لإقليم عمان ماكتبه الدكتور فاروق عمر فوزي في القالته (بيليوغرافيا في تاريخ عمان) ومقالته ملامح من تاريخ حركة الخوارج الأباضية كما وردت في مخطوطه كشف الغمة .

كما وأن كتاب Lorimer (لوريمر) الموسوم دليل الخليج العربي بقسمية الجغرافي والتاريخي غني بمعلوماته عن الخليج من حيث تاريخه السياسي ومواقع مدنه وقراه حيث يحتوي على خرائط وجداول مهمة ، أما كتاب The Arabin peninsula الذي نشر تحت اشراف السيد J. G. wilkinson في لندن ١٩٧٢ فيحوي مجموعة مقالات عن شبه الجزيرة العربية نخص منها بالذكر مقالة Derek Hopwoid الموسومة The origims of the Oman وهي استعراض تحليلي موجز منذ نشوء الأمامة الأباضية حتى بروز اليعاربة على المسرح السياسي في عمان مدعما بخرائط طبيعية وبشرية عن مناطق استقرار القبائل في عمان .

الفصل الثانى

الدعوة الأباضية فى البصرة

فى مرحلة الكتمان

وآثرها فى انتشار المذهب الأباضى

أصل التسمية :

اختلف المؤرخون المسلمون اختلافا واضحا فى أصل الاباضية وزمن نشوئها ، ويتضح لنا هذا الاختلاف فى طبيعة الروايات المقتضبة التى أوردها هؤلاء المؤرخون .

فقد عزا بعض المؤرخين الرواد الأباضية إلى عبد الله بن أباض ولم يشيروا إلى العصر الذى عاش فيه ، وقد تبعهم فى ذلك عدد من كتاب الفرق والعقائد [1] .

---

(١) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، المعارف . (القاهرة ، ١٩٦٠) ص ٦٢٢ . — الداشىء الأكبر ، عبد الله بن محمد ، مسائل الإمامة ، (بيروت ، ١٩٧١) ص ٦٨ — الرازى ، أبو حاتم أحمد بن حمدان ، الزينة فى الكلمات الإسلامية ، (بغداد ، ١٩٧٢) ص ٥٤ — البغدادى ، عبد القاهر بن طاهر ، الفرق بين الفرق (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ٨٢ ، — الحدنى ، أبو محمد عثمان ابن عبد الله بن الحسين ، الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة (أنقرة ١٩٦١) ص ١٤ — مؤلف مجهول ، الملل والنحل ، مخطوطة بمكتبة الأوقاف برقم ٦٨١٩ ، ورقة ١٩ .

أنظر أيضاً معاجم اللغة وعلى سبيل المثال ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ٧ / ١١١ — الزبيدى محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، (بيروت ؛ لا ت) ٥/٢

أما المقدسى ، فينسب الأباضية إلى الحارث بن أباض ، ولم يذكر الفترة التى عاش فيها (١)

وتظهر بعض الروايات فى كتب الفرق الارتباك فيما يتعلق بنسبتهم ، فالملطى ينسب الأباضية إلى عبد الله بن أباض ولكنه يقول فى موضع آخر : أنهم . « أصحاب أباض بن عمرو الذين ، خرجوا من سواد الكوفة فقتلوا وسبوا الذرية (٢) » . وعلى هذا يكون منشأهم فى الكوفة إذ يشير إلى بقاياهم إلى ما بعد منتصف القرن الرابع الهجرى (٣) .

والشهرستانى وإن نسب الأباضية إلى عبد الله بن أباض إلا أنه يجعل خروجه فى أواخر الدولة الأموية وعلى ذلك تكون وفاة ابن أباض فى نهاية الدولة الأموية ، إذ يشير إلى مقتله مع عبد الله بن يحيى (٤) . ولعله يقصد عبد الله بن يحيى الكندى والملقب بطالب الحق الذى ثار فى أواخر الدولة الأموية (٥) .

أما السمعانى ، فيبدو أن معلوماته مقتضبة ومتأخرة عن الأباضية ،

---

(١) المقدسى ، مطهر بن طاهر ، البدأ والتاريخ ، (باريس ، ١٩١٦) ، ١٣٨/٥

(٢) الملطى ، أبو الحسين محمد بن أحمد ، التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع (بيروت ، ١٩٦٨) ص ٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢

(٤) الشهرستانى ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل (المكتبة الأنجلو مصرية . لا ت) ٨٠/١ .

(٥) انظر الفصل الثالث من الرسالة .

فقال أنهم : « أصحاب الحارث الأباضي ويقال لهذه الحارثية »[١] ، والمعلوم إن الحارثية هي إحدى الفرق الأباضية المتأخرة [٢] .

أما شخصية عبد الله بن أباض ، فقد صورها بعض كتاب الفرق على أنها شخصية قلقة لا يقر لها قرار ولا يطمئن للمبادىء التي يعتنقها ، فابن حزم في رواية له يذكر « أن عبد الله بن أباض يرجع في اقواله إلى الثعالبة الصفرى » وإلى قول الثعالبة رجع عبد الله بن أباض فبرىء منه أصحابه [٣] ومما جعل ابن حزم يطمئن إلى هذه الرواية أن الأباضية المعاصرين له لا يعرفون شيئا عن سيرة عبد الله بن أباض مع أنهم ينسبون إليه : « ولقد سألنا من هو مقدمهم في علمهم ومذهبهم فما عرفه أحد منهم »[٤] . ويتفق رشوان الحميرى مع ابن حزم في تحديد ملامح شخصية ابن أباض ، إلا أنه يذكر لنا أنه رجع إلى الاعتزال وترك مبادئه الأباضية ، ودليله على ذلك أن أصحابه لا تعظمه . قال أبو القاسم البلخي [٥] : « حكى أصحابه أن عبد الله بن أباض لم يمت حتى ترك قوله أجمع ، ورجع إلى الاعتزال ، والقول بالحق ، والذى يدل على ذلك أن أصحابه لا يعظمون أمره [٦] » .

---

(١) السمعادى ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور ؛ الانساب (حيدر آباد ، ١٩٦٢) ص ٨٧

(٢) انظر البحث المتعلق بالحارثية من الفصل السابع من الرسالة .

(٣) ابن حزم ، أبو محمد أحمد بن حزم الظاهرى ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (القاهرة ، لا ت) ٤/١٩٣ .

(٤) المصدر السابق ٤/١٩٣ .

(٥) أبو القاسم البلخى . أحد أئمة المعتزلة . الزركلى - خير الدين . الاعلام مطبعة كوستاموس ١٩٥٤) ٤/١٨٤ .

(٦) الحميرى ، أبو سعيد دشوان سعيد بن دشوان ، الحور العين (طهران ١٩٧٢) ص ١٧٣ .

وعند مناقشة روايتى ابن حزم والحميرى السابقتين ، يتبين لنا عدم صحتهما ، ذلك لان عبد الله بن أباض كان معاصراً لعبد الله بن صفار ، وكانت بين ابن أباض وابن صفار الناظرات عقائدية يظهر فيها براءته من الافكار الصفرية أولا (١) ، ثم أن الثعالبة إحدى فرق العجاردة ، وهم من الخوارج أيضا فعلى هذا لا توجد علاقة بين الصفرية والثعالبة ثانيا (٢) .

ومن جهة ثالثة لا يمكن الركون لرواية الحميرى ، لانه اراد أن يعزز وجهة نظره العقائدية ، لانه يميل إلى اعتزال ، كما أنه اعتمد رواية معتزلى هو ابو القاسم البلخى . كما يظهر من نص الرواية سالفة الذكر (٣) .

ومن المؤرخين المتأخرين المقريزى الذى قال بنسبتهم إلى عبد الله بن أباض ويسميه الحرث بن عمر ، ويشير إلى خروجه فى أواخر الدولة الاموية . ويرى أنه من غلاة المحكمة ، إلا أنه يورد احتمالا ثانياً فيما يتعلق بنسبة الاباضية إلى قرية أباض بالعرض من اليمامة (٤) ، وقد انفرد المقريزى بهذه الإشارة دون غيره من المؤرخين .

ومن هذا الغرض تظهر الصورة الغامضة لشخصية عبد الله أباض ، الذى

---

(١) الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك (القاهرة ، ١٩٧١) ٥/٥٦٨ .

(٢) البغدادى . الفرق بين الفرق ، ص ٨٠ ـ الكرمادى محمد بن يوسف ابن على الفرق الإسلامية ذيل كتاب شرح المواقف (بغداد ١٩٧٠) ص ٧٧ . الثعالبة اتباع ثعلبة بن مشكان لإمامهم بعد عبد الكريم بن عجرد وقد افترقا نتيجة لاختلافهما فى حكم الأطفال . انظر البغدادى الفرق بين الفرق ص٧٢-٨٠ .

(٣) الحميرى . الحور العين ص ١٧٣ .

(٤) المقريزى . تقى الدين أبى العباس . أحمد بن على . الخطط المقريزية (بولاق ، ١٢٩٤هـ / ٢ / ٣٥٥ .

نسبت إليه الأباضية ، وبالتالى الغموض الذى لف تاريخ هذه الفرقة الإسلامية وأصلها .

سيرة ابن أباض الاولى :

يتفق أغلب المؤرخين الذين تطرقوا إلى سيرة ابن أباض على انتمائه إلى قبيلة تميم القاطنة فى البصرة بشكل خاص ، فهو عبد الله بن أباض من بنى مرة بن عبيد [١] رهط الأحنف بن قيس التميمى [٢] .

ذكر الأزكوى : أنه « نشأ فى زمان معاوية بن أبى سفيان وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان . . » [٣] . ويحتمل أنه ولد فى العقد الأول من خلافة معاوية بن سفيان (٤١ — ٦٠ هـ) وبهذا يكون عمره عند اشتراكه فى الدفاع عن مكة المكرمة مع المحكمة الأولى بجانب عبد الله بن الزبير ضد القوات الأموية عام ٦٤ هـ لا يتجاوز أربعة وعشرين عاما ، ويتضح من الرسالة [٤] التى كتبها ردا على رسالة عبد الملك بن مروان

---

(١) المبرد أبو العباس ، محمد بن يزيد ، الكامل ، باب الخوارج (دمشق ، لات) ، ص ١١٨ .

(٢) مؤلف مجهول . قطعة من كتاب الأديان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٢٨٩ ب ، ورقة ٩٨ أ . وقال الرقيشى : الأباضيون منسوبون إلى عبد الله بن أباض من تميم من بنى مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس مصباح الظلام ورقة ١٩ أ .

(٣) الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٢٤٤ ب .

(٤) عبد الله بن أباض ، السيرة المنسوبة إليه ضمن كتاب سير وتراجم العلماء الموسوم : بالسير الحمادية) بمكتبة الامام غالب بن على بالدمام المملكة العربية السعودية ، ورقة ٧ . — البرادى أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم ، الجوهر المنتقاه فيما أخل به كتاب الطبقات ، ص ١٦٣ . — كشف الغمة ، ورقة ٢٠٥ أ .

(٦٥ هـ ٦٨٤ م — ٨٦ هـ / ٧٠٥ م) ما يوافق صحة هذا الاستنتاج إذ يظهر من مقدمها أنه كان مدركا مميزاً بين الحق والباطل : « فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا صحة ، غير أنا قد أدركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس . . (١) » .

وقد ورد نص آخر في هذه الرسالة يقول فيه : « ونطيع من أحل لكما طاعته في كتابه ونعصي من أمر الله بمعصيته ... فهو الذي أدركنا عليه نبينا صلى الله عليه وسلم . . (٢) » وهذا النص يضعنا أمام احتمالين فيما يتعلق بإدراكه النبي صلى الله عليه وسلم فالاحتمال الأول : ربما يعني علمه ومعرفته بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . والاحتمال الثاني معاصرته للرسول صلى الله عليه وسلم في أواخر حياته .

ولا يمكننا أن نحدد تاريخا لوفاته لطول فترة حكم عبد الملك بن مروان الممتدة من (٦٥ هـ / ٦٨٤ م - ٨٦ هـ / ٧٠٥ م) ، غير أننا نستطيع الجزم من خلال ما تضمنته الرسالة المارة الذكر أنه عاش بعد سنة (٦٧هـ/٦٨٦م) ، إذ أشار فيها إلى هزيمة المختار بن عبيدة الثقفي من قبل مصعب بن الزبير (٣) .

---

(١) سيرة عبد الله بن أباض ورقة (٧) — كشف الغمة ورقة ٢٠٥ أ . ورد النص أعلاه في الجواهر المنتقات بشكل آخر مع تطابق في المعنى « فلا تسأل عن معاوية وعن صناعته غيري لأني قد أدركته ورأيت عمله وسيرته » البرادي ، الجواهر المنتقات ، ص ١٦٣ .

(٢) سيرة ابن أباض ورقة ٨ . ورد النص أعلاه في الجواهر المنتقاة بالشكل الآتي : « وأن نطيع من أمر الله بطاعته . . » البرادي ، الجواهر المنتقاة ، ص ١٦٦ .

(٣) السير الحمادية ، سيرة ابن أباض ، ورقة ٦ . البرادي ، الجواهر المنتقات ص ١٦٣ .

ويشير بعض الكتاب المحدثين إلى اضطراب المؤرخين فى سيرته وتاريخ وفاته ويذهب إلى القول : بأن ابن أباض كان معاصراً لمعاوية بن أبى سفيان وعاش إلى أواخر حكم عبد الملك بن مروان [١] .

ويذهب المؤرخ الأباضى للشيخ على يحيى معمر . بأن عبد الله بن أباض عاش بعد وفاة جابر بن زيد أحد أئمة الفرقة الأباضية يقول معمر : « وعبد الله بن أباض كان صدوه وتلوه » . . وبعد وفاة جابر بن زيد ظهر عبد الله بن أباض بأجلى مظاهر الغيرة الدينية . » [٢] ، ولما كان جابر بن زيد قد توفى على أقل الروايات عام ٩٣ هـ [٣] وأكثرها عام ١٠٤ هـ [٤] .

تعقيب :

(١) هذا القول ليس عن الشيخ على يحيى معمر : وإنما ساقه نقلا عن الشيخ قاسم بن سعيد الشماخى عن كتاب القول المتين .

(٢) كتاب مشارق أنوار العقول كتاب يبحث فى العقيدة الإسلامية الأباضية تأليف الإمام العلامة نور الدين عبد الله بن حميد السالمى وليس من تأليف أبى بكر أحمد بن سميط العلوى وإنما الأخير وقف على طبعه وقام على تصحيحه فى زنجبار .

وقد وردت نسبة تأليف الكتاب « المشارق » إلى ابن سميط فى صفحه ٣٠٤ ، ٣٢٢ ، والصحيح ما أثبتناه هنا .

---

(١) الزركلى ، خير الدين ، الاعلام ٤ /١٨٤ .

(٢) معمر ، على يحيى ، الاباضية فى موكب التاريخ ، الحلقة الاولى ، (القاهرة ، ١٩٦٤) ص ١٥١ .

(٣) العصفرى ، خليفة بن خياط ، الطبقات ، (بغداد ، ١٩٦٢) ص ٢١٠ .

(٤) الأزدى ، أبو زكريا ، محمد بن يزيد ، تاريخ الموصل ، (القاهرة ، ١٩٦٧) ص ٢١٠ .

فتكون وفاة عبد الله بن أباض بعد هذين التاريخين . وهذا خلاف ما ذكره الإزكوى من أنه « عاش إلى زمن عبد الملك إلى زمن عبد الملك بن مروان . . »[١] ، ومن ناحية أخرى نلاحظ أن الكتاب الأباضية حينما يشيرون إلى أئمتهم يعدون عبد الله بن أباض أولا ثم يذكرون بعده جابر بن زيد ثانيا[٢] ، مما يدل على خطأ الشيخ على يحيى معمر وعدم تمييزه لتتابع أئمة مذهبه الأباضي .

وفيما عدا هذه الاشارة نلاحظ أن كتب السيرة الأباضية تكاد تسكت سكوتا مطبقا فيما يتعلق بالحياة الشخصية والسياسية لعبد الله بن أباض ، الذى نسب إليه المذهب الأباضى ، بل نجد هذه المصادر تتضارب رواياتها وخاصة فيما يتعلق بمركزه السياسى للدعوة الأباضية ، فالدرجينى يعتبر عبد الله بن أباض « أمام أهل الطريق المؤسس لأبنية هى مستندات الأسلاف . . »[٣] ، وبالإضافة إلى كونه مؤسساً للمذهب فهو « رأس العقد ورئيس من بالبصرة وغيرها من الأقطار . »[٤] ويلاحظ من نص الدرجينى عدم تحديد لفترة إمامته ورئاسته ، كما أشار إلى فضائله المشهورة « المخلفة فى بطون الأوراق »[٥] ، ولم يصلنا فيها شيء وربما أراد الاشارة إلى رسالته لعبد الملك بن مروان . إلا أن الشماخى فى سيره يخالف الدرجينى فيما ذهب إليه ، ويقول بإمامة جابر بن زيد ويعطى دوراً ثانويا لعبد الله بن أباض ،

---

(١) كشف الغمة ، ورقة ٢٤٤ ب .

(٢) العلوى ، أحمد بن أبى بكر سميط ، مغارق أنوار العقول ، (مصره ١٣١٤ هـ) ، ص ٣٧٥ .

(٣) الدرجيل ، أبو العباس أحمد ، طبقات الأباضية ، ١ / ورقة ٩٣ ب .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

يقول الشماخى : « وفى حفظى أنه يصدر فى أمره عن رأى جابر بن زيد وله مناظرات مع الخوارج [1] » .

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو : إذا كان عبد الله بن أباض مؤسسا للمذهب الأباضى ؟! . فلماذا لا نلاحظ آثاره العقائدية والفقهية فى مؤلفات الأباضية « وأمهات كتبهم خاصة [2] » ، وما وردنا عنه إلا رسالته لعبد الملك ابن مروان ، ورد على دافع بن الأزرق الذى يمثل وجهة نظره فى القعود احتفظت به كتب الاخباريين غير الأباضية [3] .

وهنا يكون أمام احتمالين ، تدعمهما الوقائع التاريخية ، الاحتمال الأول : أن عبد الله بن أباض ، أحد مجتهدى الأباضية وعلمائها البارزين [4] ، وقد عبر عن وجهة نظر المعتدلين ، من الحركة الأولى ، وقد غلبت شهرته عليهم فسموا بالأباضية ، وقد أوضح الخطوط العريضة للفكر الأباضى

---

(١) الشماخى ، أحمد بن سعيد بن الواحد ، كتاب لسير ، ص ٧٧ . ومن المؤكد أن الخطيب البغدادى قد اختلق رواية مفادها أن عبد الله بن أباض قد عاصر المأمون وهذا يخالف ماذكرناه أعلاه ، كما أن الرواية تناقض الواقع التاريخى لأنه جمل الرافديه والأباضية والمعتزلة فى جهنم على حد تعبير المأمون وقد كان المأمون أول من تبنى الاعتزال وحمايته من العباسيين . أنظر الخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على ، تاريخ بغداد ، (القاهرة ، ١٩٣١) ٣ / ٣٦٩ .

(٢) أنظر : المدودة الصغرى ، لأبى بشر بن خادم الخرسانى . فى الفقه الأباضى . ـ الجامع لأبى محمد عبد الله بن محمد بن بركة العمانى مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢١١١٣ ب .

(٣) الطبرى الرسل والملوك . ٥ / ٥٦٨ .

(٤) أبو ستة . أبو عبد الله محمد بن عمر . حاشية على شرح قواعد الأسلام مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٦٩ ب . ورقة ٢٦ ب .

مميزا بينهم ، وبين الحركات الخارجية المتطرفة كالأزارقة ، والنجدات ، وغيرهم من الخوارج .

ومن جهة أخرى ، ونتيجة للمراسلات ، التى جرت بين عبد الله بن أباض وعبد الملك بن مروان فقد خيل للسلطة الاموية ، ووقع فى ظلها أن عبد الله ابن أباض هو المؤسس للدعوة الأباضية ، ولهذا نسب إليه المذهب الاباضى ، وسمى باسمه .

والاحتمال الثانى : — وهو أن الجماعة المعتدلة من المحكمة الأوائل أو عزت إلى عبد الله بن أباض ليكون المتكلم ، والمناظر المعبر عن وجهة نظرهم المبدئية ، وخير دليل على ذلك أن النشاط السرى « مرحلة الكتمان » وجد قبل المراسلات بين عبد الله بن أباض ، ونافع بن الأزرق [1] وسبق تبادل الرسائل بين عبد الله بن أباض وعبد الملك بن مروان ، وهذا ما يؤكد سرية النشاط الأباضى فى البصرة ، إذا لم تجدر المراسلة بين قيادة التنظيم السرى والسلطة المركزية بدمشق ، وكان المفروض أن يجرى تبادل الرسائل بين جابر بن زيد وعبد الملك بن مروان ، ومما يؤيد هذا الرأى ما ذكره الشماخى : بأن ابن أباض « يصدر فى أمره عن رأى جابر بن زيد [2] » ، ورواية الرقيشى التى يقول فيها : « فقد بلغنا أن أباض بلال مرداس بن حدير ... وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلا بأمر إمامهم فى دينهم جابر بن زيد العمانى رحمه الله ، ومشورته ، ويحبون ستره عن الحرب ، لئلا تموت دعوتهم ، وليكن رداء لهم . . » [3] .

---

(١) الطبرى ، الرسل والملوك ٥ / ٥٦٨ .

(٢) الشماخى ، السير ، ص ٧٧ .

(٣) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٢٠ ب .

وهكذا يتضح لنا من خلال هذه النصوص أن ابن اباض لم يكن إلا شخصية مشهورة ، عبرت عن وجهة نظر الاباضية فنسب المذهب إليه لأن السلطة الأموية لم تعرف غيره من قادة المحكمة المعتدلين . وقد أدرك ذلك نور الدين السالمى فنظم هذه المعنى شعراً فقال :

ونسبوا من كان فى طريقته إليه لاشتهار حسن سيرته
ان المخالفين قد سموها بذاك غير أننا رضينا [1]
ونحن فى الأصل وفى الفروع على طريق السلف الرفيع

ومن هذا الشعر ندرك أن الاباضية مجرد تسمية للخط المعتدل ، من المحكمة الذى بقى حتى يومنا هذا .

الظروف السياسية التى رافقت نشوء الاباضية :

لا يمكن معرفة نشأة الأباضية ، بمعزل عن دراسة الظروف السياسية التى مر بها المحكمة الأولى [2] فى صراعهم مع السلطة الأموية . أن الظروف العصيبة التى واجهت الأمويين أبان خلافة يزيد بن معاوية‌ت(٦٤ هـ/٦٨٣م) ثم بعد وفاته ، مكنت الأحزاب المناوئة للسلطة الأموية من النهوض،ومحاولة إسقاط الأمويين عن الحكم بكل وسيلة ممكنة ، وقدكانت للأحداث الأليمة

---

(١) الحارثى ، سالم بن حمد ، العقود الفضية فى أصول الأباضية (بيروت ، ١٩٧٤) ، ص ١٢٢ .

(٢) المحكمة الاولى : أحد أسماء الخوارج « من لدن فارقوا عليا إلى أن حدثت محكمة ابن الزبير وهو الذى خرجت فيه الأزارقة . — الناشىء الأكبر ، مسائل الإمامة ، ص ٦٩ .

في المدينة المنورة على يد القائد الأموي مسلم بن عقبة في وقعة الحرة عام (٦٣م) واستباحتها، وقتل العدد الكبير من أهلها تركت هذه الوقعة أثراً بليغاً لدى المحكمة الأولى فرأوا وجوب الدفاع عن مكة المكرمة (١) لئلا يحل بها ما حل بالمدينة قبلها، فاشترك عبد الله بن إباض مع أبرز شخصيات المحكمة الأول، كنافع ابن الأزرق، ونجدة بن عامر الحنفي، وغيرهم من الزعماء المشهورين للدفاع عن مكة بجانب عبد الله بن الزبير (٢) بغض النظر عن اختلاف الأهداف السياسية للفريقين، فقد جمعتهم مصلحة الدفاع المشترك ضد العدو الواحد، يقول البلاذرى: (وكانوا غضبوا للبيت فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره ولكنهم احتسبوا في جهاد أهل الشام)(٣)

وبعد أن قاتل المحكمة مع ابن الزبير الحصين بن نمير السكوني خليفة مسلم بن عقبة الذى قام بمحاصرة ابن الزبير بمكة افترقت المحكمة مع عبد الله ابن الزبير نتيجة لاختلاف المبادىء، والأهداف وخاصة في مسألة الخلافة، فتركوه إلى البصرة في عام ٦٤هـ، حيث تعرض عبد الله بن أباض مع مجموعة من أبرز قيادى المحكمة الأولى إلى السجن كنافع بن الأزرق ونجدة بن عامر الحنفي، مع مائة وأربعين سجيناً (٤).

---

(١) المبرد، الكامل، ص ١٠٦، — الطبرى، الرسل والملوك، ٥/ ٥٦٤. انظر فيما يتعلق بوقعة الحرة عام ٦٣ هـ، ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، (بيروت، ١٩٦٦)، ٨/ ٢١٧ — ٢٢٢.

(٢) الطبرى، الرسل والملوك، ٥/ ٥٦٦.

(٣) البلاذرى، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، ج ٤ ق ٢. (القدس، ١٩٣٨) ص ١٠٢.

(٤) المصدر السابق، الطبرى، الرسل والملوك، ٥/ ٥٦٣.

وفى ذات الوقت اتجهت مجموعة أخرى من المحكمة بعد فراقها لابن الزبير إلى اليمامة بزعامة أبى طالوت من بنى زمان بن مالك بن بكر بن وائل، وعبد الله بن ثور أبى فديك بن قيس بن ثعلبة، وعطية بن الأسود اليشكرى الذين بايعوا فيما بعد نجدة بن عامر الحنفى وسموا بالنجدات [1].

وقد مكنت الظروف السياسية، المضطربة، بعد وفاة يزيد بن معاوية عام ٦٤ هـ المحكمة الأولى من الخروج من سجن البصرة بصورة جماعية، بما فيهم عبد الله بن أباض، ونافع بن الأزرق بعد أن أصبح موقف الوالى الأموى عبيد الله بن زياد ضعيف جداً، مما مكن المحكمة بما لهم من قوة حجة، وحماس، وانتشار بين الأمة أن يفسدوا حتى البيعة التى حصل عليها من أهل البصرة بعد موت يزيد، يقول المبرد: «وفشوا فى الناس يدعون إلى محاربة السلطان، ويظهرون ماهم عليه.. حتى اضطرب على عبيد الله بن زياد أمره» [2]، مما أدى إلى هروبه إلى الشام [3].

وقد وقفت المحكمة الأولى فى البصرة على مفترق التاريخ، نتيجة لاختلاف واجتهاد القادة إزاء الظروف الجديدة بعد هروب عبيد الله بن زياد إلى الشام. هذه المواقف التى أدت إلى تحولات كبيرة أثرت على المدى التدريجى فى مسيرة المحكمة الأولى فى البصرة، ونظراً لخلو الميدان من القائد المتميز الذى يجمع المحكمه تحت رايته لتحقيق أهدافهم فى إسقاط السلطة الأموية، فقد انقسموا إلى قسمين رئيسين.

---

(١) الطبرى، الرسل والملوك، ٥ / ٥٦٦.

(٢) المبرد، الكامل، ص ١١١.

(٣) الرسل والملوك، ٥ / ٥٢١، المقدسى. البدأ والتاريخ ٥ / ١٨.

القسم الاول . ممن أراد الخروج بزعامة نافع بن الأزرق ، وقد ساعدهم على الخروج الفتنة القبلية فى مدينة البصرة بين الأزد وربيعة ، وبنى تميم وقيس (١)

القسم الثانى : الذين لم يرتأوا الخروج ، وهم الأقلية ومنهم عبد الله بن أباض ، وعبد الله بن صفار ، ورجال معهما على رأيهما (٢) .

وقد تبع الإنقسام الأول انقسام فكرى وعقيدى ، كان له أثره فى سلوك الحركات الخارجية من حيث التطرف والاعتدال ، فقد تبرأ نافع بن الازرق من الذين تخلفوا عنه فى البصرة ، ولهذا كتب رسالة إلى عبد الله بن صفار وعبد الله بن أباض ، ومن تخلف من الخوارج فى البصرة يدعوهم فيها إلى وجوب الالتحاق به ، ووصف المسلمين ، من غير الخوارج بالشرك وجواز استعراضهم ، وعدم جواز مناكحتهم ، وموارثتهم (١). وقد حفظ المبرد نص الكتاب الذى أثار الجدل والانقسام العقائدى بين المحكمة الأولى، جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، والله أنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة ، والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ، ترون الظلم ليلا ونهاراً وقد ندبكم الله إلى الجهاد ، فقال : (وقاتلوا المشركين كافة) ، ولم يجعل لكم فى التخلف عذراً فى حال من الاحوال (٣) . وما أن وصل الكتاب حتى قرأه عبد الله بن صفار ، وأدرك ما تضمنته من أفكار متطرفة ، تثير

---

(١) الرسل والملوك ٥ / ٥٦٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٥ / ٥٦٨ .

(٣) المبرد، الكامل صد ١١٧ .

الشقاق والانقسام اذا لم يقرأه على الناس خشية أن يتفرقوا ويختلفوا[١] .
فوضعه خلفه .

فأثار ريبة واندهاش ابن أباض ، وجزعه على أخوانه ، وظنه أنهم قد أصيبوا ، وأسروا ، إلا أن ما ورد فى الرسالة قلب أفكاره رأسا على عقب ومن إشفاق إلى غلظة . ومن تولى ابن الأزرق إلى التبرى منه ، فقال عبد الله بن أباض رداً على الأفكار الواردة فى الرسالة ، آنفة الذكر : « قاتله الله أى رأى رأى ، صدق دافع بن الأزرق ، لو كان القوم مشركين . كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به ، وكانت سيرته كسيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى المشركين ، ولكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول : إن القوم كفار بالنعم والأحكام . وهم براء من الشرك ، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام[٢] » .

وقد أثارت آراؤه هذه إنشقاقا جديداً بين القعدة من خوارج فى البصرة فقد تبرأ منه عبد الله بن صفار ، واتهم ابن أباض بالتقصير ودافع بن الأزرق بالغلو ، وتبرأ منهما ، وأيده فى ذلك أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعى ، الذى ذهب إلى القول بجواز الإقامة بين المسلمين ، ومنا كحتهم وموارثتهم باعتبارهم منافقين ، لأنهم يظهرون الاسلام وحكمهم عند الله حكم المشركين[٣] ومن هنا تكونت الفرق الخارجية التى كفرت بعضها البعض الآخر ، كالصفرية ، والاباضية ، والبيهسية والازارقة . وقد كان الانشقاق ، والانقسام من ابسط الأمور وأبرز الظواهر لدى الحركات الخارجية فى هذه الحقبة ،

---

(١) الرسل والملوك ٥/ ٥٦٨ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المبرد . الكامل ص ١١٨ .

ولا يوجد هناك دليل تاريخي ، يثبت الرأى الذى طرحته الدكتورة سهير قلماوى . بأن انقسامهم خطة مدبرة للهجوم على الدولة الأموية [1] ، فلم يحدث ما يشير إلى وفاق بينهم ، بل على العكس من ذلك رأينا القتال بين الصفرية والاباضية فيما بعد [2] .

أبو بلال مرداس وأثره فى الدعوة الاباضية

هو أبو بلال مرداس بن عمرو بن حدير التيمي يعتبر من ابرز أئمة المحكمة الاولى وكانت جميع الفرق الخارجية بعد انقسامها تعتبره من أئمتها [3] إلا أن الاباضية هى الفرقة الاكثر تأثراً بسيرته ، فقد عرف بالزهد والتقوى وحسن السيرة ، وقد خرج فى عام ٦١ هـ على عبيد الله بن زياد بعد أن ضيق كثيراً على خوارج البصرة وأشار البسيوى إلى ذلك بقوله . « وصارت الدولة فى أيدى الجبابرة ، حيث ما سمعوا بأحد من المسلمين قتلوه أو حبسوه عبيد الله وأشياعهم . . فلما كثر الجور واستخف بالاسلام خرج عليهم المرداس بن حدير فيمن اتبعه [4] » وكان عدد الذين خرجوا معه أربعين رجلا نزلوا قرية آسك فى الاهواز ولم يكن « يدعى هجرة ولا ينتحلها ولا يخيف آمنا ولا يستحيل استعراضا ... ولا يغنم أموالا ولا يسبي ذرية ولا ينزل قومه منزلة أهل الاوثان . . » [5] وهذه السلوكية طبعت الاباضية فى معاركهم ومعاملتهم لأهل الخلاف من المسلمين ، وقد خالفتها الازارقة وخاصة

---

(١) د . سهير قلماوى ، أدب الخوارج ، (مصر ، ١٩٤٥) ص ٣٥ .

(٢) انظر الفصل الرابع من الرسالة ، ص

(٣) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٢١ أ .

(٤) البسيوى ، أبو الحسن على بن محمد . الحجة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان . ورقة ١٠

(٥) الرقيشى . مصباح الظلام ، ورقة ٢ أ

فيما يتعلق بالهجرة والاستعراض وتشريكهم للمسلمين . كما كان أبو بلال مرداس يؤمن بأخذ العطاء من السلطان الجائر ، فعدد ما مر به مال حمل لعبيد الله بن زيد أخذ منه أعطياته وأعطيات أصحابه ورد الباقي ، فطلب منه أصحابه أخذ المال كله ، فقال : أنهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم »[1] .

ومن آرائه كذلك أنه يلقي الحجة في الحرب على المخالف المسلم ولا يقاتل إلا من قاتله [2] . أي الدعوة أولا ثم الحرب ثانياً . وقد تركت سيرته هذه أثراً عميقا في سلوك الأباضية ، وخاصة فيما يتعلق بأخذ الأعطيات حيث ترد مثل هذه الأحكام في الفقه الأباضي ، وتمثل إنعكاسا لرأي أبي بلال مرداس[3] ويمكن أن نلاحظ آرائه في سلوك أبي حمزة المختار بن عوف إذ تركت ظلالها في خطبه التي ألقاها في الحجاز وفي مواقفه من أهل مكة والمدينة ومع الامويين كذلك ، وقد قتل أبو بلال مرداس من قبل عبيد الله ابن زياد عام ٦١ هـ . قتله عباد بن الأخضر[4] في موقعه آسك الشهيرة لدى الخوارج [5] .

(١) المبرد ، الكامل ، ص ٨٣ .

(٢) الدرجيني ، طبقات الاباضية ١ / ورقة ٦ . ب .

(٣) الشماخي ، السير ، ص ٩٠ .

(٤) الطبري ، الرسل والملوك ، ٥ / ٤٧١ .

(٥) قال الحموي ، وآسك « بلد من نواحي الأهواز قرب أرجان وكانت بها وقعة للخوارج ... » وفيها قيل شعر يعبر عن الصلابة والفداء في سبيل العقيدة الذي كان سر انتصارات الخوارج على قلتهم على الجيوش الاموية وكانت هذه الواقعة نموذجا لبقية الوقائع وفيها قال الشاعر الخارجي :

أألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلهم بآسك أربعونا =

العلاقة بين عبد الله بن أباض والدولة الأموية

لم تسعفنا النصوص التاريخية بمعلومات توضح العلاقه بين السلطة الزبيرية والأباضية أبان خضوع البصرة، لابن الزبير (٦٧ هـ - ٧١ هـ)، إذ كانت الأباضية فى بداية نشوئها وتبلور أفكارها، ويظهر أن التخفى، والكتمان كان السمة المميزة لها، ولم يكن يعنيها إقامة علاقات سياسية خلال هذه الحقبة، غير أنهم من وجهة نظر مبدئية لا يقرون مثل هذه الخلافة (١)

ويرى بعض المستشرقين أن الاباضية ربطت نفسها بعلاقة صداقة مع الزبيريين أيام مصعب وبعد اندحاره ساعدت بنى أمية. (٢).

على أننا نستطيع القول أن جميع الدراسات التى كتبت بهذا الشأن اعتمدت بالدرجة الاساسية على المعلومات التى وردت فى رسالة عبد الله بن أباض، لعبد الملك بن مروان (٣) كما أن هذه الدراسات اتخذت من مسألة العطاء الذى يأخذه الاباضية من السلطان الجائر أساساً لاتهام قادتهم بصداقة الأمويين، فقالوا بالعلاقة الودية بين عبد الله بن أباض وعبد الملك بن مروان والصداقة التى ربطت بين جابر بن زيد والحجاج بن يوسف الثقفى وإلى عبد الملك بن مروان على العراق، إذ كان يعطى عطاء لجابر بن زيد فاستدل

الحموى، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان مج ١، (طهران، ١٩٦٥) ص ٦١.

(١) عبد السلام، جعفر بن أحمد، أبانة المناهج فى نصيحة الخوارج، ورقة ١٥٥ أ.

(٢) Rubinacci, R, The Ibadis, Religion in the Middle East. Edi, A.J Arbery, Gambridge. 1969. Vol. 2. P. 303.

(٣) سيرة ابن أباض، ورقة ١ — ١٠ — الجواهر المنتقات، ص ١٥٦ — ١٦٧.

الدكتور دكسن عبد الامير على حسن هذه العلاقة السياسية بدليل أن الفرقة الاباضية شهرت السيف بوجه خليفة عبد الملك بن مروان عندما ترك هذه السياسة [١] .

وذهب الدكتور فاروق عمر إلى القول . بأن عبد الملك بن مروان قد أفلح بإقناع عبد الله بن أباض بسياسة (القعود) بل نجح فى إشغاله بأمور الفكر والعقيدة . [٢] ،

يستنتج من هذه الدراسات القول بأن عبد الملك بن مروان استطاع أن يتدخل فى توجيه نشاطات الاباضية لمصالحه السياسة .

والواقع أن المقدمات التى بنيت عليها هذه الأحكام يمكن رفضها للأسباب الآتية :

فمن ناحية القعود علم أن الأباضية كانت تقول بالقعود قبل خلافة عبد الملك بن مروان عام ٦٥ هـ ، وقد انقسم المحكمة الأولى حين أظهر نافع رأيه المتطرف فى أطفال المسلمين والقعدة من الخوارج عام ٦٤ للهجرة [٣] ، وهذا السلوك (القعود) يعود إلى طبيعة الظروف التى قدرها قادة الدعوة ، فقد لازم القعود الدعوة الأباضية أبان خضوع البصرة لعبد الله بن الزبير ، واستمرت بسياسة الكتمان حتى خلافة مروان الثانى عام ١٢٩ /٧٤٦ م . ولم تشر المصادر الأباضية أو غيرها من المصادر الأخرى إلى إشهار السيف

---

(١) د . عبد الأمير دكسن ، الخلافة الأموية ٦٥-٨٦ هـ /٦٨٤-٧٠٥م (بيروت ، ١٩٧٣) ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٢) د . عمر ، فاروق ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثانى ، ١٩٧٥ ، ملامح من تاريخ حركة الخوارج الاباضية ، ص ١٧٢ .

(٣) المبرد ، الكامل ص ١١٢ . - الرسل والملوك ، ٥/٥٦٧ .

بوجه خليفة عبدالملك بن مروان لأنه غير سياسته اتجاه الدعوة الأباضية (١).

وسنرى أن القعود كان إيجابيا على ضوء النتائج السياسية التى حصلت عليها الدعوة الأباضية فيما لو قورنت بالحركات الخارجية التى اتسمت بالعنف والتى قادها الأزارقة ومن سبقهم من الخوارج، فالقعود إذن لا يعنى بأى حال أن العلاقة كانت ودية بين الأباضية والسلطة الأموية آنذاك.

أما من ناحية العطاء، فالاباضية تقر أخذ العطاء من السلطان الجائر وترى ذلك حقا من حقوقها الشرعية، لذا من الصعوبة بمكان الحكم على قائد من قواد الدعوة الأباضية بأنه استكان للأمويين، وأصبحت علاقته ودية مع الحجاج بن يوسف الثقفى، لأنه يستلم منه عطاء (٢).

وتشير بعض الروايات أن النسوة الاباضية رفضن أخذ العطاء من الوالى الأموى بعد وفاة جابر بن زيد، فقلن أنه حرام، فنهاهن أبو حمزة

(١) عبدد. الأمير دكسن، الخلافة الأموية، ص ٢٠٧.

(٢) الدرجيلى، طبقات الاباضية ١ / ورقة ٩١ ب، الشماخى السير، ص ٩٠ وضمام فى النص أعلاه. هو ضمام بن السائب أحد الدعاة الأباضية أخذ وعذب فى سجن الحجاج بن يوسف الثقفى مع الإمام الاباضى ابن عبيدة مسلم بن أبى كريمة الشماخى، السير ص ٨٧.

بما أن الاباضية كما ذكرنا يعتبرون أبو بلال مرداس إماما من أئمتهم الاوائل فإن الاباضية أخذته قدوة لها فى هذا الحكم، يقول أبو المؤثر رداً على موسى ابن موسى بن على: «فإن زعم موسى أنه منع المرداس من أخذ المال أن أصله كان حراماً لانه من جمع الجبابرة فمن جهل موسى على المرداس، كيف يستحل المرداس أن يأمر أصحابه أن يأخذوا أعطياتهم من مال حرام بل كان حلالا وما أخذوا عطاءهم إلا من الحلال وهم أيسر ورعها وأكثر علما وما كانوا يستحلون غصب مال السلطان ولا غيره». أبو المؤثر، الاحداث والصفات، ورقة ٨.

الاشعث أحد مشايخ الاباضية ، وأعظم ذلك عليهن وقاله : أما إذا زعمتن ذلك فأنكن تقدمن على جابر بن زيد وأبي بلال وأصحابه ، فانهم ماتوا وهم يأخذون أعطيتهم . قال وبلغ ذلك ضماما فاشتد في ذلك ، وعظم عليه قولهن قال فرجعن واستغفرن الله ولم يعدن إلى ذكر شيء من ذلك »[١] .

ومن ناحية ثالثة تجمع النصوص التاريخية عن الرواية الأباضي المعروف أبي سفيان محبوب بن الرحيل : إن الحجاج بن يوسف قام بنفي جابر بن زيد إلى عمان مع أحد المشايخ الأباضية المسمى هبيرة[٢] . كما رفض جابر بن زيد تقلد منصب القضاء في البصرة حين عرض عليه الحجاج ذلك[٣] وسجن ابو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مع عدد من الدعاة حتى وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٩٥ هـ / ٧١٣ م ، وبعدها أطلق سراحهم[٤] ، كل هذا جرى في مرحلة الكتمان القعود) .

وعلى هذا يمكن القول أن سياسة القعود لازمت الدعوة الأباضية حتى بعد وفاة عبد الملك ، و دخل له بهذه السياسة ، كما أن العطاء لا يقيم دليلا على حسن سلوك الأباضية وعلاقتهم الودية بالسلطة الأموية .

إن دراسة رسالة عبد الله بن أباض لعبد الملك بن مروان دراسة فاحصة[٥] ، تظهر أن المضامين التي احتوتها الرسالة لا يفهم منها وجود علاقة ودية أو حتى الرضى عن المنهج الذي اتبعه عبد الملك . ويمكن ملاحظة

---

(١) الشماخي ، السير ، ص ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٧

(٣) الدرجيني ، طبقات الأباضية : ورقة ٩٢ ب

(٤) المصدر السابق ١ / ورقة ، ١٠٦ أ .

(٥) السير العمادية ، سيرة عبد الله بن اباض ورقة ١ - ٠ ٠ .

عدة أمور احتوتها الرسالة ، كالهجوم على البيت الأموى واتهامه بكل أنواع الظلم والخروج على الشريعة اعتباراً من الخليفة عثمان ومعاوية ابن أبى سفيان وابنه يزيد الذى وصفه بالفسق وشرب الخمرة ، وتفنيد آراء عبد الملك فيما يخص الخليفة عثمان ، وتعديد مثالب معاوية ويزيد ووصفهم بالفسق والكفر واللعنة [١] ، ويظهر البراءة منهم إذ يقول : « فاتق الله يا عبد الملك ، ولا تخادع نفسك فى معاوية . . فمن يتولى عثمان ، ومن معه فأنى أشهد الله وملائكته أنى منهم برىء ، أعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا نعيش على ذلك ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه إذا بعثنا ، ونحاسب بذلك عند الله [٢] » .

ولا يعترف عبد الله بن أباض فى الرسالة لعبد الملك بن مروان بأمرة المؤمنين أو الخلافة بل يخاطبه فى عدة موارد بالاسم المجرد يا عبد الملك [٣] .

والأنكى من ذلك عبد الملك حين اتهم ابن أباض بالغلو — كما يظهر

= البرادى ، الجواهر والمنتقات ، ص ١٥٦ - ١٦٧ . - كشف الغمة ورقة ١٩٩ ب ٢٠٧ أ .

(١) سيرة ابن أباضى ، ورقة ٧ الجواهر المنتقات ، ص ١٦٤ . كشف الغمة ٢٠٥ أ - ٢٠٥ ب .

(٢) الجواهر المنتقات ، ص ١٦٤ . وردت بعض الاختلافات فى نصوص الرسالة بين المصادر الأباضية ، ولكن هذه الاختلافات لا علاقة لها بالمعنى وعلى سبيل المثال « ولا تخادع فى نفسك » ، وردت فى رسالة ابن أباضى فى سيرته بزيادة حرف الجر فى عن النص أعلاه الذى أورده البرادى . وكذا ورد فى رسالة ابن أباضى قوله « ولكن يكون يتولى عثمان ومن بعده فأنا اشهد الله » . سيرة ابن أباضى ورقة ٧ .

(٣) سير ابن أباضى ، ورقة ١ ، ٢ ، ٧ . الجواهر المنتقات ، ف ١٥٦ ، ١٥٨ .

من الرسالة — رد ابن أباض عليه مفسرا معنى الغلو بقوله :

« والغلو فى الدين أن يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتاب الله الذى من وقال يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق [1] » ، كما أن عثمان والأئمة من بعده وأنت بعد على سبيلهم وطاعتهم تجامعهم على معصية الله ، وتتبعهم ، وقد اتبعوا اهواءهم ، واتبعتهم أنت عليها ، وقال الله عز وجل . ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل ، فهؤلاء أهل الغلو فى الدين [2] » .

وواضح من هذا النص اتهامه لعبد الملك بالمعصية والضلالة ، وهذا الاتهام لا يمكن بأى حال أن يفهم منه العلاقة الودية بين عبد الملك وعبد الله ابن أباض . ولكن هذا الخط المستدل ، ومنهم عبد الله بن أباض ، عرفوا بالقاء الحجة على المخالف حتى فى القتال ، وكما هو واضح من الرسالة أن عبد الله بن أباض أراد أن يعرض مبادىء فرقته على عبد الملك بن مروان ، وقد أفاد ذلك عبد الملك بن مروان فى تحديد موقفه من هذه الجماعة ، وأغلب الظن أن عبد الملك بن مروان أراد برسالته أن يستوضح أفكار هذه الفرقة الجديدة المعتدلة فى آرائها ، إذ يظهر ابن أباض رأيه فى الأزارقة والبراءة منهم :

« أنا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه [3] » وقد استفاد عبد الملك من موقف الأباضية هذا فى فترة ازدحمت بالأحداث والاضطرابات

---

(١) المصدر السابق ، ورقة ٧ . ـ الجواهر المنتقات ، ص ١٦٣ .

(٢) سيرة ابن أباض ، ورقة ٧ . ـ المنتقات ، ص ١٦٤ ، كشف الغمة ٢٠٥ ب .

(٣) الجواهر المنتقات ، ص ١٦٥ ورد النص أعلاه فى سيرة أبن أباض بالشكل الآتى : « إذا برىء إلى الله ومن ابن الأزرق واتباعه » . ورقة ٨ .

الخارجية التى هددت مدينة البصرة ، وأقاليم الخليج العربى الغربية إضافة إلى كرمان ، وفارس ، والأهواز ، وغيرها من الولايات الشرقية التى كانت مسرحا للأزارقة من عام ٦٤ هـ حتى سنه ٧٨ هـ [١] .

وفى اليمامة كان نجدة بن عامر الحنفى ، الذى شمل نطاق نشاطه إضافه إلى اليمامة حضرموت وأجزاء من اليمن والبحرين والطائف وعمان . [٢]

هذا الموقف المعتدل من قبل الأباضية فى أثناء هذه الاضطرابات العنيفة من قبل الحركات الخارجية ، دفع بعض المؤرخين إلى القول بالعلاقة الودية بين الأباضية والأمويين ، وكان من مصلحة عبد الملك أن لا يثير له متاعب جديدة ، ومن مصلحته السياسية كذلك قعود الأباضية ، على أن ذلك لا يمثل بأى حال موقف الأباضية السياسى من حاكم ، غير شرعى بالنسبة إلى معتقداتهم حيث اتهمه عبد الله بن أباض بالمعصية والضلالة [٣] .

ويظهر من النصوص التى جاءت فى خاتمة الرسالة أن هناك إشارة من عبد الملك باغراءات دنيوية لا نعلم كنهها وحقيقتها ، قوبلت بالرفض من قبل عبد الله بن أباض « ولا تعرض بالدنيا وليست من حاجتى ، ولكن لتكون نصيحتك لى فى الدين ولما بعد الموت فأن ذلك أفضل النصيحة » [٤] .

---

(١) الدجيلى ، محمد رضا حسن ، فرقة الأزارقة ، (بغداد ، ١٩٧٣) ، ص ١٢٩ .

(٢) د . دكسن ، عبد الامير ، الخلافة الأموية ، ص ١٧٧ .

(٣) الحضرمى ، أبو اسحاق ، ابراهيم بن قيس ، مختصر الخصال ، باب ذكر ماتتم به الولايه ، ورقة ٧٠ ب .

(٤) البرادى ، الجواهر ، ص ١٦٧ . ورد النص أعلاه فى سيرة ابن أباض بالشكل الاتى : « فلا تعرض لى بالدنيا فإنى لا رغبتى فى الدنيا » وهكذا نلاحظ الاضطراب بالنصوص ربما من قبل ناسخ السيرة فوقعت زيادات طفيفة =

وصفوة القول أن سياسة الدعوة الأباضية اتسمت بالقعود والكتمان ، إذ كانت الأباضية فى بداية نشوئها ، وقد استفادت الدولة الأموية بصورة غير مباشرة من هذه السياسة فى هذه الحقبة نفسها . إلا أن هذا القعود والكتمان لم يكن يعنى بأية حال من الأحوال العلاقة الودية بين السلطة الأموية والأباضية .

النشاط السرى للدعوة الأباضية .

ان كتب السيرة الأباضية تحوى روايات متفرقة عن حياة الدعاة الاباضية، وكذلك عن طبيعة التنظيمات وأساليبها [١] . ومما يوثق هذه المعلومات ، ويقيم الدليل على صحتها ، أن الراوية أبا سفيان محبوب بن الرحيل ، كان قد عاصر هذه التنظيمات ، وقد وصلتنا رواياته فى مجموعة من المصادر الأباضية المختلفة [٢] .

أما رسالة ابن عبيدة مسلم بن أبى كريمة . لدعاة المغرب فهى تمثل العلاقة التنظيمية والصلة الوثيقة بين الدعاة الأباضية فى المشرق والمغرب .

وتقيم الدليل على سرية العمل فى مدينة البصرة مركز الدعوة الأم للتنظيم

= وتقديم وتأخير فى بعض الكلمات . سيرة ابن أباضى ورقة ٩ .

(١) انظر ، الدرجينى ، طبقات الأباضية . ـ الورجلانى : أبو زكريا يحي ابن ابن أبى بكر ، السيرة وأخبار الأمة ، الشماخى السير .

(٢) الدرجينى ، طبقات الأباضية ، ورقة ١٠٣ - ١١٦ ب على سبيل المثال. البرادى ، رسالة البرادى فى الاشارة إلى الكتب المشرقية والمغربية . ورقة ٢٠٦ ب . — الشماخى السير ص ٨٠ — ١١٩ — الجيطالى، اسماعيل بن موسى ، قناطر الخيرات ق ١ ،) القاهرة ١٩٦٥) ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

الأباضى لا سيما وأنها وردت فى مدونة أبى غانم بشر بن غانم الخرسانى احدى أقدم المصادر فى الفقه الاباضى ، وهذه الوثيقة تقيم دليلا على استمرار التنظيم الأباضى حتى مطلع العقد الرابع من القرن الثانى الهجرى أبان قيادة أبى عبيدة مسلم الدعوة الأباضية [١] .

وهناك نصوص متظافرة تتكلم بوضوح على المجالس السرية فى الدعوة الأباضية ، وقد انعكست الظروف التى مرت بها الدعوة فى مراحلها الأولى أبان التنظيم السرى (الكتمان) ، فى كتب الفقه الأباضى ، ويمكننا أن نقول أن كتب الفقه الأباضى جارت الواقع السياسى الذى عاشته الدعوة . فالزكاة — على سبيل المثال — أحكامها فى حالة الكتمان والظهور من حيث جمعها وتوزيعها [٢] . والامامة لها أحكامها أيضا فى مثل هذه الحالات [٣] .

فالكتمان والظهور إذن مرحلتان طبيعيتان فى مسار الدعوة الأباضية ، وكل من المرحلتين لهما ميزاتهما السياسية والفقهية .

فالكتمان [٤] بحاجة إلى طريقة أو اسلوب فى العمل وخاصة بالنسبة إلى جماعة لها أهداف ونظرات فى السياسة والحكم . ويمكن تعريف الكتمان

---

(١) الخرسانى ، أبو غانم بشر بن غانم ، رسالة فى الزكاة لأبى عبيدة مسلم ابن أبى كريمة ، ضمن مدونته الصغرى ، ورقة ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) الجيطالى ، شرح قواعد الإسلام ، ورقة ١٣٧ أ – ١٣٠ أ ، بحث فى الزكاة فى حالة الظهور والكتمان .

(٣) الحضرمى ، أبو اسحاق ، ابراهيم بن قيس ، مختصر الخصال ، ورقة ٧ ب .

(٤) أبو حفص ، عمر بن جميع الأباضى : شرح مقدمة التوحيد : ورقة ١٦ ب . قال فى الكتمان أنه : « أحد مسالك الدين الأربعة ، وهو سلوك طريق الظهور » .

لدى هذه الدعوة بأنه يمثل أدنى مراحل الضعف ، وبسبب هذا الضعف تلجأ الدعوة إلى الكتمان لبناء نفسها والاستعداد للظهور . ولذا سنحاول أن نكون صورة واضحة المعالم للنشاط السرى ، للدعوة الأباضية فى مدينة البصرة .

بداية التنظيمات السرية فى البصرة :

لا نعلم متى بدأ التنظيم السرى للدعوة الأباضية وتشير بعض النصوص إلى بدايته على عهد الإمام جابر زيد (٢١ — ٩٣) ولا تتطرق المصادر المتوفرة لدينا عن أى دور يذكر لعبد الله بن أباض فى النشاط السرى للدعوة الأباضية [١] . وبهذا يكون الأمام جابر بن زيد واضعا الأسس التنظيمية الأولى للدعوة ، ومن المحتمل أن الجماعة المعتدلة من المحكمة الأولى لجأت إلى هذا الأسلوب نتيجة لحملات الإبادة التى تعرض لها الخوارج فى البصرة فى عهد زياد بن أبيه وابنه عبيد الله ، لا سيما وأن هذه الحملة شملت من كان يدين بالاستعراض [٢] ، ومن كانت سمته الأعتدال : كأبى بلال مرداس [٣] يقول الرقيشى « وقد بلغنا أن أبا بلال مرداس ابن حدير رحمه الله وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلا بأمر أمامهم جابر بن زيد العمانى .. ومشورته ويحبون ستره عن الحرب لئلا تموت دعوتهم ليكون رداءهم » ، ومن هذا النص يتضح أن رأس الدعوة فى عهد عبيد الله بن زياد جابر بن زيد ومما زاد الجماعة المعتدلة من المحكمة قناعة باتباع هذا الطريق فشل الكثير من

---

(١) الشماخى ، السير ، ص ١٠٨ . ولد جابر لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب . ـ الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ، ورقة ١٦ ب.

(٢) الاستعراض : مصطلح تأريخى اقترن بالفرق المتطرفة من الخوارج ودانت به الأزارقة بصورة خاصة . المبرد الكامل ص ١١٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

الحركات الخارجية المتطرفة فى اتباع أسلوب العنف الذى اتبعه الازارقة وغيرهم [١] .

ومما يؤكد أن جابر بن زيد كان المسئول عن التنظيم السرى الأباضى النص الذى رواه أبو سفيان عندما اعتقل أحد مشايخ الدعوة الأباضية المسمى أبو سفيان قنبر « وكان شيخاً كبيراً أخذ وجلد أربعمائة سوط على أن يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل . قال جابر بن زيد وكنت قريباً منه ، وما كنت انتظر إلا أن يقول هذا هو فعصمة الله [٢] » ، ومن المعلوم أن جابر بن زيد كان من الشخصيات العلمية البارزة آنذاك ليس لدى الأباضية فقط بل لدى عامة المسلمين وعلمائهم خاصة ، فقد ترجم له خليفة بن خياط فى كتاب الطبقات ، باعتباره أحد أئمة الحديث ، يقول عنه « وجابر بن زيد من اليحمد ، ولم يشرا إلى مذهبة [٣] ، وقال الرازى فى الجرح والتعديل : « ابو الشعثاء الأزدى اليحمدى ، روى الحديث عن ابن عباس والحكم بن عمرو وابن عمرو روى عنه عمرو بن دينار » ، فهو من أئمة الحديث الموثقين لديه ، وقال أبو زرعة عن جابر بصرى أزدى ثقه إلا أنه يورد رواية عن جابر بن زيد حين سأل عن انتحال الاباضية له ، فقال : أبرأ إلى الله من ذلك [٤] ، وليس من المعقول أن يقول جابر أنا إمامهم

---

(١) الدجيلى ، محمد رضا ، فرقة الأزارقة ، رسالة ماجستير (بغداد ، ١٩٧٣) .

(٢) الشماخى ، السير ، ص ٩٣ .

(٣) ا . ، خياط ، كتاب الطبقات ، ص ٢١٠

(٤) الرازى ، أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن أدريس ، كتاب الجرح والتعديل ، مج ١ ق (حيدر آباد ، ١٩٥٢) ، ص ٩٤ - ٤٩٥ .

لسائله . وقال عنه البستى : « من علماء التابعين بالقرآن وفقهاء البصرة فى الدين »[1] .

أما الشهرستانى فقد عدة من علماء الخوارج المتقدمين[2] . ومن هذا العرض تظهر المكانة الاجتماعية والعلمية ، التى يتمتع بها جابر بن زيد أنذاك غير خافية على أحد ، ولم تكن شخصيته مغمورة لدى الأمة ، فالنص الذى أورده الشماخى ، يدل بلا شك على أن جابر بن زيد هو المسؤل عن تنظيمهم أنذاك « وما كنت أنتظر إلا أن يقول هذا هو فعصمه الله[3] » ، أى أن جابر بن زيد كان ينتظر من أبى سفيان قنبر أن يقول : جابر بن زيد إمامنا ورأس أمرنا ، إلا أن صلابة أبى سفيان قنبر حالت دون انكشاف أمره . ولقد كان للصلابة التى أبداها الدعاة الاباضية ، فى مواجهة السلطة الأموية ، والحيطة والحذر وبث العيون حول مجالسهم السرية ، قد مكن التنظيم الاباضى من النمو والاتساع . ولم تستطع السلطة الأموية فى البصرة أن تضع يدها على أى مجلس من مجالسهم السرية ، قال ابو سفيان محبوب ابن الرحيل : « وما بلغنا أنهم ظفر بهم فى مجلس قط إلا أنهم كانوا ذات مرة فى عهد زياد وابنه أتاهم الخبر بأن الخيل تريدهم فخرجوا مسرعين وتركوا نعالهم على باب البيت الذى كانوا فيه ، فجاء الشرط فنظروا إلى النعال ، فقالوا للعجوز صاحبة البيت : ما هذه النعال فقالت : مكاتب لنا يسأل الناس فيعطى النعال وغيرها ، قالوا بالله ما ذلك كما ذكرته ، فان هذا موضع

---

(١) البستى : محمد بن حيان ، كتاب مشاهير علماء الأمصار (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ص ٨٩ .

ابن العراق . نعمان بن محمد ، معادن الجوهر بتاريخ البصرة والجزائر ، (إسلام آباد ، ١٩٧٣) ، ص ٤٢ .

(٢) الشهرستانى ، الملل والنحل ، (القاهرة ، ١٩٦١) ، ص ١٣٧ .

(٣) الشماخى ، ص ٧٧ .

ريبة قال فقال بعضهم قد ذكرت العجوز ما ذكرت ، فلا تعرضوها للبلاء فلعلها أن تكون صادقة ، قال : فعافاها الله منهم [1] » . ويتضح هنا أن لهذه المجالس رقباء وعيون تحرسها ، ولذا خرجوا قبل مداهمة الشرطة لهم . وزيادة فى التستر والكتمان ، فقد كان حضورهم إلى المجالس السرية وخاصة فى عهد زياد بن أبيه وابنه عبيد الله فقد ابتكروا طرقا جديدة فى التستر والتنكر ، فكانوا « يأتون المجالس أيام زياد وابنه فى هيئة النساء فى النقاب وغير ذلك يتشبهون بالنساء . . وكان أحدهم ليحمل على ظهره جرة بماء ويحمل حملة متاع كأنه يباع حتى يدخل المجلس [2] » ، ويظهر هذا النص المدى البعيد ، الذى اتبعه الدعاة الاباضية للتستر على مجالسهم ، ويعكس فى نفس الظروف القاسية والبطش الشديد ، الذى الجأهم إلى التنكر بهذه الصورة للحفاظ على دعوتهم ، بعيداً عن أعين الرقباء .

وقد ساهم الامام الاباضى جابر بن زيد فى أحكام التنظيم الاباضى ، ففى نص فقهى مدعم بدليل تاريخى يشير إلى سرية التنظيم ودور جابر بن زيد ، فقد سلط الضوء على جانب مهم من الجوانب السرية للكتمان وهذا الجانب يتمثل فى موقف زعماء الدعوة الاباضية من الخارج عن التنظيم الاباضى ، فلو خرج هذا الخارج من الدعوة الاباضية ولم يطعن فيهم ، ويدل على عوراتهم ، تركوه وشأنه ولكن يوجبون بغضه وعداوته ، « وإن خرج من مذهب المسلمين وخالفهم وطعن فى مذهبهم وعاب منهم فقد حل قتله واغتياله بأى سبب وصلوا إلى هلاكه وقتله كما فعل الامام الصالح جابر بن زيد رحمه الله حين سأل عن أفضل الجهاد ، فقال للسائل أفضل الجهاد قتل

---

(١) الدرجينى ، طبقات الاباضية ١ / ورقة ١٠٧ أ .

(٢) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، ١ / ورقة ١٠٧ أ . الشماخى ، السير ص ١٠٨ .

خردلة[1] ، فأخذ أحد الغلمان الأباضية خنجراً مع رجل منهم ، فدله على خردلة فقتله فى المسجد . وقال الجيطالى شارحاً لهذا النص : « وكان خردلة هذا فيا وجدت من أهل هذه الدعوة ، ثم خرج منها وتركها ، فجعل يطعن على المسلمين ويدل على عوراتهم فلذلك استحل جابر قتله[2] » .

وإذا قارنا هذا النص بنصوص أخرى فيما يتعلق بموقف الأباضية من القتل يمكن توضيح هذا النص ، ذلك أن الأباضية لا تستحل دماء مخالفيهم من المسلمين إلا فى حالة الحرب ، وبعد إلقاء الحجة على المخالف « وتحل الدماء بالظلم والابتداء به »[3] ولهذا ، فمقتل خردلة له معناه السياسى ، لأنه شكل خطراً على حياة الدعوة وهو أفشاء أسرارها ، فكان قتله أفضل الجهاد فى تلك الحقبة العصيبة من حياة الأباضية .

ويظهر أن النشاط الأباضى بدأ يشكل خطراً على سلطة الحجاج بن يوسف الثقفى ، فى عهد الأمام جابر بن زيد ، لذا عمد الحجاج إلى نفيه إلى عمان مع أحد مشايخ الدعوة المسمى هبيرة[4] . وقد استفادت الدعوة الأباضية بصورة غير مباشرة من نفى جابر إلى عمان حيث بذرت بذورها الأولى

---

(١) الجيطالى ، شرح قواعد الاسلام ، ورقة ٢٥ ب ، ٢٦ أ .

(٢) خردلة . اسم لشخص دخل فى تنظيم الأباضيه وخرج منهم وأفشى أسرارهم لهذا استحلوا قتله .

(٣) الجيطالى ، شرح قواعد الاسلام ورقة ٢٦ أ .

(٤) البسيوى ، أبوالحسن على بن محمد العمانى ، مختصر البسيوى ، (زنجبار ١٣٠٤ هـ) ص ٨ .

هناك[1] . وقد قام الحجاج بن يوسف باعتقال جابر وحبسه . فحين سأله عن الخنث كيف يورث « فقال تحبسونى وتستفتونى[2] ؟ » .

ويظهر أن العلاقة بين الحجاج وجابر قبل حبسه ونفيه إلى عمان اتسمت بالود . وكان لكاتب الحجاج يزيد بن أبى مسلم دوراً كبيرا فى تحسين هذه العلاقة ، لأنه يرى رأى الخوارج[3] ويحتمل أنه كان يهون من أمر الأباضية لديه . وقد التقى الحجاج بن يوسف بجابر بواسطة يزيد بن أبى مسلم ، ولما كانت لجابر شخصية علمية بارزة ، فقد عرض عليه الحجاج أن يشغل منصب القضاء ، « قال لا ينبغى أن تؤثر بك أحد نجعلك قاضياً للمسلمين[4] » . وقد رفض جابر بن زيد هذا العرض . تظاهرا بضعف الشخصية والكفاءة وقال للحجاج : « يقع بين المرأة وخادمها شر فلا أحسن أن أصلح بينهما » ، ويبدوا من جوابه هذا أنه أراد أن يظهر للحجاج عكس ما يبطن من شخصيته .

وعندما طالب جابر بن زيد بعطائه المقطوع عنه ، قال له الحجاج : « هذا لا يستقيم أن نعطيك من بيت مال المسلمين ولا نستعملك لهم[5] » .

وقد اقترح يزيد بن أبى مسلم على الحجاج مقابل ذلك ، أن يعمل جابر

---

(١) وهبيرة هو جد الرواية لهذه الأخبار ، أبو سفيان محبوب بن الرحيل ابن هبيرة بن سيف من قريش . الرقيش ، مصباح الظلام ٢٢ أ .

(٢) الدرجينى ، الطبقات ، ١ / ورقة ١١٩ أ .

(٣) المصدر السابق ، ١ / ورقة ٩٣ ب .

(٤) المبرد ، الكامل ، ص ٥٢ .

(٥) الشماخى ، السير ، ص ٧٤ .

فى (ديوان المعاملة) فى البصرة ، وقد كتب يزيد بن أبى مسلم لصاحب ديوان البصرة أن لا يكلف الشيخ مؤودة العمل ويعطيه عطاءه كاملا ، وكان عطاؤه سبعمائة درهم أو ستمائة درهم[1].

ومن هذا العرض واستقرائنا للنصوص السابقة ، يتضح لنا الدور الكبير الذى قام به جابر بن زيد فى مرحلة الكتمان أنه المؤسس للنظام السرى فى الدعوة الأباضية فى البصرة فى العقد السادس من القرن الاول الهجرى[2]. وليس كما رجح الدكتور محمود اسماعيل : بأن التنظيم الأباضى بدأ فى العقد الأخير من القرن الأول الهجرى[3] ، لأن جابر بن زيد توفى فى مطلع العقد الأخير من القرن الأول (عام ٩٣ للهجرة[4] وقيل سنة ٥٦ للهجرة[5].

ازدهار التنظيمات الأباضية :

بلغ التنظيم الاباضى أوج نشاطه حين تبلورت تنظيماته ، على يد أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة الداهية السياسى ، الذى يعتبروا واحدا من الشخصيات

---

(١) الدرجينى ، طبقات الأباضية ، ١/ ورقة ٩٢ ب .

(٢) الدرجينى ، طبقات الأباضية ١ / ورقة ١٠٧ أ . - الشماخى ، السير ص ١٠٨ .

(٣) د اسماعيل ، محمود . الحركات السرية فى الإسلام (القاهرة ، ١٩٧٣) ص ٣٢ .

(٤) العصفرى ، خليفة بن خياط ، الطبقات ، (بغداد ، ١٩٦٧) ، ص ٢١٠ . الرازى ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ، كتاب الجراح والتعديل ، ج ١ ق ١ (حيدر آباد ، ١٩٥٢) ص ٤٩٤ .

(٥) الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ، ورقة ١٦ ب ، ١٧ أ .

اللامعة فى مجال التنظيمات السرية ، فى تلك الحقبة من تاريخ الأمة الاسلامية، ويدل على ذلك لقبه الذى يعرف به قال الشماخى عنه : « وهو مولى لبنى تميم قيل أنه أعور يعرف بالقفاف ، وأمتحن وأذاه الحجاج بالسجن »(١) .
وقد أصبح لقب القفاف من أبرز القابه ، وأصله أن أبا عبيدة كان يتظاهر بعمل القفاف عند تدريبه للدعاة الاباضية ، حينما يلمح عيون السلطة الأموية أو العباسية .

ورغم المحن التى مر بها أبو عبيدة مسلم ، فقد برهنت هذه المحن على صلابته وصدق ، إيمانه بدعوته ، وعدم انكشاف أمره ، فعندما تعرض ... الحجاج بن يوسف الثقفى هو وأحد مشايخ الدعوة المسمى ضمام ابن السائب للسجن مدة طويلة استمرت حتى وفاة الحجاج بن يوسف الثقفى فى شوال عام ٧١٣/٩٥ م ، ولم يكشف أمرهما رغم العذاب ، وظروف السجن السيئة ، وليست لدينا معلومات فيما إذا كان هناك توافق بين نفى جابر بن زيد إلى عمان وسجن أبى عبيدة وضمام ، ويبدو أن الحجاج قد أدرك خطورة تأثيرهم ، فعمد إلى هذه الاجراءات للحد من نشاطهم .

وقد برزت فى هذه الحقبة بمجموعة من المشايخ الاباضية ، على قدر كبير

---

(١) الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ، ورقة ١٦ ب .
وقد ذكر الجاحظ أن أبا عبيدة مسلم بن كورين ـ والصحيح ابن أبى كريمة وربما وقع خطأ فى الاسم بسبب تحريف النساخ ـ من رؤساء الخوارج وعلمائهم وهو مولى لعروة بن أذينة . الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين (بيروت ١٩٤٨) ٢ / ١٨٠ .
(٢) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، ١ / ورقة ١٠٩ أ . — الشماخى ، السير ص ٨٧ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، (بيروت ، ١٩٦٧) ٤/١٣٢ .

من الذكاء بأمور السياسة ، والحرب معا ، وظهر تأثيرهم واضحا فى تقدم نشاط الدعوة وأساليبها .

وقد ظهر . بشكل خاص من الشخصيات البارزة فى ميدان التنظيم السياسى شخصية فذة إلى جانب ابى عبيدة مسلم ، وهى شخصية حاجب أبى مودود الطائى (١) ، وتظهر كفاءته فى حل المشاكل التى كانت تحدث فى الدعوة ومراقبة مجالس الدعاة والحفاظ عليها ، بشكل لا يسترعى انتباه السلطة الأموية ، فقد أرسل إلى أحد الدعاة النشطين الذين كانت تعقد المجالس فى بيوتهم ملاحظتين يؤاخذ عليهما الأولى : كثرة الجماعة التى يضمها المجلس وهذا مناف للسرية ، والثانية : أن الجيران تسمع كلامهم وهذا الأمر يشى بهم لدى السلطة . فأرسل إليه محذرا فقال له : « أرفق على نفسك يا عبد الملك ما هذا الذى بلغنى أنكم تفعلوا ، قال : أنا لنفعل وأن أمرتنا أن لا نفعل تركنا (٢) » ويتضح من هذا النص استجابة الدعاة لمشايخ الدعوة الأباضية .

وقد بين حاجب الأسباب الموجهة لهذا الحذر ، فى النشاط الشرى بأنه الأساس فى استمرار ، وبقاء الدعوة الأباضية ، ولوكان الخوف ظلا ملازما لحياتهم . أما الشجاعة والظهور أمام عدو ومتسلط يمكنه تخريب مدعوة فيما لو أطلع على أمرارها « فسكت — أى حاجب — طويلا فقال لئن تخافون وتعمرون ، لأحب إلى من أن لا تخافون وتخربون ، أعمروا

---

(١) الدجينى ، طبقات الاباضية ١ / ورقة ١٠٦ أ . وقال عنه الازكوى هو أبو مودود جيب بن حفص بن حاجب . - كشف الغمة ، ورقة ٣٨٩ ب .

(٢) الدرجينى ، طبقات الأباضية ، ١ / ١٠٧ أ . الشماخى ، السير ، ص ١٠٧ .

مجالسكم فان الله يحفظكم [١] » وكان حاجب هذا يلقن الدعاة أساليب المخاطبة « فيما يرد به فيه [٢] » . ويظهر هذا واضحا فى تعاليمه لعبد الملك الطويل ، لكى يميز بين الأشخاص الذين يمكن أن يستفيد منهم الدعاة الاباضية بعد موعظتهم ، وأولئك الذين لا رجاء فيهم ممن يشغبون ، ويمينون ، فيجب على الدعاة فيما لو توفرت هذه الصفات فى شخص ما طرده من مجالسهم وشهره ونبذه ليكون الدعاة منه على حذر [٣] . وبالإضافة إلى إدراكه الأساليب الاجتماعية ، فقد برز فى التنظيم السرى والإعداد .

ففى الوقت الذى ظهر فيه ضعف الدولة الأموية ، وتدهورها فى أواخر عهدها ، بدأ الدعاة الاباضية شأنهم شأن حركات المعارضة الأخرى ، يتهيأون لدخول المعترك السامى ، فقد كان أبو مودود حاجب والمشايخ الاباضية يخططون لمواجهة الظروف الجديدة * .

وكان لمشايخ الدعوة الاباضية مجالسهم الخاصة ، والتى يقتصر حضورهم فيها دون غيرهم « بلغنا ذات ليلة أن فى منزل حاجب مجلسا ـ قال أبو سفيان ـ وكان المشايخ لا يدعوننا أن نحضر معهم المجالس بالليل فقلت لرجل من أهل عمان انطلق بنا إلى منزل حاجب فلعلهم يأذنون لنا [٤] » ، وكان أبو حمزة

---

(١) السير ، ص ١٠٧ . وورد النص مضطربا فى طبقات الاباضيه « لأن تكونوا تخربون فتعمرون خير من لا تخافون وتخربون » ، ١ ورقة ١٠٧ أ . ويظهر أن الشماخى صحح النص . وأثبته بالشكل أعلاه ، أو اعتمد على مصدر آخر والاحتمال الأول أقوى .

(٢) الشماخى ، السير ، ص ١٠٨ .

(٣) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، ١ / ورقة ١٠٨ ب .

(*) What, M. Kharijite thought in the Umayyad Period. Der Islam, 36, Berlin, 1961, P. 223.

(٤) الشماخى ، السير ، ص ٩١ .

المختار بن عوف الأزدى ، الذى استولى على الحجاز عام ١٢٩هـ / ٧٤٦ م ، ممن يحضرون هذه المجالس مع زميله فى معارك الحجاز بلج بن الأزدى « فأذن لنا فوجدنا المختار بن عوف ورجلين أو ثلاثة من المشايخ فقال لنا حاجب أخبرا بلج بن عقبة وأخبراه بمكاننا[١] » . ولعل مثل هذه المجالس ، كانت تعقد للتنظيم والاعداد للحركة الأباضية فى اليمن عام ١٢٩هـ . لاسيما أن أبا حمزة وبلج بن عقبة من روادها ، ومن جهة أخرى على ماتقول الرواية الأباضية : أن حاجب « هو القائم بأمور المسلمين فى مثل هذه الأشياء من أمر الحرب ، وجمع الأموال ، والمعونة ، والخصومة وإلى أبى عبيدة يسند أمر الدين والفتاوى[٢] » ، فهى على الأغلب لمناقشة الأمور السياسية المهمة ، بدليل أن حاجبا رد شعيب بن عمر الذى يرتبط معه برابطة المصاهرة وأبى إدخاله ، مع أنه كان من أفضل فتيان الدعوة « وكان بينه وبين منزل حاجب نحو ثلاثة أميال[٣] » .

يتضح من ذلك مدى دقة التنظيم السرى للدعوة الأباضية ، أبان نشوئها وتطورها فى البصرة ...

دورة المرأة الأباضية فى مرحلة التخفى والكتمان:

ولقد أولت قيادة الدعوة الأباضية ، فى مرحلة التخفى ، والكتمان ، اهتماما

---

(١) الدرجينى ، طبقات الأباضية ، ١ / ورقة ١٠٧ أ . ـ الشماخى ، السير ص ٩١ .

(٢) الدرجينى ، والطبقات ١ / ورقة ١٠٨ أ .

(٣) الشماخى ، السير ، ٩١ .

كبيرا بالمرأة الاباضية، التى شاركت بصورة فعالة فى تحمل مسؤوليتها، وأبدت مقدرة كبيرة فى حفظ أسرار الدعوة، والتكتم عليها، أن هذا المستوى الرفيع من المعرفة السياسية والتنظيمية ومجابهة المواقف الحرجة نتيجة للاعداد والدروس التى كان يلقيها مشايخ الدعوة، فقد كان جابر بن زيد يزور الاباضيات لغرض تعليمهن، وكادت عاتكة بنت المهلب تسأله ويجيبها[1]، كما كانت الدروس الفكرية فى أمور الإسلام والمذهب الاباضى تقام على شكل مجالس. تتعلم فيها المرأة الدروس القرآنية والفقهية. وكان أبو سفيان قدير يقوم بالتدريس فى مثل هذه المجالس[2] وكانت بيوت السوق العجاز عبارة عن خلايا يجتمع فيها الأباضية، دفعا للشبهة، باعتبار مثل هذه البيوت لا رصد عليها، ففى عهد عبيد الله بن زياد داهمت الشرطه إحدى هذه الخلايا فى بيت عجوز أباضية، وقد تخلصت من أسألتهم بجواب سريع فيما يتعلق بأحذيتهم التى تركوها بعد هروبهم فى بيتها[3].

وفى عهد أبى جعفر المنصور، يرد نص فيما يتعلق بمجالس النساء السرية «وكانت سعيدة قد اتخذت للمسلمين سربا فى دارها يجتمعون فيه بالليل[4]، وقد كشف أمر هذا السرب لأبى جعفر المنصور.

أن هذا الإعداد الفكرى والتنظيمى، مكن المرأة الأباضية من المشاركة فى خوض المعارك، الحربية التى خاضها الأباضية فى الحجاز، وشاركت

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٧.

(٢) الشماخى، السير، ص ٨٧.

(٣) الدرجينى، طبقات الاباضية، ١ / ورقة ١٠٧ أ.

(٤) الشماخى، السير، ص ١٠٨، ١٠٩.

بجمع المال ، بتموين حركة اليمن بما تحتاجه من مؤونة وسلاح ، وكانت هلبية المهلبية أم سعيدة المارة الذكر ، تعد الطعام للمقاتلين الأباضية بمكة عند استيلاء أبي حمزة عليها في عام ١٢٩ هـ ، وكانت زوجة أبي حمزة المختار بن عوف تلهب حماس الرجال بشعرها ، وتحمل على الجيش الأموي وتنشد بقولها :

من سأل عن اسمي فأني مريم بعت سوري بسيف مخزم

وقد قتلت إلى جانب زوجها أبي حمزة في معارك مكة[١] » .

ويشيد الجاحظ بالتزام المرأة الأباضية وتقواها حتى كان بعضهم يتمنى أن يكون في نسائهم أباضيات « ويؤخذن بحفظ سورة النور[٢] » .

العلاقة بين التنظيم السري في البصرة والأقاليم الأخرى :

ليست لدينا معلومات فيما يتعلق بانتشار الدعوة الأباضية في عهد إمامها جابر بن زيد . إلا أن الدعوة بعد وفاته سنة ٩٣هـ ، أخذت بالتوسع والانتشار في عدد من الأمصار الاسلامية ، فقد توجه الدعاة إلى اليمن وعمان والمغرب. وقد استطاعوا نشر الدعوة الأباضية في هذه الأقاليم ؛ ويعود الفضل في ذلك إلى الإمام الاباضي أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، إذا أسس مقدسة علمية، يتخرج فيها الدعاة بعد أن يدرسوا العلوم الإسلامية وما يتعلق بأساليب الدعوة ، وأمور السياسة والحرب ، ويسمون « حملة العلم[٣] » ، ويشير

(١) الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٧٩ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، (بيروت ١٩٤٨) ٢ / ١٨٠ .

(٣) الورجلاني ، أبو زكريا يحيى بن أبي بكر ، السيرة وأخبار الائمة ، ورقة =

الدكتور اسماعيل محمود إلى فشل الدعاة الاباضية فى خراسان وأخفاقهم فى مهمتهم نظرا لتشيع أهلها ، ولأن اعدادهم كانت محدودة ، لا تفى بأمامة الظهور ، وقد جازفوا بالثورة على نصر بن سيار آخر ولاة بنى أمية فى خراسان[1] .

وقد انفرد اسماعيل محمود بهذه المعلومات عن ثورة الاباضية هذه فى خرسان ، ونستطيع القول أن أحكامه بنيت على أساس ، الظن والاحتمال ولم يفرق بين الفرق الخارجية لأنه لم يعتمد على مصادر تأريخية فى إسناد قوله .

إذ أن المصادر الإسلامية كالبلاذرى ، أو الطبرى، وابن الأثير وغيرهم لايشيرون إلى انتماء (شيبان بن سلمة) إلى الأباضية . وكذلك المصادر الأباضية لا توجد فيها أى إشارة إلى ثورة أباضية فى خراسان ، والحقيقة أن اتباع شيبان بن سلمة كانوا من الخوارج ، وسموا فيما بعد بالشيبانية وهذه الفرقة تنتمى بالأصل إلى الثعالبة[2] .

= ٢ أ . العوتبى ، سلمة بن مسلم ، أ كساب الحرب ، ورقة ٩٣ ب ، ١٧٠ ب . الدرجينى ، طبقات الاباضية ١ / ورقة ١٠ ، — ١٠٠ ب . - أطفيش ، محمد بن يوسف ابن عيسى ، الامكان فيما جاز أن يكون أو كان . (الجزائر ، ١٣٠٤ هـ) ، ص ١٠٩ - ١١٣ .

(١) د . اسماعيل محمود ، الحركات السرية فى الإسلام ، ص ٣١ — ٣٣ بتصريف .

(٢) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، (القاهرة ، ١٩٤٨) ، ص ٦٠ - ٦١ . الكرمانى ، محمد بن يوسف ، الفرق الإسلامية ، ص ٧٩ .

وقد ثاروا على نصر بن سيار آخر ولاة بنى أمية ، وقد قتل شيبان بن سلمة عام ١٣٠ هـ من قبل أبى مسلم الخراسانى[١] .

أما عن الدعاة الاباضية فى اليمن وحضرموت ، فقداستطاعوا أن ينشروا الدعوة فيها قبل غيرها من الاقاليم واشتهر منهم أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمى الذى اشترك بحركة اليمن عام ١٢٩ هـ ، وهو من تلاميذ أبى عبيد مسلم[٢] وعندما أراد طالب الحق الثورة باليمن سنة ١٢٨هـ كتب إلى أبى عبيدة مسلم يستشيره فى ذلك[٣] ، وهـذا دليل على ارتباط الدعوة بهـذا الزعيم الأباضى .

أما بالنسبة إلى الدعوة الأباضية فى عمان ، فقد حفظ لنا العوتبى فى كتابه « الأنساب » أسماء (حملة العلم) من تلاميذ أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة . « ومنهم الربيع بن حبيب بن عمر الفرهودى ، وهو أحد العلماء الأربعة الذين حملوا العلم ونقلوه من البصرة إلى عمان ، وكان يسكن فى البصرة بمكان يسمى الحربية ، ومنصور الرباحى وبشير بن المنذر التروانى ، ومحمد بن المعلا الكندى الفشحى من الفشح من جبال كندة ، وراشد بن عمرو الحديدى بن النعمان ابن حاضر بن حديد[٤] ، وأضاف إليهم الرقيشى هاشم بن غيلان السيحانى والمنير بن البير الجعلانى[٥] . وقد استطاع هؤلاء الدعاة أن ينشروا الدعـوة

---

(١) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٧ / ٣٨٥ – ٣٨٦ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ٤ / ٣١١ . – د . عمر فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية (بيروت ، ١٩٧٠) ص ٢٩ ، ١٩٨ .

(٢) الشماخى ، السير ، ص ١٠٥ .

(٣) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ٨ / ورقة ١٠ ب .

(٤) العوتبى ، سلمة بن مسلم الصحارى ، أكساب ، ورقة ١٧٠ أ .

الاباضية فى عمان ، وقد استجابت لهم بعض القبائل الأزدية العمادية ، والتى تمثل القوة البشرية المؤثرة فى تاريخ عمان السياسى . وكان أبو حمزة المختار ابن عوف الأزدى ، يسكن قرية بجز جنوب صحار ، وهو من أعلام الأباضية وقوادها العسكريين[١] ، وكان لدخول بعض الشخصيات من آل الجلندى فى حظيرة الدعوة الأباضية أثر عميق فى تاريخ عمان وأغلب الظن أنهم استجابوا لهؤلاء الدعاة ، فى أمامة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة[٢] .

نشر الدعوة فى إفريقيا :

وفى إمامة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، توجه الداعية الأباضى سلمة ابن سعيد مع أبى عبد الله عكرمة بن عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس ، ولحقا بقيروان إفريقية[٣] ، ويظهر أن الدعوة الأباضية دخلت إلى المغرب قبل المدة المحددة بين سنة ١٠٥ هـ ، إلى سنة ١١٥ هـ وهى الحقبة التى حددها ابن خلكان بوفاة عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس[٤] ، لاسيما أنهما وصلا على بعير واحد ، سلمة يدعوا إلى مذهب الأباضية وعكرمة يدعو إلى مذهب

---

(١) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٣١ ب .

(٢) أنظر الفصل الرابع من الرسالة .

(٣) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة ، ورقة ٢ أ

كادت القيروان قصبة أفريقية ، وقد يطلق على أفريقية اسم القيروان من باطلاق الجزء على الكل ولأنها أبرز المناطق عمرانا فى افريقية ، المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد ، أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، (اليدن ، ١٩٠٦) ص .

(٤) ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ، وفيات الاعيان وأدباء الزمان ، (بيروت ، ١٩٧٠) ٤/ ٢٦٥ .

الصفرية[١] » ، ويظهر أن سلمة بن سعد استطاع أن يجذب العديد من الأتباع لمذهبه الأباضي وخاصة بين القبائل البربرية ، وقد ساعده على النجاح المستوى الفكري الذي تمتع به عموم الدعاة الأباضية من (حملة العلم) في هذه الحقبة إضافة إلى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السيئة التي كانت تعيشها المغرب ، وكان سلمه متفانيا في سبيل نشر مذهبه وكان يقول : « وددت أن يظهر هذا الأمر يعني مذهب الأباضية بالمغرب يوما واحدا من غدوة إلى ليل فما أبالي ضربة عنقي » . ودليل نجاحه أنه « دل حملة العلم أو بعضهم على موضع أبي عبيدة بالبصرة[٢] » كما أرشد أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إلى البصرة لتلقي علوم المذهب الأباضي[٣] . من هذا يتضح لنا الدور الخطير الذي قام به سلمة بن سعيد فيلشر الدعوة الأباضية في المغرب .

أما فيما يتعلق بعبد الرحمن بن رستم[٤] ، فيبدوا أنه اعتنق المذهب الاباضي في العقد الثالث من القرن الاول الهجري ، ثم أرشده أحد الدعاة الأباضية ، بعد أن توسم فيه الذكاء والإخلاص والاجتهاد في معرفة الدعوة الأباضية وقال له : « إذا كنت تريد علم هذا الأمر ، الذي كلفت به ، وعلقته

---

(١) الدرجيلي ، طبقات الاباضية ، ١/ورقة ٦ ب . ـ ذكر البسوي خطأ بأن عكرمة كان « يرى رأى الاباضية » ولو كان من الاباضية فعلا لترجم له الدرجيني في طبقاته أو غيره من كتاب السير الأباضية .

(٢) الشماخي ، السير ص ٩٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٤) ذكر ابن خلدون أن أصل عبد الرحمن بن رستم من ولد رستم الامير الفارسي الذي قاد الفرس به بمعركة القادسية ، وقدم إلى أفريقية بعد إسلامه مع طلائع الفتح الإسلامي فاستقر بها واعتنق الاباضية بعد وصولها إلى أفريقيا . ابن خلدون ، العبر مج ٦ ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٢٤٦ .

وأراك تطلبه فدونك أرض البصرة فان بها عالما يكنى أبا عبيدة واسمه مسلم ابن أبى كريمة فإنك تجد عنده ماتطلب»[1] وفى رواية للشماخى أن عبد الرحمن ابن رستم لما سمع سلمة بن سعيد يدعو إلى الاباضية أعجب بها واعتنقها مذهبا له[2] . ويبدو أن سلمة بن سعد قد اتفق مع أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، ليرسل له مجموعة من أباضية المغرب ، يمتازون بالذكاء العلمى ، والطموح السياسى ، فلا يمكن أن نفسر ترحيب أبى عبيدة لهم عند وصولهم البصرة[3] إلا بوجود اتفاق مسبق بينهما . وقد وصل البصرة خمسة من هؤلاء الدعاة وهم عاصم السدراتى، وإسماعيل بن درار الغدامسى وأبو داود القبلى النفزاوى، ويظهر من أسمائهم أنهم ينتمون إلى القبائل البربرية فى المغرب وعبد الرحمن ابن رستم الفارسى الأصل ، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى الحميرى من أهل اليمن[4] . ومكث هؤلاء الدعاة عدة سنين يتلقون دروسا فى المذهب الأباضى والإدارة والسياسة ، وقد حتمت الظروف الصعبة التى مر بها أبو عبيدة فى البصرة أن يعقد دروسه مع هؤلاء الدعاة بعيداً عن أنظار السلطة الأموية ، يقول أبو زكريا يحيى بن أبى بكر : « وكان الشيخ أبو عبيدة رضى الله عنه مستخفيا متخوفا من بعض أمراء البصرة ، وأدخلهم سربا وجعل فيه سلسلة فصار يعمل القفاف بباب السرب فمتى ما رأى شخصاً مقبلا

(١) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة ، ورقة ٢ أ .

(٢) الشماخى ، السير ص ١٢٣ .

(٣) الدرجينى ، طبقات الأباضية ١ / ورقة ٩ ب ١٠ ، ٠ ـ الشماخى . السير ص ١٢٣ .

(٤) الدرجينى : طبقات الاباضية ١ / ورقة ٩ ب .

حرك السلسلة فيسكتون ، فاذا انصرف حركها فيأخذون فى دراستهم[1] » .
ومن هذا النص تتضح مهارة أبى عبيدة مسلم ، فى التستر على الدعاة المغاربة ، الذين صاروا أقطابا للدعوة الأباضيــة فى المغرب وأكملوا مابدأ به الداعى سلمة بن سعد ، وكان لتمويه أبى عبيدة وتظاهره بصنع القفاف ، قد رسخ فعلا فى ذهن السلطة الأموية فى البصرة أن هؤلاء الدعاة وشيخهم فقراء يبغون كسب عيشهم من وراء إنتاج القفاف ، ولم يدر فى خلد السلطة الأموية أن سرب القفاف ، من أنجح الخلايا السرية فى إعـداد القادة السياسيين ، ولا نستطيع أن نعطى تقييما لهذا الوعى السياسى لدى أبى عبيدة مسلم إلا إذاعلمنا أن تلاميذه هؤلاء استطاعوا أن يقيموا دولة أباضية فى المغرب بعـد جهود مضنية اتسمت بالكتمان تارة والظهور تارة أخرى وتوجوا جهودهم باقامـة الدولة الرستمية بتاهرت[2] عام ١٦٠ - ٢٩٦ هـ .

واستمرت هـذه الاتصالات بين الدعوة فى المشرق والمغـرب ، وقد وصلتنا رسالة أبى عبيدة مسلم القيمة ، التى تظهر مهارة أبى عبيدة ومتابعته لنشاط دعاته فى المغرب ، ويبـدو أن هناك من يكتب إليه بأخبارهم دون معرفتهم كما يفهم من الرسالة ، وتظهر أهمية الرسالة من الناحية التاريخية ، القوة اسدادها ، لأنها وردت فى مدونة أبى غانم الخرسانى من علماء القرن

---

(١) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة ورقة ٥ أ . — الدرجينى ، طبقات الأباضية /١ ورقة ٩ ب .

(٢) قال أبو الفدا : « وتيهرت مدينة كبيرة خصبة كثيرة الزرع وقد قيل أن كورة تيهرت من أفريقية . » وكانت قاعدة الغرب الأوسط وكان بها مقام بنى رستم ملوك الغرب الأوسط حتى انقرضت دولتهم بدولة الخلفاء الفاطميين ، أبو الفدا : عماد الدين اسماعيل بن محمد . تقويم البلدان . (باريس ، ١٨٤٠) ص ٣١٩ .

الثانى الهجرى ، وهى عبارة عن رسالة فى الزكاة ، وجهها إليه الدعاة فى المغرب يسألون عن العشر ، وجاء فيها « فلعمرى لقد سرنى ماانتهيتم إليه من أمركم وأن ذلك لم يخف عنا غيرانا لم نكتفى الذى كتبتم فيه إلى والله يستتم لكم الخير كله ...[1] » .

وعلى هذا يمكن إدراك تأثير أبى عبيدة مسلم فى تطور الدعوة الأباضية التى انتجت دولتين ، الدولة الأباضية بعمان والدولة الرستمية بتاهرت .

وفى ختام هذا الفصل لا بد أن نشير إلى ضعف النشاط الأباضى فى البصرة بعد إمامة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، إذ أن خلفه الربيع بن حبيب الفرهودى لم يكن يملك المؤهلات القيادية التى تمتع بها أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، ويظهر هذا واضحاً فى سكوت المصادر الاباضية عن النشاط الأباضى فى البصرة[2] ، اللهم باستثناء إشارات قليلة تشير إلى الصلات الوثيقة بين الدولة الرستمية والربيع بن حبيب فى البصرة ، وأبرز مظاهر هذه الاتصالات المساعدات المالية التى جمعها الدعاة الاباضية فى البصرة ، لإعانة الدولة الناشئة فى تاهرت . وفى رواية لأبى زكريا يقول فيها . « ثم أن عبد الرحمن اتصلت أخباره إلى البصرة من أهل دعوة المسلمين فبعثوا إليه بثلاثة أحمال مالا فلما وصلت الرسل تاهرت صاروا يسألون عن دار الإمارة . فلما لفتت لهم الدار قصدوا نحوها... فأشاروا عليه - أى عبد الرحمن بن رستم - أن يأخذها

---

(١) أبو غانم الخرسانى . المدونة الصغرى ، ورقة ١١٣ - ١١٤ . يراجع الملحق الثانى من الرسالة .

(٢) ينظر ، الدرجينى ، طبقات الاباضية . أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأئمة الورتيى ، الانساب .

فيبثها فى فقراء المسلمين والسلاح والعدة ..»[1] ، وكانت هذه المعونة الأولى من البصرة إلى الأباضية فى تاهرت ، ثم ارسلوا له معنونة ثانية فى وقت ازدهرت فيه الدولة الأباضية فى تاهرت فأرجع عبد الرحمن هذه المعونة إلى البصرة[2] .

ونلاحظ هنا أن الدعوة فى البصرة وجهت اعاداتها المالية إلى المغرب لأن الدعوة الأباضية بعمان أقامت دولتها بعد سبعة عشر عاما من قيام الدولة الرستمية .

واستمرت الاتصالات بين البصرة والمغرب خاصة عند حدوث المشاكل بين أهل الدعوة ، فيطلبون حلها من الربيع بن حبيب الذى كان يبعث بفتواه إليهم كممثل لرأى الدعوة الأم فى البصرة[3] ، ثم أخذت الدعوة الأباضية بالانحسار فى البصرة بعد قيام الدولة الأباضية الثانية بعمان ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م . ويبدوا أن الكثير من هؤلاء الدعاة قد هجروا البصرة إلى عمان ، ليعيشوا تحت ظل مذهبهم وسيادة تعاليمه .

وأخيرا تعرفنا فى ختام هذا الفصل على الدور الخطير الذى قامت به مدينة البصرة فى تاريخ عمان والمغرب من الناحية السياسية .

نتائج العمل السرى للدعوة الأباضية :

أن قادة الدعوة الأباضية اتبعوا سبيلا ، جديدا ظاهرة العقود ، وعدم

---

(١) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة ، ورقة ١٤ ب .

(٢) المصدر السابق ، البارونى ، عبد الله ، النفوس ، الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الاباضية ، القسم الثانى ، (تونس . لا ت) ص ٨٦ فما بعد .

(٣) البارونى ، الأزهار الرياضية ، ق ٢/ ١٠٢ .

التدخل في شؤون السياسية والحرب، ليبعدوا عن الدعاة أنظار السلطة الاموية والسياسية، ولقد أفاد العمل السرى الدعوة الاباضية، إذ مكن الدعاة بما لهم من قابليات علمية، ومراكز اجتماعية مرموقة، من جذب الناس إلى حضيرة المذهب الاباضى دون مضايقة كبيرة من الولاة المتعاقبين على البصرة، وفى الجانب الآخر كانت التنظيمات السرية تعد نفسها، اعداداً ثوريا وتخرج الدعاة من مدرسة البصرة الفكرية، لممارسة الثورة المسلحة عند سنوح الفرصة المؤاتية، كما نلحظ ذلك فى رسالة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة للدعاة الاباضية فى المغرب[1].

وبهذا يتبين لنا أن الدعوة الاباضية فى هذه الحقبة اتبعت أسلوبا سياسيا ظاهره المهادنة وباطنه الاستعداد، وكان لسلوك الدعاة المسالم أثر فى تجنب أذى السلطة والمضايقة، بغض النظر عن المضايقات التى مارسها الحجاج بن يوسف الثقفى. وقد استمروا فى سلوكهم هذا حتى بعد قيام ثوراتهم على الدولة الأموية والعباسية، ونستطيع أن نتلمس هذه المواقف فى موقف السلطة الأموية والعباسية من أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة، المرجع الأعلى للأباضية، أبان ثورة اليمن، وعمان، وثوراتهم بالمغرب، إذا بقيت هذه السلطات تجهل أن أبا عبيدة مسلم رأس الثورات ومصدرها، ولو عرفت ذلك لعرضته للموت بدون أدنى شك، ولو أن هذه السلطة تعرف اتجاهه المذهبى والعقائدى[2]، ولكنها لم تتوصل إلى دليل يثبت صلته بالحركات الثورية مما يدل على قوة التنظيم السرى ودقته وكتمانه.

---

(١) أبو غادم الخرسانى، المدونة الصغرى، ورسالة فى الزكاة، ورقة ١١٣ - ١١٤.

(٢) قال أبو جعفر المنصور لما علم بموت أبو عبيده مرحبا، وقال ذهبت الاباضية، الشماخى، السير ص ١٩١.

كما لا حظنا أن توسع وانتشار المذهب الاباضى ارتبط بالقدرات القيادية لدى أئمة الدين ، فى مرحلة الكتمان فى البصرة ، فلاحظنا قوة النشاط الاباضى فى إمامة جابر بن زيد ، وازدهارها فى إمامة أبى عبيدة مسلم ، وخمولها فى إمامة الربيع بن حبيب الفرهودى ، لأنه لم يكن يملك من المؤهلات القيادية للدعوة التى امتاز بها قادتها السابقون . ويمكن أن نجمل الأسباب التى أدت إلى نجاح الدعوة الاباضية فى هذه المرحلة بما يأتى .

أولا : — نظرة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، ودراسته المستوعبة لمشاكل المناطق التى كانت مستاءة من الحكم الأموى ، وعلاقة هذه المناطق بالسلطة المركزية من حيث القوة والضعف ، فعندما أدرك أبو عبيدة مسلم أن الدولة الأموية فى طريقها إلى الزوال .أوعز إلى إباضية اليمن بالتعجيل بالثورة[1] ،ولم يفكروا بالثورة فى البصرة رغم أنها المراكز الأم لتنظيمهم لأسباب أوجهها قرب البصرة من مراكز الحكم القوية ، ووجود عدد من الأحزاب الأخرى .

ثانيا : القيادة الجماعية للدعوة — إذ توفرت مجموعة من المشايخ الأباضية كمجلس شورى ، من ذوى القدرات التنظيمية فى مساعدة أبى عبيدة مسلم ، كضمام بن السائب وأبو الحر بن الحصين ، وحاجب الذى كان مسؤولا عن جميع النشاطات العسكرية . وقد قام بجمع المال والسلاح للثورة باليمن سنة ١٢٩ هـ[2] .

---

(٢) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ٧/ ورقة ١٠ ب. التفصيل أنظر الفصل الثانى من الرسالة .

(١) الشماخى ، السير ص ٩٠ .

ثالثاً : المقدرة الفكرية التي تمتع بها الدعاة الأباضية ، وجذبهم لقلوب الناس لمذهبهم ، وليس بخاف علينا خطب أبي حمزة المختار بن عوف المشهورة في بلاغتها ، وخطب عبد الله بن يحيى الكندي (طالب الحق) في صنعاء ، مما يدل على اعتقاد القادة بصحة الفكرة التي آمنوا . أن وضوح العقيدة لدى الداعية تجعله يستميت في سبيلها .

* كما كان جابر بن زيد من فقهاء البصرة المشهورين ، وأبو عبيدة الذي كان فقيها ومحدثاً وسياسياً من الرعيل الأول .

رابعاً : الإخلاص والولاء المتناهي لهؤلاء القادة ، الذين أوقفوا حياتهم على الدعوة للإسلام ، متخذين من الآية الكريمة مصداقا لحياتهم : « أن الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة .. » ، ويمكن أن نلاحظ هذا في أقوال وسلوك الدعاة الذين لم يكونوا يفكروا بدوافع اجتماعية ، واقتصادية من وراء أعمالهم كقول الداعية سلمة بن سعد أول داعية أباضي إلى المغرب : « وددت أن يظهر هذا الأمر يعني مذهب الأباضية بالمغرب يوماً واحداً من غدوة إلى ليل ، فما أبالي ضربة عنقي »[1] .

خامساً — صلابة الدعاة في مرحلة الكتمان والتخفي على التنظيم السري رغم تعرضهم لصنوف التعذيب ، وظهر هذا واضحاً في مواقف الدعاة الصلبة وعدم التصريح بوجود مثل هذا التنظيم جعل السلطتين الأموية والعباسية لا تعير أدنى اهتمام ، وحساب سياسي لهذه القوة المتنامية في الخفاء ، وفي مواقف أبي عبيدة مسلم وضمام بن السائب وحاجب أبي مودود خير دليل على ذلك[2] .

---

(١) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأئمة ، ورقة ٢ أ .

(٢) الشماخي ، السير ، ص ٨٧ .

سادساً ـ السرية فى العمل والتنظيم ، واستعمال وسائل عملية ناجحة فى ضبط العمل السرى ، فاذا أخرج داعية إباضى من الدعوة الأباضية فى مرحلة الكتمان ولم يدل على عوراتهم ، تركوه وشأنه ، ولكن هذا الخارج لو قام بفضح عوراتهم ونشاطهم وذكر أسمائهم لدى السلطة ، فالقتل حكمه إذ أشار جابر بن زيد بقتل خردلة حين سأل عن أفضل الجهاد ، لأنه دل على عوراتهم فكان قتله أفضل الجهاد[1] . ولا شك أن هذا الحكم يناسب هذه الأهمية ، لأن إفشاء مثل هذه المعلومات يؤدى إلى ضياع كل الجهود السرية التى بذلت عبر السنين الطويلة .

وبهذا نستطيع أن نفسر فشل أغلب الحركات الخارجية ونجاح الأباضية فى إقامة عدة دول كالدولة الاباضية فى عمان والدولة الرستمية فى تاهرت . وبقاء المذهب وانتشاره حتى اليوم فى حين اختفت جميع الفرق الخارجية الأخرى[2] .

---

(١) الجيطالى ، شرح قواعد الإسلام ، ورقة ١٧ ب .

(٢) وسيتبين لنا جوانب أخرى لقوة هذه الدعوة واستمرارها حين نتكلم عن الأبعاد السياسية لنظرية الإمامة لدى الاباضية . انظر الفصل السابع من الرسالة .

الفصل الثالث

بداية النشاط السياسى للدعوة الأباضية

فى اليمن وحضرموت

سنة ١٢٩ - ١٣٢ هـ / ٧٤٦م - ٧٤٩م

١ - الحركة الأباضية فى حضرموت واليمن .

٢ - امتداد الحركة الأباضية إلى الحجاز .

٣ - الحركة الأباضية بعد مقتل الإمام الأباضى
عبد الله بن يحيى الكندى (طالب الحق) .

١ ـ الحركة الأباضية فى اليمن وحضر موت

الجذور التاريخية لانتشار الدعوة فى حضرموت واليمن :

أن انتشار الدعوة الأباضية فى اليمن وحضرموت يكاد يكتنفه الغموض إذ لا تشير المصادر المتقدمة إلى الطريقة التى انتشرت بها تلك الدعوة ، فيما لو قارنا بانتشارها فى عمان والمغرب ، إذ توفرت لدينا قائمة بأسماء (حملة العلم) الذين توجهوا من البصرة إلى هاتين المنطقتين[١] ،ونظير ذلك وردتنا معلومات ، تشير إلى الصلات الوثيقة بين الدعوة فى البصرة وحضرموت ، ولقاءات جمعت بين أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، ومشايخ من فقهاء حضر موت[٢] . واشتهر من هؤلاء الدعاة أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمى أحد طلاب أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، الذى اشترك فى ثورة اليمن سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦م[٣] ، وقد ذكر وائل بن أيوب الحضرمى دعاة فى حضر موت كانوا قبله من ذوى القدرات العلمية والإدارية[٤] . ولذا نستطيع القول أن تسرب الدعوة الأباضية إلى اليمن وحضرموت يعود إلى تاريخ سبق الحركة التى قامت فى سنة ١٢٩ / ٧٤٦ م بسنين طويلة .

---

(١) العوتبى ، سلمة بن مسلم ، أنساب العرب ، ورقة ٩٣ ب . ـ الورجلانى أبو زكريا ، ، السيرة وأخبار الأمة ، ورقة ٢ أ . ينظر الملحق الثالث من الرسالة .

(٢) الدرجينى ، الطبقات ١ / ورقة ١٠٤ أ .

(٣) المصدر السابق ١ ورقة ١١٢ أ .

(٤) الشماخى ، السير ، ص ١٠٥ .

التهيؤ والإعداد لثورة اليمن :

وفى سنة ١٢٨ هـ ٧٤٥ م تم اللقاء بين أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى وعبد الله بن يحيى الكندى (طالب الحق[1] ، لغرض الإعداد للحركة التى تم تفجيرها فى سنة ١٢٩ هـ ، فى الوقت الذى نشطت فيه الحلقات السرية فى البصرة وراحت تجمع الأموال لغرض تجهيز المقاتلة من أهل البصرة، وشراء الأسلحة وإرسالها إلى حضرموت ، وكان أبو مودود حاجب بن هودود الطائى المسؤول عن أمر الحرب وجمع المال والمعونة قد فرض على الأغنياء وأوساط الناس أن يتبرعوا بجمع الأموال ، فجمعوا فى يوم واحد عشرة آلاف درهم خصصت لأغراض الحركة فى حضرموت[2] .

ويظهر أن مركز الدعوة فى البصرة كان يخطط لإقامة إمامة الظهور فى حضرموت ، بعد توفر الشروط اللازمة لاقامتها ، وليس كما صور بعض الاخباريين الذين اعتمد عليهم الطبرى والأزدى أن الثورة فى اليمن كانت نتيجة اللقاء المفاجىء سنة ١٢٨ هـ ، إذ لقى « أبو حمزة الخارجى عبد الله يحيى فدعاه إلى مذهبه[3] » فاستحسن طالب الحق كلامه فاعتنق المذهب الأباضى ، ولما كان طالب الحق مطاع فى قومه من قبيلة كندة[4] ، فإنه

---

(١) الطبرى ، الرسل والملوك ٣٤٨/٧ .

(١) الدرجينى ، طبقات الاباضية ١ ورقة ٢١٢ ب . — الشماخى ، السير ص ١١٤ .

(٣) الطبرى ، الرسل والملوك ٣٤٨/٧ . الأزدى تاريخ الموصل ص ٧٧ . ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ٢٩٧/٤ .

(٤) العوتبى ، أنساب العرب ، ورقة ٩٣ أ .

يستطيع تحقيق الآمال والأهداف التى يدعو لها أبو حمزة في الخروج على مروان الثانى وإسقاط الدولة الأموية ، فخرج منه أبو حمزة « حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة »[١] . وعند مناقشة هذه الرواية يتضح لنا ضعفها ، ذلك لأن أبا حمزة المختار بن عوف لم يكن إلا أحد المشايخ النشطين فى الدعوة إلى المذهب الأباضى ولم يكن بمركز قيادى يمكنه من ترشيح من يريد للخلافة ، وكان يصدر فى أمره عن أبى عبيدة مسلم المرجع الأول للدعوة آنذاك ، ويتصل بحاجب الطائى المسؤول عن النشاطات العسكرية الأباضية[٢] .

وليس من المعقول لأبى حمزة المعروف برجاحة عقله وذهنيته الوقادة أن يبايع رجلا للخلافة بمجرد قبوله المذهب الأباضى وهو بعد لا يعرف من هذا المذهب شيئاً ، ومن ناحية أخرى أن الأباضية يوجبون عقد الإمامة لأفضلهم فى الدين والعلم والورع ، ولا نظن أن عبد الله بن يحيى يستطيع استيعاب المبادىء الأباضية بمجرد لقاء واحد كهذا الذى حدث بين أبى حمزة وطالب الحق .

إضافة إلى ذلك أن المبادىء الأباضية تشترط فى تولية الإمارة أن يبايعه فى الأقل ستة من الفقهاء من ذوى الفهم والعلم[٣] .

والذى نستشفه من هذا اللقاء بين أبى حمزة وطالب الحق التنسيق بين أباضية البصرة وأباضية حضرموت لغرض الخروج على السلطة الأموية ،

---

(١) الطبرى ، الرسل والملوك ٣٤٨/٧ . الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ٧٧ . ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ٢٩٧/٤ .

(٢) الشماخى السير ، ص ٩٠ .

(٣) الخصوصى ، مختصر الخصال ، ورقة ٧٠ ب .

فى موعد محدد بين مركز الدعوة الأم فى البصرة وأباضية حضرموت، ومن حق الاخباريين أن يذهبوا لتفسير هذا اللقاء بالصدفة التى جمعت بين طالب الحق وأبى حمزة المختار بن عوف لصعوبة إدراك الأعمال السرية وعدم انتشار أخبار نشاطاتهم المستورة، ثم أن الحركات التى تتجمع حول قائد أوزعيم معين تختفى بمجرد موت القائد أو الزعيم مالم يرافقها تيار فكرى وقائدى ، بينما استمر المذهب الأباضى بعد موت عبدالله بن يحى الكندى (طالب الحق) حتى نهاية القرن السادس الهجرى وما بعده[1] .

بداية الحركة الأباضية والسيطرة على صنعاء :

شجعت الظروف السياسية السيئة التى مرت بها الدولة الأموية فى أواخر عهدها الحركة الأباضية على الخروج فى حضرموت واليمن ، حيث تتابعت الحوادث منذ سنة ١٢٧ هـ فثار الضحاك بن قيس الشيبانى الخارجى وهدد مروان بن محمد فى عقر داره ، واستولى على الكوفة إلا أن مروان الثانى قتلة فى سنة ١٢٨[2] هـ فى منطقة الجزيرة الفراتية ، ثم قامت حركة عبد الله ابن معاوية بن جعفر الطالبى فى عام ١٢٨ هـ الذى اغتاله أبو مسلم الخراسانى .

وكانت خاتمة هذه الحركات قيام الثورة العباسية التى عاصرت الحركة

---

(١) ابن الحسين ، يحى ، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، ق ١ ، (القاهرة ، ١٩٦٧) ، ص ١٣٥) ؛ باوزير ، سعيد عوض ، صفحات من التاريخ الحضرى (القاهرة ، ١٣٧٨ هـ) ، ص ٥٩ — ٦٦ .

(٢) اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر ، التاريخ ، (النجف ، ١٩٦٤) ٧٩/٢ .

الاباضية فى حضرموت سنة ١٢٩هـ ، واستطاعت الحركة الاباضية أنهاك الجيش وبذلك ساعدت العباسيين فى القضاء على الدولة الأموية بدون سابق اتفاق بينهما .

كما أن الأوضاع الخاصة لليمن بلغت درجة من التدهور من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كافة[١] . فقد خضعت اليمن بصورة متتابعة للولاة الثقفيين منذ عهد عبد الملك بن مروان ٦٥ / ٨٦ هـ ، إذ تولاها محمد ابن يوسف الثقفى — أخو الحجاج بن يوسف الثقفى — ومن بعده مجموعة من ولا بنى ثقيف بلغت مدة حكمهم لليمن قرابة نصف قرن من الزمان كان آخرهم القاسم بن عمر الثقفى ، الذى قامت فى عهدة الحركة الاباضية عام ١٢٩هـ[٢] ، وهكذا يتراءى لنا أن الحكم فى اليمن وراثى فى بنى ثقيف خلال تلك الحقبة من تاريخ اليمن ، وقد أثار هذا التصرف حفيظة أهل اليمن ضد هؤلاء الولاة وعجل بهزيمتهم .

وكان الخلفاء قبل عمر بن عبد العزيز قد أرهقوا أهل اليمن بالضرائب غير الشرعية ، فعلى سبيل المثال أن محمد بن يوسف الثقفى أخذ منهم الخراج مجددا ، ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى واليه على اليمن : « يأمر بالاختصار على العشر ونصف العشر وترك ماجدده محمد بن يوسف » .

---

(١) البلاذرى ، الأنساب ، ٨ / ورقة ١٠ ب . — الاصفهانى ، أبو الفرج على بن الحسين بن محمد ، الاغانى ، (بيروت ، ١٩٦١) ، ٢٣ / ١١١ ، ١١٢ .

(٢) ابن خياط ، خليفة ، تاريخ خليفة ، تح ، أكرم ضياء العمرى (النجف ١٩٦٧) ، ٢ / ٣٧٣ .

ولما تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك أمر بأخذها منهم بالقوة حتى إذا اقتضى الحال أن يصبحوا ضد الدولة الأموية[1] .

أن خضوع اليمن وحضرموت هذه الحقبة الطويلة يرافقه الظلم والتعسف وروح الاستعلاء البغيض المبنى على أساس التعصب القبلى المخالف لروح الشريعة الإسلامية التى جعلت الأخاء أساسا للروابط الاجتماعية فى المجتمع الإسلامى والتقوى أساس التفاضل فيه ، مكنت الدعوة الأباضية من قيادة الحركة السياسية فى اليمن لتصحيح الانحرافات العديدة التى مارسها الخلفاء الأمويون وولاتهم فى اليمن .

وقد أكد البلاذرى على سوء الأحوال فى اليمن وجعلها من أهم المحفزات لحركة عبد الله بن يحيى (طالب الحق) بعد أن « رأى باليمن جورا وعسفا شديدا وسيرة فى الناس قبيحة ، فقال : لأصحابه لا يحل لنا المقام على مازى ولا يسعنا احتماله والضيم عليه[2] » ، وقال منشدا عند خروجه :

كوى بالأسى قلبي وأبكى نواظرى

بكاء اليتامى وابتسام الجبابر[3]

---

(١) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ١٦٦/٤ .

(٢) البلاذرى ، الأنساب ٨ / ورقة ١٠ ب . — الأصفهانى الأغنى ، ١١١/٢٣ ، ١١٢ .

(٣) البرادى ، لجواهر المنتقات ، ص ١٧٠ . وقد أكد أبرهة بن الصباح الحميرى أحد قادة الحركة نفس المبرر الذى أكده البلاذرى وطالب الحق لجمل من المظالم التى حلت باليمن وحضرموت السبب الرئيسى الذى أخرجه من بلاده =

ونتيجة للأوضاع السيئة فقد التف الناس حول عبد الله بن يحيى الكندى فى حضرموت وحثوه على الثورة ، فكتب إلى أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة الإمام الأباضى فى البصرة يستأذنه فى الخروج وهذا دليل على ارتباط الحركة الأباضية وقائدها عبد الله بن يحيى بأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة [١] ، وقد رد التنظيم الأباضى فى البصرة على هذه الرسالة ، برسالة حبذوا فيها التعجيل بالثورة . « إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً ، فافعل فإن المبادرة بالعمل أفضل ولا تدرى متى بلغ أجلك ، ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصر دينه ويخصهم بالشهادة إكراماً لهم بها [٢] » ، ولم يكتفوا بهذه الرسالة فقط فأرسلوا القائد أبا حمزة المختار بن عوف الأزدى وبلج بن عقبة الأزدى مع مجموعة من الجند الأباضى ، وحملوا معهم رسائلا من أبى عبيدة مسلم وأباضية البصرة إلى عبد الله بن يحيى (طالب الحق) يوصونه فيها بالاقتداء بأسلافهم الصالحين [٣]

= حضرموت لمحاربة الأمويين ، ومن شعره قوله :

جـــوركم جنبنى قرارى وجاء بى من وطنى ودارى

الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٣٤ أ .

(١) البلاذرى ، الأنساب ، ٨ / ورقة ١٠ ب . الأغانى ، ٢٣ / ١١٢ .

(٢) البلاذرى ، الأنساب ، ٨ / ورقة ١٠ ب . الأصفهانى ، الأغانى ، ٢٣ / ١١٢ .

(٣) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٣٢ أ .

وقد جاء فى إحدى هذه الرسائل ما يلى :

« إلى عبد الله بن يحيى إذا أخرجتم فلا تغلوا ولا تعتدوا واقتدوا بأسلافكم الصالحين ، واستنوا بسنتهم ، فقـــد علمتم إنما أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم » .

وهكذا غدا تركيب الجيش الذى قاده طالب الحق مؤلفاً من أباضية حضرموت واليمن والبصرة ، ويؤكد خليفة بن خياط أن عامة هذا الجيش من أباضية البصرة [١] .

وحالما وصل أبو حمزة المختار بن عوف إلى حضرموت حتى ابتدأت الحركة فى سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م واستطاعوا الاستيلاء على حضرموت بدون مقاومة تذكر [٢] . وقد ساعد نجاح الحركة فى حضرموت الشخصية الاجتماعية البارزة لعبد الله ابن يحيى الكندى إذا كان يتولى القضاء فيها لإبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندى الوالى على حضرموت من قبل القاسم بن عمر الثقفى [٣] إن منصب القضاء الذى شغله عبد الله بن يحيى الكندى يرتبط بمفهوم العدالة لدى المسلمين ، ولذلك اطلقوا عليه لقب (طالب الحق [٤]) أن دلالة اللقب تمثل رد فعل للظروف السيئة والمظالم الاجتماعية التى كانت سائدة آنذاك فى حضرموت واليمن .

وبعد نجاح الحركة فى حضرموت أخذ الوالى الاموى على حضرموت ابراهيم بن جبلة الكندى ، وحبس ثم اطلق سراحه ، فالتحق بالقاسم ابن عمر الثقفى والى مروان بن محمد فى صدحاء [٥] . وبعدها أقام طالب الحق فى حضرموت فتوافدت إليه الاباضية من مناطق عدة ، ولا يشير

---

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢/٥٨٢ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢ / ٥٨٢ . المسعودى . مروج الذهب جـ ٣ (بيروت ، ١٩٦٦) ص ٢٤٢ .

(٣) الشماخى ، السير ص ٩٩ .

(٤) البلاذرى ، الانساب ، ٨ / ورقة ١٠ ب .

(٥) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢/٥٨٢ .

البلاذرى إلى الأمصار التى قدموا منها [١] ، ولكننا نعلم أن أبا حمزة المختار ابن عوف عمانى يتردد على البصرة وكان يسكن فى قرية مجز جنوب صحار فى عمان [٢]، ويشير الأزكوى إلى انتماء أبى حمزة وبلج بن عقبة إلى عمان [٣].

وبعد أن استقر طالب الحق فى حضرموت وترافدت إليه جموع الاباضية من بقية المناطق ، قرر التوجه إلى صنعاء وطرد الوالى الأموى منها، ومهد لذلك فكتب إلى أباضية صنعاء : « أنى قادم عليكم » [٤] وأعد لهذا الغرض جيشاً عدته ألف وسبعمائة أباضى [٥] وانضم إليه الناقمون على الحكم الأموى بعد أن سئموا حكم الولاة الثقفيين الذين أشاعوا الجور والفساد والفساد فى اليمن فبلغ هذا الجيش المتوجه إلى صنعاء فى حدود الأربعة آلاف فرد [٦] ، مكون من الميمنة وعليها يحيى بن حرب والمهاجرين الذين انضموا إلى أباضية حضرموت ، وميسرة وعليها بلج بن عقبة من أباضية البصرة يعاونه أبرهة بن الصباح الحميرى ، وفى القلب كان عبد الله بن يحيى قائداً لهذه الحملة ، وترك خليفة له فى حضرموت عبد الله بن سيد الحضرمى [٧]

---

(١) البلاذرى ، الانساب ، ٨ / ورقة ١٠ ب .

(٢) العوتبى ، مسلمة بن مسلم ، أنساب العرب ، ورقة ١٦٢ أ .

(٣) الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٢٧١ أ .

(٤) البلاذرى ٨ / ورقة ١٠ ب . الأغانى ، ١١٢/٢٣ .

(٥) الشماخى ، السير ص ٩٩ .

ذكر خليفة أن عدد الجيش ألفين ، تاريخ خليفة ، ق ٢ ص ٥٨٢ .

(٦) كشف الغمة ق ٢٧١ أ .

(٧) السير ص ٩٩ .

وعندما علم الوالى الأموى بتوجه طالب الحق إلى صنعاء قاد حملة عسكرية قدر المؤرخون عدد أفرادها فى حدود الثلاثين ألفا [١] وسار لملاقاته خارج صنعاء واستخلف عليها الضحاك بن زمل السكسكى ، وتم لقاء الجيشين بقرية تسمى (الجانح) وهى قرية من قرى أبين [٢] ويشير البلاذرى إلى مكان آخر لهذا اللقاء وهى قرية روى [٣] وقيل بقرية (لحج) وهى من قرى أبين [٤] ، واتخذ القاسم ابن عمر الثقفى من أبين معسكراً خلف فيه أثقاله وانطلق بمقاتلته لمواجهة طالب الحق على بعد يومين من معسكره ، والتقى الجيشان فى بداية الليل وقرر القاسم بن عمر الثقفى أن يقاتلهم فى مساء ذلك اليوم ، ولم يصغ إلى نداء مشاوريه الذين اقترحوا مواجهتهم صباحا فقاتلهم ليلا فأوقعوا بههزيمة فادحة كانت فاتحة لانتصارات الأباضية على الجيش الأموى ، فاضطر الانسحاب إلى معسكره فى منطقة

---

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢ ، ص ٥٨٢ . ـ البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة . أب . ـ الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ١١٠ ، . ـ الشماخى ، السير ص ١٩ ـ الأزكوى كشف الغمة ورقة ٢٧١ ، أ . ـ « ولا شك أن هذا ارقم فيه الشىء الكثير من المبالغة فى ضوء الظروف العصيبة فى الجناح الشرقى فى خراسان ، وقد أشار الدكتور فاروق عمر إلى عدد الجيش الذى قاده مروان الثانى فى معركة الزاب وهى بلا شك أكثر أهمية من معارك اليمن إذ أنها تقرر مصير الدولة الأموية فى البقاء أو عدمه « فكان عدد هذا الجيش تقريبا من ٠٠٠ ر ٢٠ ألفا ـ ٠٠٠ ر ٢٤ ألف جندى » .

د . عمر ، فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، (بيروت ، ١٩٧٠) ص ٢١١ .

(٢) تاريخ خليفة ، ق ٢ ، ص ٥٨٣ .

(٣) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة . ١ ب .

(٤) الأصفهانى . الأغانى ، ٢٣ ، ص ١١٣ .

أبين ونقل معسكره من أبين إلى صنعاء [١] بعد أن ترك اربعمائة قتيلا في ساحه المعركة وقد وصف الازكوى هذه المعركة واستعداد كلا الجانبين من الناحية العسكرية والنفسية ، الجانب الاموى الذى كان ذا عدة وإعداد غفيرة قدرها ثلاثين ألفاً ولكنه جيش لاه خرج فى الدفوف والغناء والرقص والمزامير وعلى النقيض نزل الجيش الأباضى وهم يقرؤون القرآن ويكبرون الله ، وذهب الأزكوى خلافاً لما ذهب إليه الأصفهانى فهو يروى أن أصحاب طالب الحق هم الذين اقترحوا منازلة القاسم بن عمر الثقفى ليلا بعد أن هالهم كثرة جيشه ودب الضعف إليهم وقالوا لطالب الحق: « اهجم بدا عليهم بالليل فإن يكن لنا أصبحنا وإن تكن علينا نجونا فى سواد الليل » . وكان رد طالب الحق على أصحاب هذا الرأى أن أمر مناديا هتف فى الأربعة آلاف الذين قدموا معه : « من لم يرد القتال فلينصرف الليلة [٢] » وقد استجاب لهذا النداء أكثر من نصف الجيش القادم معه وبقى معه ألف وستمائة أباضى ، ولعل الذين تركوا طالب الحق ربما كانوا من أهل اليمن الناقمين على الدولة الأموية أو من أصحاب المطامع الباحثين عن الغنيمة وكان من مصلحة طالب الحق أن يتخلى هؤلاء عن جيشه ليقدر قواته الحقيقية لينظم فى ضوئها قواته لمواجهة القاسم بن عمر الثقفى ، واستطاع طالب الحق من إلحاق الهزيمة فى الجيش الأموى عند مطلع صباح المعركة واضطره إلى الهزيمة باتجاه صنعاء بعد أن خلف وراءه أربعمائة قتيل فى حين خسر الأباضية فى هذه المعركة ستين قتيلا [٣] .

---

(١) الاصفهانى ، الأغانى ٢٣ ، ص ١١٤ .
(٢) الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقه ٢٧١ أ .
(١) الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٢٧١ أ .

وبعد هذه الهزيمة تقهقر الجيش الأموى باتجاه صنعاء لغرض التموين وإعداد الجيش ورفع معنوياته المنهارة بعد هزيمة غير متوقعة على يد مجموعة صغيرة من الأباضية فيما لو قورنت بالجيش الأموى فى اليمن (١) ، وفى نفس الوقت عززت هذه المعركة ثقة الأباضية بأنفسهم ، فأخذ عبد الله بن يحيى يزحف باتجاه الشمال للاستيلاء على صنعاء مستفيدا من هذا النصر المعنوي ولم يتوقف زحفه الا بالقرب من صنعاء فى منطقة تدعى (جورين) (٢) .

أما القاسم بن عمر الثقفى فقد أدرك حقيقة الخطر الأباضى بعد أن ذاق مرارة الهزيمة فى اللقاء الأول لحفر الخنادق للاحتماء بها من هجمات الجند الأباضى واتخذ معسكره هذا خارج صنعاء (٣) ، ولم يجرأ على مقابلة طالب الحق بنفسه فأرسل قائده من الفيض بجيش مؤلف من أهل الشام واليمن عدده ثلاثة آلاف جندى فجرت مناوشات عسكرية بين الطرفين لم تؤد إلى نتيجة تذكر رجع على أثرها يزيد بن الفيض إلى القاسم بن عمر الثقفى (٤) ، واستأذن منه أن يبيتهم إلى الصباح ولكن القاسم بن عمر رفض وجهة نظر قائده الذى أصر على عدم مقاتلتهم ، لئلا تتكرر المأساة نفسها التى حدثت أول مرة عندما واقعوهم فى الليل . وبعد المحاجزة بين يزيد بن الفيض وعبد الله بن يحيى لم تجر مناوشات عسكرية لمدة يومين مشوبة بالقلق

---

(١) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١٠ ب .

(٢) الاصفهانى ، الاغانى ، ٢٣ / ص ١١٣ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢ ص ٥٨٣ . — الاغانى ، ٢٣ / ص ١١٣ . كشف الغمة ، ٢٧١ ب .

(٤) البلاذرى ، انساب ٨ ، ورقة ١٠ ب . — الاغانى ، ٢٣ ، ص ١١٣ .

والخطر وتحفز كلا الجيش للقتال [١] ، وفى الليلة الثالثة زحف عبد الله ابن يحيى (طالب الحق) ليكسر حالة اللا حرب ، ومع اطلالة اليوم الثالث أطبقت الأباضية على خنادق القاسم بن عمر الثقفى ودافعت الجنود الأموية من أهل الشام وأهل اليمن ولكن دون جدوى فقد دخلوا المعسكر بعد احتيازهم للخنادق المحفورة [٢] ، وبدأت معركة قتل فيها الصلت بن يوسف أحد قواد الجيش الأموى وابن أخ القاسم بن عمر الثقفى ، ولم يستطع يزيد بن الفيض الصمود أمام الشراة الاباضية بعد أن دافع فى معركة خاسرة حتى منتصف النهار [٣] ، ولحق بالقاسم بن عمر الثقفى فى صنعاء بعد أن عجز عن الوقوف فى وجه الزحف السريع للقوات الأباضية التى قادها عبد الله ابن يحيى (طالب الحق) [٤] . ويشير خليفة بن خياط والأصفهانى أن القاسم ابن عمر قد اشترك فى هذه المعركة [٥] ، ويظهر أنه هرب إلى صنعاء وتبعة بعد ذلك يزيد بن الفيض ، ومن صنعاء هربا إلى بلاد الشام بما تبقى من قواتهم [٦] .

وبعد هذا الاستعراض لتقدم الأباضية وزحفها الذى ابتدأ من حضرموت

---

(١) الأغانى ، ٢٣ ص ١١٣ .

(٢) نفس المصدر ، ٢٣ ، ص ١١٣ .

(٣) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١٠ ب ، الأغانى ، ٢٣ ، ص ١١٣ . اليمانى ، تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد ، بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ، (غيمر ، ١٩٦٥) ص ١٨ .

(٤) البلاذرى ، أنساب ٨ / ورقة ١٠ ب .

(٥) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢ ، ص ٥٨٣ ، . — الأغانى ، ٢٣ / ١١٣ .

(٦) كشف الغمة ، ورقة ٢٧٠ ب .

فى اقصى الجنوب إلى صنعاء فى الشمال بهذا الشكل السريع لابد لنا من ذكر العوامل التى ساعدت الاباضية فى الانتصار على الوالى الأموى .

العامل الأول :

قوة عقيدة الجيش الأباضى واستماتتهم فى القتال لوضوح الرؤية والهدف فأما أن يقيموا حكم الله فى الارض وهو أهم الدوافع التى يقاتلون فى سبيلها ، ومن هذا الهدف استمدوا شعارهم المعروف (لا حكم إلا لله) ، أو يبيعوا أنفسهم لله فيفوزوا بالجنة طبقا للمفهوم القرآنى فى الآية الكريمة :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، ولهذا سموا بالشراة . (١) فالعقائدية أضفت طابع الوحدة والانسجام لدى الشراة الأباضية فى حين كان الجيش الأموى مؤلفا من أهل الشام وبعض أهل اليمن لا توجد بينهم روابط عقائدية كتلك التى ربطت الشراة الأباضية .

العامل الثانى :

التذمر والاستياء من الحكم الأموى والولاة الثقفيين ، الذين حكموا اليمن بصورة متعاقبة بلغت زهاء نصف قرن من الزمان ، أشاعوا فيها الفساد والجور ولهذا سأم أهلها الحكم الثقفى فلم يقاتلوا بجد إلى جانب القاسم ابن عمر الثقفى ، فى (٢) حين انضمت أعداد كبيرة من أهل اليمن من غير الأباضية إلى طالب الحق فى زحفه على صنعاء ، لا سيما وأن طلب الحق

---

(١) الجيطالى ، شرح قواعد الإسلام ، ورقة ٢٥ أ . ـ الشماخى شرح مقدمة التوحيد ، ورقة ١٦ أ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ٢ ، تح ، أكرم ضياء العمرى ، (النجف ١٩٦٧) ، ص ٣٧٣ .

رفع شعارات تنافي عواطف اليمنيين بصورة عامة ، وقد عبر عن دوافع ثورته بأبيات من الشعر قال فيها :

كوى بالأسى قلبي وأبكى نواظرى بكاء اليتامى وابتسام الجبابر
وكلفنى حمل القواضب والقنا وسفك الدما أسراف أهل الكبائر

وواضح فى هذه الأبيات الدوافع الاجتماعية للثورة على الظلم والتسلط الاموي .

العامل الثالث :

ومن الأسباب التى عجلت بسقوط صنعاء بيد الأباضية أن الإباضية من من أهل صنعاء ساعدوا من الداخل جيش طالب الحق ضد أهل الشام ، وكان طالب الحق قد كتب اليهم قبل خروجه من حضرموت :

« إنى قادم عليكم [٢] » . وبهذا نستطيع تفسير اجتياز الشراة الأباضية للخنادق التى حفرت بالقرب من العاصمة صنعاء بهذه السرعة الخاطفة .

العامل الرابع :

المسافة الشاسعة التى تفصل بين اليمن ودمشق مركز الحكومة الاموية جعلت الجيش الأموى فى اليمن بين أمور ثلاث : أما أن يقتل أو يستسلم للأباضية ، أو الفرار إلى الشام ولا أمل له فى وصول امدادات عسكرية بحكم طول هذه المسافة ، فى حين كان طالب الحق يستطيع الحصول على امدادات عسكريه من قاعدته فى حضرموت ، ثم أن العامل الإقليمى ساعد

---

(١) البرادى ، الجواهر المنتقات ، ص ١٧٠ .

(٢) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١٠ ب . ـ الأغانى ، ٢٣ / ١١٢ .

طالب الحق بغض النظر عن أباضيته لكونه من أهل اليمن فى الانتصار بهذه السرعة الخاطفة .

إن هذه العوامل مجتمعة ساعدت فى انتصار طالب الحق ، وبدخوله إلى صنعاء خضعت له اليمن كلها ، ولا تشير مصادرنا التاريخية إلى أية مقاومة بعد المعركة التى وقعت على مشارف صنعاء[١] .

سياسة عبد الله بن يحيى بعد دخوله صنعاء :

كانت سياسة عبد الله بن يحيى مصداقا للالتزام بالشريعة الإسلامية فى معاملة المخالفين له مذهبيا من المسلمين ، واستطاع أن يوفق بين النظرية والتطبيق دون أن يسمح لحكم العواطف فى اللحظات الحرجة كلحظات ومواقف القتال التى تثور فيها العواطف الجياشة وحب الانتقام ، فعندما طلب قائده أبرهة ابن الصباح الحميرى الإجهاز على الهاربين وقتلهم منعه مع أن طالب الحق كان قد تمكن منهم كما يبدو من رواية البلاذرى[٢] ، لأن الاباضية لا تجوز الاجهاز ولحوق المدبر فى الحرب[٣] . وهذا يدل على الطابع المعتدل لسلوك هذه الفرقة حتى فى حالة الحرب . ولو قارنا بينهم وبين الأمويين لوجدنا بونا شاسعا فى هذه الناحية فقد ظهرت فى حروب الأمويين الوحشية والطابع البدوى والخروج على القيم الاسلامية فى حروبهم للأباضية[٤] .

---

(١) البلاذرى ، أنساب ٨/١٠١ ب ، الأغانى ، ٢٣ / ١١٤ فما بعد .

(٢) البلاذرى ، المصدر نفسه . الأغانى ، ٢٣ ، ١٣٠١ ، ١١٤ .

(٣) الجيطالى ، شرح قواعد الإسلام ، ورقة ٣٥ ب .

(٤) ينظر : بحثنا عن الحركة الاباضية بعد مقتل طالب الحق : ص

ونستطيع أن نتلمس الصدق فى هذه السلوكية فى الاجراءات التى اتخذها طالب الحق حيال العمال والولاة الأمويين ، فعندما دخل صنعاء حبس الضحاك بن زمل الذى تركه القاسم بن عمر واليا على صنعاء بعد خروجه لطالب الحق وابراهيم بن جبلة الكندى الذى وقع فى الأسر للمرة الثانية بعد طرده من حضرموت وحبسهما لمدة قصيرة وأطلق سراحهما وقال : « إنما حبستكما مخافة من العامة عليكما وليس عليكما مكروه فأقما أو أشخصا » ، فطلبا الخروج من اليمن[1] .

إن هذه الاجراءات التى اتخذها طالب الحق فى حضرموت أولا وفى صنعاء ثانيا أراد أن يبرهن لأعدائه والمسلمين عامة صدق التطبيق ومحو الصورة المشوهة التى رسخت فى أذهان المسلمين نتيجة للممارسات السياسية السابقة للحركات الخارجية كالأزارقة والنجدات على سبيل المثال .

وتتضح طبيعة سياسته فى خطبته التى ألقاها فى صنعاء بعد أن استولى عليها ووضح فيها وجهة نظر الأباضية وأهداف وطبيعة الحركة . جاء فيها : « الحمد لله المتحمد بالآلاء المنان بالنعماء ذى الأمر الغالب والدين الواصب...[2] » ثم استعرض فيها طبيعة الظروف السيئة التى كانت تحيط بالناس قبل الرسالة الإسلامية ، وبعد هذه الرسالة حيث أصبحت الأمة تعيش العزة والكرامة بفضل هذا الدين .

وقد طرح فى خطبته هذه نقاطا ثلاث تلقى الضوء على السياسة المرنة

---

(١) البلاذرى ، انساب ، ٨ / ورقة ١ ب . ـ الاغانى ، ٢٣ / ١١٤

(٢) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ١١ أ .

التى انتهجها فى اليمن . وقد خير الناس اتخاذ الموقف الذى يناسبهم فى ضوء الاعتبارات التالية : —

« أيها الناس إنا نخيركم من ثلاث خصال أيتها شئتم ، فخذوا لأنفسكم ، رحم الله امرءاً اتخذ الخيار لنفسه[١] » .

الاعتبار الأول : أن يوافقهم فى خطهم السياسى وفى هذه الحالة عليه أن يكون واحد منهم عليه ماعليهم من واجبات وله مثل حقوقهم ، « على أن يجاهد معنا بنفسه فيكون له من الأجر ما لأفضلنا ومن قسم الفىء مالبعضنا[٢] » .

الاعتبار الثانى : من لا يستطيع أن يجاهد معهم فليلزم الحياد (أو أقام فى داره فدعا الناس إليه بقلبه ولسانه فعله ألا يكون ذلك أخسر منازله[٣] » .

الاعتبار الثالث : وأعطى طالب الحق أمانا للرافضين للسياسة الأباضية « أو كرهنا فليخرج بأمان إلى ماله وأهله ويكف عنا يده ولسانه ، فأن ظفرنا لم يكن عرضا انا نفسه ، ولم يعملنا على سفك دمه ، وإن قتلنا كان قد كفى مؤنتناعسى إلا يعمر بعدنا إلا قليلا[٤] » . ويتضح من خطابته هذه عدة أمور

---

(١) المصدر السابق . الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٣٤ أ .

(٢) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١١ أ . مصباح الظلام ورقه ٣٤ أ .

(٣) البلاذرى ، الانساب ، ٨ / ورقة ١١ أ . مصباح الظلام ورقه ٣٤ أ .

(٤) البلاذرى . الأنساب ، ٨ / ورقة ٤١ أ . مصباح الظلام ورقة ٣٤ أ . مع اختلاف فى التعبير بين البلاذرى والرقيشى فى بعض نصوص الخطبة لكن هذه النصوص تتفق فى المعنى .

منها : أن الحركة الأباضية تسمح لبقية المسلمين بالانتماء إليها لمجاهدة السلطة الاموية بغض النظر عن اتجاهاتهم المذهبية كما يظهر من الخصلة الأولى وبهذا تختلف الحركة الأباضية عن الحركات الخارجية التى كانت لاتسمح بانضمام الغير إليها إلا بعد امتحانه[١] . ولو أن الصفرية فى حركتها ضد مروان الثانى التى قادها الضحاك بن قيس الخارجى رحبت بانضمام كافة العناصر المعارضة لحكم مروان الثانى بغض النظر عن اتجاهها السياسى[٢] .

كما يتضح من هذه الخطبة موقف أهل اليمن من الحركة الأباضية إذ يظهر أن هناك نسبة كبيرة من أهل اليمن كان موقفهم عدائيا من الحركة الأباضية أراد طالب الحق إقناعهم بعدم اعتراض الأباضية لئلا يبتلوا بدمائهم ، كما طلب من مجموعة أخرى أن يلزموا ديارهم ويؤيدوا الاباضية تأييداً عاطفيا فى الأقل[٣] .

— وكانت أولى الإجراءات التى قام بها عبد الله بن يحيى (طالب الحق) بعد أن استولى على الخزائن والأموال أمر بتوزيعها بين الناس بالسوية[٤] ، ليؤكد لأهل اليمن عهدا جديدا قائم على أساس العدل والمساواة دون مراعاة للاتجاهات المذهبية . ويذكر الشماخى : أن عبد الله بن مسعود وابن خيران وهما من الأباضية قد أتيا بالأموال والتى استولى عليها (طالب الحق) إلى المسجد فقسمها على فقراء صنعاء ، ولم يسمح للأباضية

---

(١) الدجيلى ، محمد رضا ، فرقة الأزارقة ، ص ٧٩ .
(٢) د . فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .
(٣) البلاذرى ، أنساب ، ٨/ ورقة ١٠ ب .
(٤) الشماخى ، السير ، ص ٩٩ .

أن يأخذوا منها شيئاً[١] . ولعل طالب الحق أراد بإصلاحاته المالية أن يكسب عطف الطبقات الفقيرة ، باليمن ويحملها على التعاطف مع الحركة الأباضية ، وبسبب هذه الإصلاحات والسياسة المرنة مع أعدائه ، أجمع المؤرخون كافة على حسن سيرته وسياسته ولم نجد فيهم من يطعن فى عدالته[٢] .

كما أحبه المتدينون من أهل اليمن بسبب تمسكه بالشريعة الإسلامية وقد عبر عن وجهة نظره العقائدية عندما ألقى خطبة فى صنعاء أظهر فيها بأنه سيسير على الإسلام ولا يسمح بالانحراف عنه ، جاء فيها : « الإسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا ـ ثم قال ـ من زنى فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ... » واستمر فى خطبته واعظا أهل اليمن مبينا ضرورة الالتزام بالإسلام والرجوع إليه ومؤازرة العلماء فى ثوراتهم المتتابعة فى كل وقت على أهل الضلالة والبغى . وباختصار أراد أن يشرح المبادىء التى سيسير عليها النظام الجديد[٣] .

أما فيما يتعلق باشارته إلى كفر الزانى وشارب الخمر والسارق فهو لا يعنى تكفير مرتكب الكبيرة ، كما ذهب إليه الدكتور النعمان القاضى بالكفر المناقض للإيمان[٤] ، لأن الأباضية تعنى بكفر المسلم كفر النعمة[٥] ، أى العاصى أو

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢ ، ص ٥٨٣ .

(٣) الأصفهانى ، الأغانى ، ٢٣ / ١١٤ - ١١٥ .

(٤) د . القاضى ، النعمان ، الفرق الاسلامية فى الشعر الأموى ، (القاهرة ، ١٩٧٠) ، ص ٤٢٨ .

(٥) الجيطالى ، قناطر الخيرات

التارك لفرض من من الفرائض أو الخارج على حد من حدود الله . ولعل طالب الحق أراد من إشارته هذه أنه سيقيم الحد على كل زانى وسارق وشارب خمرة .

ونتيجة لهذه السياسة التى اتبعها (طالب الحق) فقد أعطى البديل المناقض للأوضاع السيئة التى كانت عليها اليمن قبل الحركة فيذكر البلاذرى « أنه رأى باليمن جوراً وعسفاً شديداً وسيرة فى الناس قبيحة »[١] . ويصف المؤرخ نفسه الحالة بعد استيلاء طالب الحق فيذكر أنه أقام (أشهراً يحسن السيرة ، لين الجانب كافاً عن الناس[٢] . ونتيجة لهذه السياسة توافدت إليه الأباضية من كل مكان فكثرت جموعه فى اليمن وأحب الناس سيرته فساد الاستقرار والأمن ولم يحدث مايعكر صفو الأمن فى كل أنحاء اليمن ، وهذا يظهر مساندة عامة المسلمين فى اليمن لهذه الحركة .

الرسائل المتبادلة بين طالب الحق وأباضية الحجاز وعمان :

استبشر علماء الأباضية فى الأمصار بقيام أول كيان سياسى للأباضية فى اليمن فى سنة ١٢٩ هـ . فجرت مراسلات بين هؤلاء العلماء وطالب الحق ، اتسمت بطابع الوعظ والتأكيد على ضرورة الالتزام بالإسلام والسياسة التى يجب أن يسير عليها الإمام الأباضى فى حكمه ، وهذه المراسلات تلقى الضوء على طبيعة المجتمع الأباضى وتصوراته للحياة الإسلامية . فقد أرسل أبرز علماء الأباضية فى الحجاز أبو الحر على بن الحصين رسالة إلى الإمام طالب الحق جاء فيها[٣] .

---

(١) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقه ١١ أ .

(٢) المصدر السابق ، ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢/ ٥٨٣ .

(٣) الجيطالى ، قناطر الخيرات ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(فالله الله ياأخى أن تعمى بعد البصر ، وتضل بعد الهدى وبعد معرفة الإسلام ، وبعد إخلاص طاعة الله بالتقوى ، فإن أولى الألباب والنهى لم يكونوا أهل لهو ولا لعب ، ولم يكونوا أهل نسيان ولا غفلة ، ولا أهل راحة ولا فترة ، ولا أهل تلذذ بالدنيا ومطايب عيشها ، ولم يكونوا أصحاب نعيم ولا فخر ، ولا أهل إبل ولا بقر ، ولا أهل رغبة فى مال ، ولا أهل ولد إلا ما أعطاهم الله تعالى ، فان كان كثيراً أنقصوه عن أنفسهم وآثروا به أهل الفقه من خلقه ، تخوفا أن يفسدهم ذلك عن الله فيشروا ويبطروا ويمرحوا ويشغلهم ذلك عن الذى وكلوا به والذى هم به معنيون[1] » .

وإذا كان أبو الحر على بن الحصين قد ذكر لطالب الحق سيرة السلف من الأباضية لكى يقتدى بسيرتهم ، فان العالم العمانى أبا سفيان محبوب بن الرحيل استعرض فى رسالته إلى (طالب الحق) أوجه الانحراف فى الحكم الذى سار عليه الأمويون وقد ساعدهم على توطيد انحرافهم مجموعة من العلماء المداهنين ، وفيما يلى فقرات من هذه الرسالة جاء فيها . « وقديما اتخذت الجبابرة عباد الله خولا ، ودينه دغلا ، وماله دولا ، واستحل الخمر بالنبيذ ، والبخس بالزكاة . والسحت بالهدية . يأخذونها من غضب الله . وينفقونها فى معاصى الله . ووجدوا على ذلك من خونة العلم أعوانا . فبهؤلاء الأعوان قامت راية الفسق فى العساكر . وبهؤلاء الأعوان مشى المؤمن فى طرقات الأرض بالتقية والكتمان . فهو كاليتيم المنفرد يستبد به من لا يتقى الله ...[2] » .

(١) الجيطالى ، قناطر الخيرات ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٢) المصدر ، نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٨ - ٢٢٩ .

٢ - امتداد الحركة الاباضية الى الحجاز

انتشار الدعوة الاباضية فى الحجاز

انتشرت الدعوة الاباضية فى الحجاز فى مكة والمدينة فى نطاق ضيق جداً ويعزى سبب انحسار الدعوة فى الحجاز إلى طبيعة التركيب الاجتماعى المعادى للحركة الخارجية بصورة عامة . إذ كانت طبقة الأشراف التى يتصل نسبها بقريش صاحبة التأثير الاجتماعى والسياسى والاقتصادى فى الحجاز . وكان لبنى أمية خاصة مركز القيادة فى هذا الوقت بالذات[١] . ولعل وجود الدعوة الاباضية فى الحجاز يعود لتردد أئمتها على الحجاز لأداء فريضة الحج والدعوة لمبادئهم . وكان الإمام الاباضى جابر بن زيد ممن يكثرون التردد على الحجاز[٢] ويذكر الطبرى : أن أبا حمزة المختار بن عوف الأزدى كان يحضر موسم الحج فى كل عام مستغلا هذا التجمع الإسلامى لغرض لدعوة للمذهب الاباضى والخروج على السلطة الأموية[٣] . وبسبب نشاطه هذا اعتقله عامل معدن بنى سليم[٤] كثير بن عبد الله وضربه سبعين سوطا لتحريضه الناس على مروان الثانى .

---

(١) الزبيرى ، أبو عبد الله مصعب بن عبدالله، نسب قريش ج ٥ ، (القاهرة ١٩٥٣) ، ص ١٦٦ .

(٢) الحيطالى ، قناطر الخيرات ، ج ١ ، ص ٩١ . الدرجينى ، طبقات الاباضية ١ / ورقة ٩٠ ب .

(٣) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٧ / ٣٤٨ . الأزدى تاريخ الموصل ، ص ٧٧ . ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ٤ / ٢٩٧ . معدن بنى سليم ذكره : الاصطخرى يقع بين مكة والمدينة .

(٤) الاصطخرى ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، (القاهرة ١٩٦١) ، ص ٢٨ .

وقد ظهر تنظيم سرى أباضى فى الحجاز برئاسة الفقيه الأباضى أبى الحر على بن الحصين ويظهر أن الأباضية فى مكة يرجعون اليه فى أمرهم . كما كان يمارس التدريس بصورة سرية فى يوم الإثنين والخميس[١] وقد حذره بعض أتباعه لئلا يكتشف نشاط الدعوة (فقيل له : خشينا أن يظهر علينا . قال : أما سمعت أن الله يقول : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[٢] .

وكان أبو الحر على بن الحصين مثالا للداعية الأباضى فقد سخر أمواله فى خدمة الدعوة الاباضية وكانت هذه الأموال تأتيه من أملاكه فى البصرة . واتخذ بيته مركزاً تجتمع فيه الاباضية فى موسم الحج[٣] . وما يدرينا فلعله حلقة الوصل التى تربط بين مركز الدعوة فى البصرة والأقاليم الأخرى فى الجزيرة العربية .

وبسبب نشاطه المتزايد فى الحجاز فقد أثار قبضة السلطة الأموية وقد حمله مروان بن محمد مسئولية هذا النشاط فاعتقل وقيد بجامعة من حديد[٤] وقصدوا به الشام وقد تبعتهم مجموعة من الأباضية عددهم فى حدود الأربعة عشر رجلا استطاعوا إنقاذه من الجند الأموى ورجعوا به إلى مكة فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٩ هـ[٥] . وكان أبو الحر على بن الحصين على اتصال وثيق

---

(١) الشماخى ، السير ص ١٠١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٨ .

(٣) الدرجينى ، طبقات الأباضية ، ورقة ١١٥ ب .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ١١٣ أ . الجامعة وسيلة من وسائل الاعتقالات مصنوعة من الحديد تمنع الأسير المقيد بها من الفرار .

(٥) الدرجينى ، الطبقات ١ / ورقة ١١٢ ب - ١١٣ أ . - الشماخى ، السيرة ، ص ١٠٠ .

مع الاباضية فى اليمن كما كان على علم بقدوم أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى للاستيلاء على الحجاز . وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على التنسيق المنظم بين الخلايا السرية فى الحركة الأباضية .

الاستيلاء على الحجاز ١٢٩ هـ/ ٧٤٧م

لم تكن الحركة الأباضية التى قادها الإمام عبد الله بن يحيى الكندى (طالب الحق) حركة إقليمية أو قبلية تستهدف الاستيلاء على اليمن[١] . كما أنها لم تكن حركة إصلاحية تستهدف تغيير الأوضاع الاقتصادية والسياسية الفاسدة . وإنما كان هدفها إقامة (الإمامة الكبرى)ثم توحيد العالم الإسلامى تحت سلطة أباضية . ولما كان الطريق الموصل لإقامة هذه الإمامة لابد أن يمر بالقضاء على الأمويين . فقد وجه الإمام الأباضى فى اليمن عبد الله بن يحيى الكندى (طالب الحق) حملة عسكرية فى سنة ١١٩ هـ / ٧٤٧م . الهدف منها

---

(١) الدرجينى . الطبقات ١ / ورقة ١١٣ أ .

(٢) البكرى ، صلاح ، تاريخ حضرموت السياسى ، (القاهرة ١٩٥٦) .
يصور صلاح البكرى الحركة الأباضية فى اليمن سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م وكأنها حركة قبلية كقبيلة كندة اليمانية التى بايعت زعيمها عبد الله بن يحيى الكندى بالخلافة ، وواقع الحال إن الذين قادوا الثورة كانوا من قبائل شتى ومناطق متعددة ثم إن هذه الحركة كانت نتيجة الجهود التى بذلها الدعاة الأباضية بالتعاون مع أباضية البصرة وقد عبر أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى عن طبيعة الثورة بقوله: « سمعنا منادياً ينادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعى الله فأقبلنا من قبائل شتى ، قليلين مستضعفين فى الأرض » .

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، ج ٢ ، (القاهرة ١٩٥٢) ص ٢٠٠ .

الاستيلاء على الحجاز وأعطى قيادة هذه الحملة لقائده أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى وأمره أن يقيم فى الحجاز ويوجه بلج بن عقبة الأزدى إلى الشام لمحاربة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية[1] .

وبهذا الصدد لابد من الإشارة إلى اختلاف المؤرخين المحدثين وتقييمهم للدور الذى قام به أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى فى حركة الحجاز سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٧م .

فقد أشار المؤلف الحجازى أحمد السباعى أن أبا حمزة المختار بن عوف من شيعة على (ع) وأصله من حضرموت وعلى هذا تكون هذه الحركة علوية الاتجاه ولا تذكر المصادر التاريخية المتقدمة والمتأخرة أو شىء من هذا القبيل[2] .

أما أحمد الشايب فقد أكد على شخصية أبى حمزة المختار بن عوف واعتبره الرائد الأول لهذه الحركة الأباضية فى حين أعطى لعبد الله بن يحيى الكندى دوراً ثانوياً فيها ، ويرى أن أبا حمزة الخارجى هو الذى ضم إلى حركته عبد الله بن يحيى الكندى (طالب الحق) وذهب به إلى حضرموت وبايعه على الخلافة ، وحمله على قتال مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية[3] .

---

(١) البلاذرى ، انساب ، ٨/ ورقة ١١ ب . — الأغانى / ٢٣ /١١٥ . — ابن منقذ ، أسامة بن مرشد بن على ، مخطوطة مصورة ، نشرها أنس خالدوف (موسكو ١٩٦١) ورقة ٢٤٠ ب .

(٢) السباعى ، أحمد ، تاريخ مكة ، ج ١ (مكة ١٣٨٥) ص ٩٨ .

(٣) الشايب ، أحمد ، تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى (القاهرة ١٩٧٠) ص ١٧٥ .

أما الدكتور حسن إبراهيم حسن فمعلوماته مرتبكة عن الحركة الأباضية في سنة ١٢٩ هـ، كما يرى أن سبب الثورة هو اللقاء الذى جمع بين طالب الحق وأبى حمزة المختار بن عوف فى الحجاز سنة ١٢٨ هـ، ويخطأ فى تفسير رواية موسى بن كثير مولى الساعديين التى أوردها الطبرى وأخذها عنه الأزدى فى كتابه (التاريخ الموصل[1]) فيما يتعلق بمبايعة أبى حمزة بالخلافة لطالب الحق فالدكتور حسن إبراهيم حسن يرى أن أبا حمزة قال لطالب الحق: «اسمع كلاماً حسنا، إنى أراك تدعو إلى حق، فانطلق معى فانى رجل مطاع فى قومى»، وهذا النص كما قاله عبد الله بن يحيى لأبى حمزة وليس كما ذهب الأستاذ حسن إبراهيم حسن[2].

ويرى الدكتور حسن إبراهيم حين يتكلم عن الأباضية أن عبد الله بن أباض خرج «فى أيام مروان بن محمد بعد أن قضى الأمويون على الخوارج أوكادوا. وبعد أن كان اليأس يدب إلى الأحزاب[3]». وعلى هذا فعبدالله ابن أباض الذى تنسب إليه الفرقة الأباضية قد اشترك فى الحركة التى قادها أبو حمزة وطالب الحق. وهذا خطأ تاريخى وقع فيه الدكتور حسن لاعتماده على كتب الفرق الإسلامية فقط حيث تشيع فيها مثل هذه الأخطاء[4] لان

---

(١) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك ٧ / ٣٤٨. الأزدى، تاريخ الموصل ص ٧٧.

(٢) د. حسن، ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى. (القاهرة ١٩٦١) ١/٣٨٧.

(٣) المصدر نفسه ١/٣٩٢.

(٤) الشهرستانى، الملل والنحل (المكتبة الأنجلو مصرية. لا ت)، ١/١٨٠ المقريزى، الخطط المقريزية ٢/٣٥٥.

ابن أباض توفى قبل هذا الوقت بكثير فى خلافة عبد الملك بن مروان[١] .

ويذهب الدكتور إبراهيم الشريق إلى القول بأن عبد الله بن يحي الكندى وجماعته فى اليمن قد بايعوا أبا حمزة المختار بن عوف بالخلافة ، وهذا يخالف ماورد فى المصادر الإسلامية التى أجمعت على مبايعة أبى حمزة لعبد الله بن يحيى الكندى بالخلافة وكذلك اعتبر صالح الحامد المؤلف الحضرمى أبا حمزة المختار ابن عوف عمود الثورة ، وجعل هذه الحركة أول تسرب المذهب الأباضى إلى حضرموت[٢] .

أما الدكتور النعمان القاضى فيرى « فى ارتفاع شأن الأباضية بوجه خاص إلى داعيتها وخطيبها وقائد جندها الفذ أبى حمزة الشارى الذى كان فى الواقع أهم من عبد الله بن يحيى نفسه ...[٣] .

فى حين ذهب الدكتور فاروق عمر إلى القول بتحالف أبى حمزة المختار وعبد الله بن يحيى الكندى (طالب الحق) وتمركز أبى حمزة فى اليمن وحضرموت[٤] .

وبعد هذا الاستعراض الموجز لآراء بعض المؤرخين والكتاب المحدثين يمكن تلخيص آرائهم فى قسمين :

---

(١) الأزكوى ، كشف الغمة ورقة ٢٤٤ ب ،

(٢) الحامد ، صالح . تاريخ حضرموت (بيروت ، ١٩٦٨) ١ / ٢٠٦ يراجع الجذور التاريخية للدعوة الأباضية فى اليمن وحضرموت

(٣) د القاضى ، النعمان ، الفرق الاسلامية فى الشعر الاموى ص ٤٢٨

(٤) د عمر فاروق ، العباسيون الأوائل (بيروت ١٩٧٠) ١/ ٢٤١ الراوى ، ثابت إسماعيل ، تاريخ الدولة العربية ، خلافة الراشدين والأمويين (بغداد ، ١٩٧٠) ٢/ ٢٢٠

القسم الأول : يرى أن أباحمزة الزعيم الأول للحركة فى حين كان عبدالله ابن يحيى الكندى موجها من قبل أبى حمزة .

القسم الثانى : من يرى أن أبا حمزة وعبدالله بن يحيى الكندى قد تحالفا من أجل ادنجاح الحركة الخارجية ومع ذلك يعطى دورا رئيساً لأبى حمزة فى هذه الحركة .

أن أغلب الدراسات التى كتبت فى هذا الصدد تعوزها الدقة والاحاطة لأنها اقتصرت على رواية واحدة لموسى بن كثير مولى الساعديين التى رواها الطبرى [١] ، وذلك لأن روايات تاريخية أخرى لم يتيسر للباحثين الاطلاع عليها تؤكد أن أبا حمزة المختار بن عوف الأزدى لم يكن إلا قائدا من قواد الحملة التى استولت على الحجاز وكان يتلقى أوامره من عبدالله بن يحيى الكندى (طالب الحق) ويتفق خليفة بن خياط والبلاذرى أن طالب الحق وجه أبا حمزة بن المختار بن عوف الأزدى بجيش إلى مكة وأمره أن يقيم فيها[٢] ، كما أمره أن يوجه بلج بن عقبة إلى الشام بعد الاستيلاء على الحجاز [٣] ، ويؤكد المسعودى أن أباحمزة المسعودى أن أباحمزة المختار بن عوف الأزدى وبلج بن عقبة الأزدى ، وهما فيمن معهما يدعون إلى عبدالله بن يحيى الكندى ، وكان قد سمى نفسه بطالب الحق ، وخوطب بأمير المؤمنين وكان أبا فى

---

(١) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣٤٨/٧ . . — الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ٧٧ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٣ ص ٥٨٣ . — البلاذرى ، أنساب ، ٨/ورقة ١١ ب .

(٣) البلاذرى ؛ أنساب ، ٨ ورقة ٦١ ب .

المذهب من رؤساء الخوارج [١] ، ويتضح من هذا النص أن أبا حمزة المختار ابن عوف الأزدى كان يدعوا إلى أمامة عبد الله بن يحيى الكندى فى اليمن ، كما لا تذكر مصادرنا المتقدمة أن هناك تحالفاً بين طالب الحق وأبى حمزة المختار بن عوف الأزدى الذى لم يكن له دور يذكر فى معارك اليمن وحضرموت .

أن الذى أغرى المؤرخين المحدثين فى تقييمهم هذا لشخصية أبى حمزة لما تمتع به من أسلوب خطابى فذ ومقدرة على عرض أفكاره فى خطبه البليغة التى ألقاها فى مكة والمدينة ، ولأنه قاد الأباضية التى استولت على الحجاز مع ما للحجاز من قدسية وأهمية من الناحية الروحية فى نفوس المؤرخين الرواد الذين سلطوا الأضواء على شخصية أبى حمزة أكثر مما سلطوها على شخصية طالب الحق .

الاستيلاء على مكة :

وصل الشراة الأباضية لى مكة المكرمة فى الثامن من شهر ذى الحجة فى سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م ، يقودهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى فى جيش يتراوح تعداده ما بين سبعمائة [٢] إلى ألف ومائة [٣] ، وينفرد خليفة ابن خياط فيقدر عدد هذا الجيش بعشرة آلاف أباضى [٤] ، وقد سلكوا

---

(١) المسعوى ، على بن الحسين ، مروج الذهب ، (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ٢٥٧/٣ .

(٢) الطبرى التاريخ ٣٧٥/٧ . الأزدى تاريخ الموصل ص ١٠٢ .

(٣) البلاذرى أنساب ١١/٨ ب — الأصفهانى، الأغانى ١١٥/٢٣ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة ق ٥٨٣/٢ . (وعدد الجيش الذى ذكره خليفة ثمانية أضعاف الجيش الاباضى تقريباً . إذ أن أبا حمزة لم يستطع أن يجند =

طريق الطائف المؤدى إلى مكة [١]، ودخلوها من جبل عرفة فى الوقت الذى كانت الناس مجتمعة تؤدى الشعائر على جبل عرفات [٢].

وكان اختيارهم لموسم الحج اختياراً موفقاً لدخول مكة، إذ سيمكنهم من ناحية دعائية فى عرض أفكار وأهداف الحركة السياسية التى انطلقت من اليمن لتقضى على الخلافة الأموية، لا سيما وأن الحاج قد اجتمعوا من كافة الأقاليم الإسلامية. ومن ناحية أخرى سوف لا يمكنون عبد الواحد بن سليمان عبد الملك والى الحجاز لمروان بن محمد من الاستمداد لحربهم إلا بعد الاستيلاء على مكة وبذلك سوف يحرم من القوة البشرية والاقتصادية فى مدينة مكة وتجنيدها لحرب الأباضية. ولهذا كان موقف عبد الواحد بن سليمان ضعيفاً جداً من الناحية العسكرية، فعقد اتفاقا بينه وبين أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى، وقد توسط بين الطرفين مجموعة من أحفاد الصحابة ترأسهم عبد الله بن حسن بن على ابن أبى طالب، وأمية بن عبدالله ابن عمر بن عثمان، وعبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وسألوا أبا حمزة بالكف عن الحرب حتى ينتهى الناس من أداء مناسك الحج [٣]، على أن يترك عبد الواحد بن سليمان مكة. لأبى حمزة بعد الانتهاء

= لمعركة وادى القرى — كما نرى — إلا ستمائة أباضى. البلاذرى، أنساب ٨ / ورقة ١ ب — ويظهر صغر عدد الجيش الأباضى أن الناس قالوا لعبد الواحد ابن سليمان: «لو حملت عليهم الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس». الأغانى، ٢٣/١١٧.

(١) الزبيرى، كتاب نسب قريش ٥/١٦٦.
(٢) الطبرى ٧/٣٧٥.
(٣) الزبيرى كتاب نسب قريش ٥/١٦٦.

من أداء مناسك الحج فقبل أبو حمزة هذا الاتفاق [١] . فوقف وشيعته بعرفة ، [٢] فى حين تجمع عبد الواحد فى منطقة منى ليؤم كل منهما جماعته [٣] وقد تم ذلك فعلا بعد الحج مباشرة حيث غادر عبد الواحد مكة فى العاشر من ذى الحجة ليدخلها أبو حمزة بدون قتال يذكر . [٤] وكان لابد لأبى حمزة أن يعرض مبادىء الحركة الأباضية ككل الحركات التى تبدأ بدايات جديدة فى الحكم ، ولهذا الغرض ألقى أبو حمزة خطبته البليغة التى خلدت ذكره كواحد من أبرز خطباء العصر .

وقد استعرض أبو حمزة فيها لأهل مكة عقائد الأباضية ونظراتهم فى السياسة والحكم الأموى القائم . وقد ابتدأها بحمد الله والثناء عليه ثم قال : « أيها الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يتأخر ولا يتقدم إلا بإذن الله وأمره ووحيه ، أنزل الله له كتابا بين له فيه ما يأتى وما يتقى [٥] وبعد ذكره لسيرة الرسول ، أعطى تقييما لحكومة الخلفاء الراشدين مستعرضاً سيرتهم استعراضاً موجزاً فقال بصحة خلافة أبى بكر وعمر بن الخطاب وترحم عليهما كما أكد صحة خلافة عثمان فى الست سنوات الأولى من خلافته « ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط به الأوائل » . . [٦]

---

(١) البلاذرى ، أنساب ٨/١١ ب .

(٢) ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على ، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . مخطوطة بمكتبة الإمام الحكيم برقم ٩٦ ، ٧ / ورقة ١٦ ب .

(٣) الزبيرى ، نسب قريش ٥/١٦٦ .

(٤) المصدر السابق نفسه البلاذرى ٨/١١ ب .

(٥) الجاحظ ، البيان والتبيين (القاهرة ١٩٤٨) ٢/١٢٢ .

(٦) المصدر نفسه ص ١٢٣ ، البلاذرى ٨/١١ أ — الدينورى أبو محمد ،

أما تقييمه لحكم الإمام علي « فكان علي سداد حتى حكم فى كتاب الله وشك فى دينه »[١].

ثم ابتدأ بالحكام الأمويين وأشار إلى معاوية الذى « اتخذ عباد الله خولا ومال الله دولا ثم مضى لسبيله ناكبا عن الحق مداهنا فى الدين . » ثم سلط لعناته على معاوية وابنه يزيد « الذى لا يعرف معروفا ولا ينكر منكراً . . » وبعد أن سلط أحكامه على آل سفيان انتقل إلى الفرع الثانى من العائلة الأموية وهو الفرع المروانى مبتدأ بعبد الملك بن مروان الذى اتخذ « الحجاج إماماً له فى النار ... » وسار على نفس النسق معدداً مثالب بقية الخلفاء الأمويين وانحرافاتهم عن الشريعة الإسلاميه ضارباً مثلا لكل واحد منهم ، وخاصة فيما يتعلق بالجانب الاقتصادى وسوء التوزيع ، فهم « يأخذون الصدقة من غير موضعها ويجعلونها فى غير أهلها ».[١]

وطرق مسامع أبى حمزة سخرية أهل مكة واستهزائهم بجيشه الفتى الذى يتكون أغلبه من العناصر الشابة ، فأشار فى خطبته هذه إلى سخريتهم فقال : « يا أهل مكة أن تعيرونى أصحابي وتزعمون أنهم شباب »[٢]، ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأسوة والقدوة للمسلمين فرد أبو حمزة

= عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، عيون الأخبار ، (القاهرة ، ١٩٦٣) ج ٥ ص ٢٤٩ .

(١) البلاذرى ، الأنساب ٨ / ورقة ١١٩ أ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة ق ٦٢ / ٥٨٤ . الجاحظ . البيان والتبيين . ٢ / ١٢٤ .

على المكيين متسائلا « وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابا ؟ ..»[١] ، ولكنهم « شباب مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة من الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم»[٢] ، واسترسل فى خطبته هذه واصفا جيشه الشباب بأحسن النعوت العقائدية .

أن للشباب الذين انضموا إلى هذا الجيش وحداثة أعمارهم يظهر أن الدعوة الأباضية جذبت الطاقات الشابة إلى حضيرتها لتحقيق المبادىء والأهداف التى تروم تحقيقها ، مستفيدة من حيوية الشباب وعاطفته الوقادة فى التحمس للمثل العليا التى يدعون لها .

وقد أكد عمرو بن الحصين فى رثائه لشهداء الأباضية طبيعة تكوين الجيش الأباضى من العناصر الشابة فقال : مادحا وراثيا : .

فى فتية صبروا نفوسهم   للمشرفية والقنا السمر[٣]

وأنهى أبو حمزة خطبته بالبكاء على شهداء الحركة الاباضية والترحم عليهم[٤] .

أما الشيء المهم فى هذه الخطبة فهو تهديد أبو حمزة لأهل مكة الذين وقفوا منه عدائيا[٥] ، وهذا الموقف سيضعفه بلا شك من الناحية

---

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٥٨٤/٢ — الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١٣٥/٢ . — البلاذرى ، انساب ، ١١/٨ أ .

(٢) البيان والتبيين ، ٢ /١٢٥ .

(٣) الأصفهانى ، الأغانى ، ١٤٨/٢٣ .

(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١٢٥/٢ . — البلاذرى ، أنساب ، ١١/٨ أ

(٥) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق٥٨٤/٢ . — البلاذرى ، أنساب ١١/٨ب

العسكرية لأن تأييد الأهالى عامل منهم من عوامل الانتصار فأصبح وجود ابن حمزة والأباضية فى الحجاز فى موضع حرج من الناحية الاقتصادية والعسكرية فمن العسير عليه الحصول على تموين لأتباعه من محيط معادى.

وبرغم الموقف العدائى لأهل مكة فإن السياسة الأباضية اتخذت موقفاً وديا من أجل التقرب إليهم فقد نادى مناديا لأبى حمزة لمدة أربعة أيام معلنا الأمان لكل الناس باستثناء المحاربين، وهذا الموقف يذكرنا بموقف طالب الحق من أهل صنعاء وتسامحه معهم.

الاستيلاء على الطائف:

بعد أن استقر أبو حمزة فى مكة وجه مجموعة من أتباعه للاستيلاء على الطائف، ولما علم أهل الطائف بقدومه تركوها وأخرجوا النسوة لاستقبال الشراة الأباضية، وقد أعطى القائد الذى بعثه أبو حمزة الأمان لنسوة الطائف فرجع إليها الرجال بعد إعطاء الأمان[1]، ولا تشير المصادر التاريخية إلى تفصيلات أخرى فيما يتعلق بموقف الطائف المسالم لأبى حمزة.

ومن المحتمل جدا أن الطائف استسلمت للأباضية، بعد أن ادركت عدم جدوى المقاومة، بعد هروب والى الحجاز عبد الواحد بن سليمان إلى المدينة[2]. غير أن القرشيين الذين تجمعوا فى المدينة لمقاومة أبى حمزة استنكروا استسلام أهل الطائف له واعتبروا هذا الموقف خيانة لهم،

---

(١) البلاذرى، انساب، ٨/ ورقة ١١ ب.

(٢) ابن خياط، تاريخ خليفه، ق ٢/ ٥٨٣. — اليعقوبى، تاريخ ص ٨٠.

ثم قال بعضهم : « لو شاء أهل الطائف لكفونا من هذه المقارنة ، ولكنهم دهنوا اما والله لئن ظفرنا لنسبين أهل الطائف ، من يشترى منى سبى أهل الطائف[٢] » .

أن دخول الطائف فى حوزة الأباضية . ساعد أبا حمزة فى أن يوجه قواته القليلة العدد لحرب القرشيين الموالين للسلطة الأموية المجتمعين فى المدينة المنورة .

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا التمزق وعدم الوحدة فى موقف الحجاز تجاه أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى ، ويوضح لنا السهولة التى استطاع فيها أبو حمزة الاستيلاء على مدن الحجاز الرئيسة .

معركة قديد والاستيلاء على المدينة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م :

بعد استيلاء أبى حمزة على مكة تركها والى الحجاز عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بعد أن أدرك ضعف قواته العسكرية عن مواجهة أبى حمزة المختار فى مكة ، فذهب إلى المدينة ودعا بالديوان الذى يسجل فيه أسماء المقاتلة وزاد فى أعطائهم لتشجيعهم على قتال الأباضية فى مكة[٢] . وجهز لهذا الغرض حملة عسكرية عدد أفرادها حوالى ثمانية آلاف مقاتل وأعطى قيادتها

---

(١) البلاذرى ، ٨/ ١١ ب ، . — مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ٣ / ١٦٧ .

(٢) الزبيرى ، نسب قريش ، ٧/ ٢٥٠ . — اليعقوبى ، تاريخ ، ٣/ ٨٠ . — الطبرى ، الرسل والملوك ، ٧/ ٢٩٤ .

لعبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وصارت هذه الحملة باتجاه مكة لطرد الأباضية عنها [١].

وحالما علم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى بمسيرهم إلى مكة فضل أن يلاقيهم خارج مكة لكى لا يعطى لأهلها مجالا للتحرك والوقوف إلى جانب القوات القادمة من المدينة .

وهذا الغرض استخلف أبو حمزة على مكة أبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميرى [٢] . وسار لملاقاة الجيش الأموى القادم من المدينة ، وكان جيشه مؤلفا من الأباضية القادمين من اليمن مع أباضية الحجاز من قبيلة خزاعة التى انضم منها نحو أربعمائة أباضى إلى جيش أبى حمزة [٣] ، كما اشتركت مجموعة صغيرة من أباضية الموصل فى جيشه الزاحف على المدينة [٤] ، إضافة إلى مجموعة من القرشيين للمذهب الأباضى ، وكان أبو بكر محمد بن عبد الله ابن عمر القرشى قائدا من قواد أبى حمزة فى معركة قديد ، إذ ترأس إحدى الطوائف الثلاث التى تكون منها الجيش الاباضى [٥] ، فى حين قاد

---

(١) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٧/٣٩٥ .

(٢) البلاذرى ، انساب ، ٨ ورقة / ١١ ب/.

(٣) الدرجينى ، طبقات الأباضية ١ ورقة /١١٣ ب . (ويؤكد رواية الدرجينى رواية اليعقوبى التى تشير إلى اتهام القرشيين القبيلة خزاعة بالخيانة لهم فى معركة قديد . اليعقوبى ، التاريخ ، ٣/٨٠

(٤) الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ٨٠

(٥) الزبيرى ، نسب قريش ، ١٠ / ٣٦٨ . - ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد ، جمهرة أنساب العرب ، (القاهرة ، ١٩٧١) ١/٥٠ .

الطائفة الاخرى أبو حمزة المختار بن عوف وترأس الثالثة بلج بن عقبة الأزدى[1].

لقد أضفت العقيدة الأباضية وحدة من الترابط والانسجام على الجيش الأباضى ، الذى اجتمع من عدة قبائل ، فى حين كان جيش المدينة يتألف من عناصر متنافرة من القرشين والأنصار ومجموعات أخرى من عدة قبائل[2].

التقى الجيشان فى قرية قديد الواقعة بين المدينة ومكة وقد وصلها أهل المدينة ليلا واستحوذوا على حياض المياه فيها ، ولعلهم أرادوا منع الأباضية من الاستفادة منها وقطع المياه عنهم[3]. وفى صباح السابع أو التاسع من صفر يوم الخميس سنة ١٣٠ هـ وصلت قوات أبى حمزة إلى قديد[4].

وكعادة الأباضية فى كل معاركهم أرسل أبو حمزة المختار بن عوف بلج بن عقبة الأزدى إلى أهل المدينة وأوضح لهم الغاية من حملتهم العسكرية

---

(١) البلاذرى ، أنساب ، ٨/ ورقة ١١ ب .

(٢) المصدر السابق ، . ـ الطبرى ، الرسل والملوك ٣٩٣/٧ .

(٣) الطبرى ، الرسل والملوك ٣٩٣/٧ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٥٩٢/٢ . ـ الطبرى ، الرسل والملوك ، ٣٩٥/٨ . ـ الأزدى ، تاريخ الموصل ص ١٠٨ . ـ يشير البلاذرى وصاحب كتاب العيون والحدائق أن المعركة وقعت فى ٢١ - ٢٣ صفر يوم الخميس . البلاذرى ، أنساب ٨ / ورقة ١١ ب . مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ١٦٨/٣ .

بأنها لا تستهدف الحرب معهم بقدر ما تؤكد على إزالة السلطة الأموية في الشام[1]، وقال لهم: «لا تعجلوا حدثنا بكم فأنا لا نريد قتالكم»، ولكنهم استهانوا بما قدمه القائد الاباضي وأصروا على قتالهم وكالوا لهم الشتائم ووصفوهم بالمفسدين فأثاروا الأباضية، فقالوا للقرشيين: «يا أعداء الله نحن نفسد في الأرض وإنما خرجنا لنكف الفساد ومقاتلة الذين استأثروا بالفيء عليكم[2]». ولم يفلح بلج بن عقبة باقناعهم بالعدول عن الحرب رغم كل الحجج التي قدمها لهم[3].

ومن سوء طالع أهل المدينة أن حفيد الخليفة عثمان كان قائدالهم في هذه المعركة، وقد أثار قبيل بداية الحرب مسألة من الأسس التي يبنى عليها الأباضية نظراتهم في الخلافة الإسلامية، فسأل الأباضية عن رأيهم في الخليفة عثمان، فرد عليه بلج بن عقبة: «قد برىء منه المسلمون قبلي وأنا متبع آثارهم...». فقال له عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن عثمان. «فارجع إلى أصحابك فليس بيننا إلا السيف»[4]. وكانت هذه المحاورة إيذانا ببدء القتال، وأخبر

---

(١) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١١ ب. الطبري، الرسل والملوك، ٣٩٥/٧ الأغاني، ٢٣/ ١٢٣. الدرجيني، طبقات الاباضيـــة، ١/ ورقة ١١٣ ب،

(٢) البلاذري: أنساب ٨/ ورقة ١١ ب. الأغاني، ٢٣ / ١٢٣. العيون والحدائق، ١٦٨/٣.

(٣) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١١ ب. الطبري، الرسل والملوك، ٣٩٥/٧.

(٤) البلاذري، أنساب ٨ / ورقة ١١ ب. العيون والحدائق، ٣/ ١٦٨ — ١٦٩.

بلج بن عقبة قائده بموقف القائد الأموى وإصراره على الحرب ، فأمر أبو حمزة الأباضية بالكف عن القتال حتى يبدأ الجانب الاموى .

ولم ينتظر الأمويون طويلا فأرسلوا سهامهم إلى معسكر أبى حمزة فأمر أبو حمزة الأباضية فحملوا عليهم وهزموهم حيث تراجعوا فى أثرها إلى المدينة بعد أن خلفوا جرحاهم فى ميدان المعركة[١] ، وأشار قواد أبى حمزة والفقيه الأباضى على بن الحصين بالإجهاز على الجرحى ومطاردة الهاربين ولكن أبا حمزة منع الأباضية من مطاردتهم[٢] ، لأن الأباضية لا تجوز الإجهاز على الجريح ومطاردة الهارب من الحرب[٣] . وقد أغرى هذا الموقف أهل المدينة فرجعوا لمقاتلة الأباضية فأوقع بهم أبو حمزة وجنده قتلا وأسرا وانجلت المعركة لصالح الأباضية بعد أن خلف أهل المدينة قائدهم صريعا فى ميدان المعركة[٤] ، مع ثلاثمائة قرشى وثمانين انصاريا وألف وسبعمائة قتيل من القبائل والموالى[٥] . وفى رواية الطبرى أن عدد القتلى فى هذه المعركة سبعمائة قتيل[٦]

---

(١) البلاذرى ، أنساب ٨ / ورقة ١١ ب . الأغانى ، ٢٣ / ١٢٣ . العيون والحدائق ، ١٦٩/٣ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ٥٩٢/٢ - ٥٩٣ .

(٣) الجيطالى ، شرح قواعد الإسلام ، ورقة ٣٥ ب .

(٤) الزبيرى ، نسب قريش ، ٤ / ١١٤ . اليعقوبى ، تاريخ ، ٢ / ٨٠ . الطبرى ، الرسل والملوك ، ٧ / ٣٩٥ . ويشير خليفة ابن خياط والبلاذرى إلى هروب عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان من المعركة . تاريخ خليفة ق٢/٥٩٤ البلاذرى ، أنساب ٨/ورقة ١١ ب .

(٥) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١١ ب . الأغانى ، ١٢٥/٢٣ .

(٦) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٣٩٨/٧ .

ولم يترك أبو حمزة أسراه هذه المرة دون عقاب ، ويظهر أنه حمل القرشيين مسئولية الحرب فقتل كل أسير قرشي وأخلى سبيل الأنصار وغيرهم [١].

وبهذا نفسر كثرة القتلى من القرشيين فى هذه المعركة ، ومما زاد فى قسوته عليهم باعتبارهم يمثلون النظرية التى تقول بحصر الخلافة فى قريش المناقضة تماماً لرأى الاباضية فى الخلافة .

وعند دراسة قوائم القتلى التى ذكرها المؤرخون فى موقعة قديد يتضح أن القوة والنفوذ فى المدينة آنذاك كانت بيد الأمويين والزبيريين بالدرجة الأولى [٢] .

ولم يشترك العلويون أو العباسيون مع القوات الأموية فى هذه المعركة ، لأنهم كانوا يمثلون الحركة المعارضة للحكم الاموى إلى جانب الحركة الخارجية. ولكل من العلويين والعباسيين تنظيماتهم الخاصة فى هذه الحقبة ، ومن مصلحتهم أن تنهك الأباضية قوى الخلافة الأموية ، لاسيما وإن الثورة العباسية فى خراسان كانت قد بدأت بعملياتها العسكرية فى ٢٥ رمضان سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧م ، وبدأت فى عام ١٣٠ هـ وهو عام معركة قديد تفرض

---

(١) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١١ ب .

(٢) انظر ، الزبيرى ، نسب قريش ، ج ٤/١١٤ ، ج ٢٩٧/١٠ ، ج٢١٧/٧ ، ٢٥٠ . - ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٥٩٤/٢ . - ابن بكار ، الزبير ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، ج ١٥ ، (القاهرة ، ١٣٨١ هـ) ، ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ . ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ج ١ ، ص ٧٢ ، ٨٥ ، ١١٦ ، ١١٧ .

الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ١٠٩ .

سيطرتها على خراسان[١] . ولهذا خلت قوائم القتلى فى قديد من أسماء العلويين والعباسيين .

وتشير الرواية الأباضية عن أبى سفيان محبوب بن الرحيل إلى وجود اتصالات سرية بين عبد الله بن الحسن المحض وأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة. مسألة فيها مساعدة الاباضية إلا أن أبا عبيدة مسلم لم يوافق على هذا العرض وقال لمشاوريه : «فإن أراد الدين كما يزعم فليحلق بصاحبنا بحضرموت عبدالله ابن يحيى فليقاتل بين يديه حتى يموت[٢]» .

ونستطيع القول أن طبيعة الصراع فى هذه المعركة كان بالدرجة الأولى بين السلطة الأموية فى الحجاز ومن يواليها من القرشيين والرافضين لسيطرة الأباضية على الحجاز جمعتهم المصلحة السياسية والخوف من انتشار تعاليم ومبادىء الخوارج التى تهدد نفوذهم بصورة عامة .

أما الأسباب التى أدت إلى انتصار الأباضية فى قديد ، فقد استطاع أبو حمزة المختار بن عوف الانتصار على الوالى الأموى عبد العزيز بن عمر بن عثمان رغم قلة الجيش الذى كان معه ولم يكن يتجاوز الألف مقاتل[٣] من الانتصار على الوالى الأموى وقتل مايقارب ما بين السبعمائة إلى الألفين[٤] رجل ، وقد ساعدت أبا حمزة عوامل عديدة على انتصاره منها .

---

(١) د . عمر فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ١٧٤ ، ١٨٨ .

(٢) الشماخى ، السير ، ٨٣ ، ٨٤ .

(٣) الدرجينى ، طبقات الأباضية ، ١ / ورقة ١١٣ ب .

(٤) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١١ ب . الطبرى ، الرسل والملوك ، ٣٩٨/٧ .

العامل الأول . كان لتركيب الجيش الذى قاده القرشيون له أبلغ الأثر فى انتصار الأباضية فى قديد ، فلم يكونوا أهل حرب وخبرة[١] عسكرية ، ومن جهة أخرى جمتهم المصالح الاقتصادية وخاصة التجار القرشيين وغيرهم الذين كونوا نسبة كبيرة من هذا الجيش المتفكك الأوصال ، وكان للغرور والغطرسة والترف والشعور بالاستعلاء المتوارث[٢] ، والإحساس بالانتماء إلى طبقة الأشراف القرشية التى استحكمت فى حياة المدينة السياسية فى هذه المدة ، أثراً فى هزيمتهم فى هذه المعركة . فى حين كان أغلب جيش أبى حمزة ممن قد مارس القتال فى معارك اليمن .

وكانت الفرقة والتحاسد بين القرشيين فى هذا الجيش على أشدها وخاصة بين الأمويين وآل الزبير[٣] ، كما كان هناك صراعاً بين اليمانيين والقرشيين[٤] وصراعاً بين الأنصار والقرشيين ، ويتضح من خلال هذا العرض أن جيش المدينة البالغ ثمانية آلاف ، واجه الأباضية بمعدويات ضئيلة ولم تكن هناك رابطة تربط بين هذا الجيش الممزق قلبياً ، وكانت مصالحه متضاربة وليس له هدف واضح يقاتل من أجله ولهذا حلت به الهزيمة ، وعلى النقيض من ذلك كان الجيش الأباضى يقاتل من أجل إمامة إسلامية[٥] ويدعو إلى إمامة طالب الحق فى اليمن[٦] .

---

(١) الطبرى ، ٧/٣٩٣ .

(٢) الأغانى ، ٢٣/ ١٢١ .

(٣) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١١ ب .

(٤) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٧/٣٩٣ . مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ٣ / ١٦٩ .

(٥) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١١ ب .

(٦) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، ١/ ورقة ١١٣ ب .

ومن العوامل التى ساعدت أبا حمزة فى الانتصار على الامويين فى قديد انضمام الدعاة الأباضية فى الحجاز الى قواته التى اشتركت فى معركة قديد فقد انضم من خزاعة وحدها ما يقارب الأربعمائة رجل[١] ؛ كما نصب أبو حمزة مسؤولا على شرطته أحد القرشيين وهو أبو بكر محمد بن عبد الله ابن قرط مع بنى عدى بن كعب[٢] ، ولعل أبا حمزة قد اختاره لهذا المركز لخبرته باعتباره أحد أبناء الحجاز كما يستطيع فهم المشاكل الداخلية للمجتمع الحجازى وليشجع العديد من أهل الحجاز بالانضمام الى الحركة الأباضية .

ومن جهة أخرى كان لظهور أبى حمزة المفاجىء فى موسم الحج عاملا مهما فى استيلائه على الحجاز ، فلاتستطيع السلطة المركزية أن ترسل قواتها إلا بعد مضى مدة طويلة لطول المسافة بين الحجاز والشام .

كان العامل الأساسى فى انتصار الأباضية حبهم الاستشهاد فى سبيل المبادىء التى يعتنقونها وقد امتازوا بصلابتهم وصمودهم فى مسرح القتال ويشير الشماخى أنه لايمكن للأباضى أن يفر من ساحة المعركة إلا أن يكون متحيزا إلى فئة ، لأن الفرار من الزحف كبيرة لا تغتفر لدى الشراة الأباضية[٣] .

ومهما يكن الأمر فقد قرر معركة قديد مصير الحجاز لصالح الحركة

---

(١) الدرجينى ، طبقات الأباضية ، ١/ ورقة ١١٣ب .

(٢) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١١ ب . الطبرى ، الرسل والملوك ، ٣٩٨/٧ . ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ١٥٠/١ .
العيون والحدائق ، ١٢٥/٣ .

(٣) الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ورقة/١٦ ب .

الاباضية وبانهيار الجيش الأموى فى هذه المعركة سيطرت الاباضية على الحجاز سيطرة تامة .

كما أن هذه المعركة طبعت حياة المدينة بطابع الحزن والأسى لكثرة القتلى فيها ، ويصور المؤرخون هذه المأساة وكأنها عمت كل بيت فى المدينة «ماسمع الناس بواكى أوجع للقلوب من بواكى قديد مابقى أهل بيت إلا وفيهم بكى[1]» وقد تركت آثارها واضحة فى شعر المدينة الحزين فقالت نائحة تبكيهم .

ما للزمان وماليه أفنت قديد رجاليه
فلأبكين سريرة ولأبكين علانية[2]

ويجسد هذا الشعر عمق المأساة فى نفوس نساء المدينة الثواكل .

ومما هو جدير بالذكر أن أبا جعفر المنصور قد اتخذ من واقعة قديد ذريعة للانتقام من أهل اليمن فعين معن بن زائدة الشيبانى واليا على اليمن سنة ١٤٢ هـ فقام بارتكاب مجازر وحشية ذهب ضحيتها حوالى خمسة عشر ألف من أهل حضرموت ، وقد بارك أبو جعفر المنصور أعماله[3] «واستصوب فعله، لأنهم بقية الخوارج الذين قتلوا أهل قديد من أهل المدينة[4]» . فانتقم

---

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢ / ٥٩٥ . البلاذرى ، أنساب ، ٨/ ١١ ب .

(٢) البلاذرى ، أنساب . ٨ / ١١ ب . — الطبرى ، الرسل والملوك ، ٣٩٧/٧ .

(٣) اليمانى ، تاج الدين عبد الباقى ، بهجة الزمن فى تاريخ اليمن و ص ٢٠ .

(٤) ابن حماد الموصلى ، محمد بن أبى بكر ، روضة الاعيان فى أخبار مشاهير الزمان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٩٣ تاريخ، ورقة /٢٦٠ أ =

الأباضية من معن بن زائدة فقتلوهم فى إقليم سجستان.

دخول الأباضية إلى المدينة :

بعد انتهاء معركة قديد تحطمت قوات الامويين فى الحجاز فاضطر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك الهروب إلى الشام[١] ، قبل وصول القوات الأباضية إلى المدينة بقيادة بلج بن عقبة الازدى فى الثالث عشر من شهر صفر سنة ١٣٠ ﻫ / ٧٤٧[١] وتبعه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى فبايع أهل المدينة للإمام الأباضى عبد الله بن يحي الكندى وأظهروا الطاعة كرها[٣] ، كما كانوا يصلون خلف أبي حمزة المختار بن عوف ويعيدون بعد ذلك صلاتهم .

= القرشى ، حسين بن أحمد القاضى ، بلوغ المرام فى شرح مسك الختام (القاهرة ، ١٩٣٩) ص ١١ .

(١) اليعقوبى ، التاريخ ، ٣/٨٠ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢/٥٩٢ . الأزدى ، تاريخ الموصل ص ١٠٨ .

(٣) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١١ ب . ويذكر الأصفهانى : « أنه بايعه بالمدينة ناس منهم إنسان هذلى وإنسان مراقى ، وبشكست ، الذى كان معلم النحو » ، وهذا النص يظهر لنا قلة الذين بايعوه بيعة حقيقية الأغانى ، ٢٣/١٣٩ أما بالنسبة لعبد العزيز القارىء الملقب بيشكست فقد كان من علماء النحو كما كان شاعراً أخذ عنه النحو أهل المدينة ، قتل بعد خروج أبو حمزة من المدينة لأنه كان أباضى على ما يظهر . انظر : القفطى ، أبو الحسن على بن يوسف ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، (القاهرة ١٩٥٢) ، ٢/١٨٣ .

وكانت أولى الخطوات التى اتخذها أبو حمزة عندما دخل المدينة ألقى خطابة بين فيها أهداف وطبيعة الحركة الأباضية نقتطف منها الفقرات التى تلقى الضوء على طبيعة وتركيب الجند الاباضى المقاتل ونظرتهم للحياة الإسلامية ابتدأها فقال : « أوصيكم بتقوى الله والعمل بكتابه وسنة نبيه وصلة الرحم .. » ثم أشار إلى الانحرافات التى عليها الخلفاء الأمويون ولهذا طالب بالخروج عليهم جريا على القاعدة الإسلامية التى تقول : « الإطاعة لمخلوق فى معصية الخالق .. » كما أكد لأهل المدينة أن هدف حركتهم تطبيق المساواة فى الجوانب الاقتصادية التى أوصى بها الإسلام والحكم بالعدل بين المسلمين ، ثم بين السبب من وراء هذه الحركة التى لم تكن تستهدف إقامة دولة استبدادية غرضها التسلط على رقاب الناس ، كما أنها ليست بحركة قبلية تستهدف الثأر لدم سابق ولكن الانحراف وتعطيل الاحكام الإسلامية هى الدوافع الحقيقية لتحركهم هذا ، كما أن حركتهم هذه لاتتسم بسمة قبلية معينة « أقبلنا من قبائل شتى قليلون مستضعفين فى الأرض فآوانا الله وأيدنا بنصره ، فاصبحنا بنعمته إخوانا(١) » . ونلاحظ هنا أنه أكد على الأخوة الإسلامية ضارباً عرضا بعنصريات الدم الضيقة التى أكد عليها الامويون فى حكمهم . ثم عنف أهل المدينة لوقوفهم بوجه الأباضية رغم الحجج الدامغة التى عرضها عليهم للوقوف بجانب الحركة الأباضية : (وقلنا لكم تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم ، وجاروا فى الحكم فقلتم : لانقوى على ذلك فوددنا أنا أصبنا من يكفينا ، فقلنا نحن نكفيكم ، ثم الله راع علينا وعليكم ، أنا ظفرنا لنعطى كل ذى حق حقه ، فجئنا فاتقينا الرماح بوجوهنا ، فعرضتم لنا دونهم ،

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٤ / ٢٠٠ . ـ أورد الطبرى مقاطع من الخطبة بصورة متقطعة ، الطبرى ، الرسل والملوك ، ٧/٣٩٥ ، ٣٩٦ .

فقاتلتمونا ، فأبعدكم الله ، فوالله لو قلتم لانعرف الذى تقول ولا نعلمه لكان أعذر مع أنه لاعذر للجاهل ... » . ثم قال : « الناس منا ونحن منهم ، إلا ثلاثة حاكما جاء بغير ماأنزل الله ، أو متبعا له ، أو راضيا بعمله .[١] » .

ويتضح لنا من خلال خطبته هذه الأسلوب العنيف الذى استعمله فى مخاطبة أهل المدينة لتبرير كثرة القتلى الذين خسروهم يوم قديد . إذ كانت سياسة أبى حمزة الإحسان إلى سكان المدن المفتوحة ومحاولة ضمهم إلى الحركة الاباضية بإقناعهم بالبقاء على الحياد على أن لايقفوا إلى جانب السلطة الأموية ، ومحاولة الاحتفاظ بقواه كاملة لمواجهة الجيوش الأموية فى بلاد الشام ، وهذه السياسة عين السياسة التى اتبعها أمامه طالب الحق فى معاملته لأهل صنعاء .

موقف السلطة الأموية ومعركة وادى القرى ١٣٠ هـ/ ٧٤٧م :

حفزت معركة قديد مروان بن محمد على إعداد قوة عسكرية اعتنى فى إعدادها واختيارها ضمت خيرة فرسان الشام وألف من رابطة الجزيرة[٢] وزود هذا الجيش بعدة تلائم المناطق الصحراوية والجبلية فى اليمن ، وأعطى كل واحد منهم مائة دينار وفرساً عربية وبغلا لنقله ، بلغ تعداد هذه الحملة أربعة آلاف فارس ، من القبائل القيسية[٣] ، وأعطى قيادة هذه الحملة العسكرية لعبد الملك بن محمد بن عطية السعدى من القبائل القيسية ، وسارت

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٤/٢٠٠ ، ٢٠١ . الطبرى ، الرسل والملوك ٧/٣٩٥ ، ٣٩٦ . الاغانى . ٢٣/١٣٠ فيما بعد .

(٢) ابن خياط ، تاريخ ، ق ٢/٥٩٥ .

(٣) الطبرى ، ٧/٣٩٩ . الأغانى ، ٢٣/١٣٩ .

هذه الحملة العسكرية باتجاه الحجاز ، وكان أبو حمزة المختار بن عوف قد وجه قائده بلج بن عقبه الأزدى على رأس ستمائة أباضى(١) ، وأمره بالتوجه إلى الشام فالتقى الفريقان فى منطقة وادى القرى فى جمادى الأولى سنة ١٣٠ هـ (٢) ، وكما هى العادة وقبل أن تبدأ المعركة جرت مناقشات بين الأباضية والامويين دعاهم فيها بلج بن عقبة إلى العمل بكتاب الله وسنة الرسول ورد عليهم أهل الشام بالشتائم ، فما كان من القائد الأباضى إلا أن أمر جنوده بالهجوم على جند الشام فهزم الجند الشامى وصمدلهم عبدالملك بن عطية السعدى فآب إليه المنهزمون ، وجرت معركة استمرت حتى المساء طلب الأباضية فيها إيقاف القتال ، فرفض القائد الأموى حتى انتهت المعركة بهزيمة الأباضية وقتل قائدهم بلج بن عقبة الأزدى (٣) ، وفر أبرهة بن عبد الله بن الصباح الحميرى ، واعتصم بجبل من جبال المدينة فى ثلاثمائة أباضى فحاصرهم عبد الملك وقاتلهم ثلاثة أيام متتالية (٤) ، واستغل أبرهة ظلام الليل فعبر هذا الجبل ولحق بأبى حمزة المختار بن عوف الأزدى الذى توجه إلى مكة بعد أن علم بهزيمة بلج بن عقبة الأزدى بوادى القرى ، وقد ارتكب أبو حمزة المختار خطأ كبيراً فترك قسما من قواته بقيادة أحد أعوانه المسمى بالمفضل فى قوة صغيرة وهو يعلم بتوجه عبد الملك بن عطية إلى المدينة (٥) وقد شجع هذا الموقف

---

(١) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١٢ ا . الأغانى ، ٢٣/١٤١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق . مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ٣/١٧٢ . الأغانى ، ٢٣/١٤١ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢/٥٩٥ .

(٥) البلاذرى ، أنساب ٨/ ورقة ١٢ أ . الأغانى ، ٢٣/١٤١ .

أهل المدينة على الانتقام لقتلاهم يوم قديد ، فقاد عمر بن الرحمن بن أسيد بن زيد ابن الخطاب السوقة وللبربر والعبيد مساء يوم الاثنين من شهر جمادى الأولى فقتلوا المفضل ومجموعة من أصحابه وفر الباقون إلى مكة ، وافتخر أهل المدينة بهذا النصر ، فقال شاعرهم مفتخراً :

ليت مروان رآنا يوم الاثنين عشية
إذ غسلنا العار عنا وانتضينا المشرفية (١)

وبقتل المفضل انتهت سيطرة الأباضية على المدينة التى دامت زهاء ثلاثة أشهر تقريباً (٢) ، ويدخلها عبد الملك بن عطية السعدى ، وقد كفاه أهل المدينة مؤونة قتال البقية الباقية من الأباضية فيها فاستراح شهراً كاملا ، ثم أخذ بالاستعداد فى التوجه إلى مكة المكرمة لمحاربة أبى حمزة المختار ابن عوف .

ويظهر أن الإمام الأباضى فى اليمن لما علم بهزيمة وادى القرى قرر التوجه إلى الحجاز وكتب رسالة إلى أبى حمزة المختار بن عوف يأمره فيها بالتوجه إلى مكة - ويظهر أن الرسالة وصلت لأبى حمزة وهو فى المدينة - ليوحدا قواتهما الصغيرة العدد لمواجهة التفوق العددى الذى امتاز به الجيش الأموى (٣) ، بعد أن خسر الأباضية الكثير من رجالهم فى معركتى قديد ووادى القرى التى قتل فيها مايقارب الثلاثمائة أباضى . وبهذا يمكن تعليل انسحاب أبى حمزة المختار بن عوف وتركه المدينة إلى مكة ، ومن ناحية أخرى

---

(١) البلاذرى ، المصدر السابق . — مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ١٧٣/٣ .

(٢) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٣٩٨/٧ .

(٣) الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ١١٢ .

سيمكنه هذا الانسحاب من أن يقاتل فى محيط وبيئة أهل عداءاً من عداء أهل المدينة الذين قتل الكثير من رجالهم فى معركة قديد(١) .

معركة مكة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م

أشرع عبد الملك بن عطية إلى مكة حين علم بتحرك الإمام الأباضى طالب الحق من اليمن إلى الحجاز ليسهل له القضاء على القوات الأباضية الواحدة تلو الأخرى وملاقاتها منفردة .

واستعداداً لهذا اللقاء ، أشار على بن الحصين الذى كان خبيرا بنفسيات أهل مكة وعدائهم للأباضية بالقضاء على قوى المعارضة فيها ، وقال لأبى حمزة : « إنى قد أشرت عليك يوم قديد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلهم ، فلم تفعل ، وعرفتك أنهم سيغدرون ، فلم تقبل ، حتى قتلوا المفضل وأصحابنا المقيمين بالمدينة ، وأنا أشير عليك اليوم أن تضع السيف فى هؤلاء ، فإنهم كفرة فجرة ولو قدم عليك ابن عطية لكانوا أشد عليك منه . . » (٢) .

ولكن أبا حمزة رفض الخوض بدمائهم لمجرد إعطائهم البيعة بألسنتهم وإقرارهم بصحة الحكم الأباضى ، وأوجب لهم حق الحماية (٣) ، وطلب من أهل مكة ألا يقفوا إلى جانب عبد الملك بن عطية قائلا لهم : « هؤلاء الذين سألناكم عنهم فقلتم يجورون ويظلمون فلا تعينوهم علينا» (٤) .

ومن هذا العرض يتضح لنا أن الجبهة الداخلية فى مكة لم تكن لصالح الأباضية فأصبح موقف أبى حمزة فى وضع سيء بعد وصول عبد الملك بن عطية

---

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢/٥٩٥ .

(٢) الأغانى ، ١٤٣/٢٣ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) البلاذرى ، أنساب ، ٨/ ورقة ١٢ أ .

إلى مكة وتأخر وصول الإمام الاباضى عبد الله بن يحيى (طالب الحق) ، أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى .

وفى سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م ، جرت معركة ضارية ظهرت فيها البراعة العسكرية للقائد الأموى عبد الملك بن عطية ، فقد وزع قواته بشكل أربك القوات الأباضية القليلة العدد والتى لا تتجاوز الألف رجل ، على قطاعات ثلاث دخلت إحداها من أسفل مكة ، والأخرى دخلتها من منطقة منى وأتى هو من أعلى الثنية ، وجرت معركة انهزم فى بدايتها أهل الشام حتى انتهوا إلى عقبة منى ، إلا أن أهل الشام رجعوا لهم فقتلوا أبرز قواد أبى حمزة ، أبرهة بن الصباح الحميرى ، وتفرق الأباضية الذين كان يقودهم هذا القائد ، والتقى عبد الملك بن عطية وأبو حمزة فى أسفل مكة[١] ، ويذكر المدائنى أن أبا حمزة طلب مبارزة عبد الملك بن عطية السعدى وكان عليلا وهو يرتجز ويقول :

احمل رأسا قد مللت حمله   وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يطارح على ثقله[٢]

فالتقى أبو حمزة وعبد الملك بن عطية السعدى ، وتفوق فى هذه المعركة السلاح الجديد الذى استخدمه أهل الشام لأول مرة ، فكان عاملا مفاجئا فى هذه الحرب[٣] ، فعند ماضرب أبو حمزة المختار بن عوف عبد الملك بن عطية

---

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٥٩٦/١ . ـ البلاذرى ، ٧ ورقة ١٢ أ .

(٢) الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ٨٠ . ـ مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ٣، ١٧٤/ .

(٣) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٧ / ٣٩٩ تكشف لنا رواية الطبرى التى أخذها عن الواقدى المتوفى ٢٠٧ هـ عاملا من عوامل التفوق فى المعارك إلا وهو ظهور سلاح جديد استعمله أهل الشام لأول مرة « ومنهم من عليه درعان أو درع وسنور ، وتجافيف وعدة لم يرى مثلها فى ذلك الزمان » .

بسيفه لم يعمل السيف فى جسمه و لكن سلاح عبدالملك أودى بحياة أبى حمزة المختار بن عوف[١] ، وشاركت زوجة أبى حمزة زوجها فى هذه المعركة وقتلت بجنبه وكانت ترتجز وتقول :

من سأل عن إسمى فإنى مريم بعت بسوارى بسيف مخذم[٢]

كما قتل الفقيه الأباضى على بن الحصين بعد أن حاصره جنود الشام فى أحد بيوت مكة ، وأضرموا النار فيما حوله فاضطر إلى النزول فقاتلهم فأسر وصلب مع أبى حمزة المختار بن عوف وأبرهة بن الصباح الحميرى على فم شعب الخيف لمدة سنتين كاملتين ولم تنزل بقايا هيا كلهما حتى مجىء الدولة العباسية ، ١٣٢ هـ / ٧٤٩م[٣] وأسر فى هذه المعركة أربعمائة أباضى ، أمر عبد الملك بن عطية بقتلهم جميعاً ، والتحق المنهزمون بالإمام الأباضى عبد الله ابن يحيى الكندى فى اليمن[٤] ، كما التحق البعض الآخر كأباضية الموصل بالبصرة ، واشتهر جابر بن جهلة السليمى الذى اشترك مع أبى حمزة فى معارك قديد ووادى القرى ، وكان من شيوخ القبائل الأزدية اليمانية فى الموصل[٥] ، ويرتبط برابطة العمومة مع أبى حمزة المختار بن عوف بن عبد الله بن مازن السليمى الأزدى[٦] .

---

(١) الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ٨٠ . العيون والحدائق ، ٣/١٧٣ .
(٢) الأغانى ، ٢٣/١٤٤ .
(٣) الأغانى ، ١٢/١٤٤ .
(٤) البلاذرى ، أنساب ٨/ورقة ١٢ أ . العيون والحدائق ، ٣/١٧٣ . الأغانى ، ٢٣/١٤٤ .
(٥) الأزدى ، تاريخ الموصل ، ص ٧٨ .
(٦) ابن دريد ، أبى بكر محمد بن الحسن ، الاشتقاق ، (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ٢/١٩٨ .

ونتيجة لهذه المعركة الحاسمة ، فقد الأباضية الحجاز ، بعد أن سيطروا زهاء السبعة أشهر ابتداءاً من دخولهم فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م . حتى اندحارهم فى معركة مكة التى وقعت فى نهاية جمادى الثانى أو بداية شهر رجب سنة ١٣٠هـ / ٧٤٧م .

٣ - انتكاس الحركة الأباضية :

أصيبت الحركة الأباضية بضعف شديد بعد فشلها فى الحجاز فى سلسلة الهزائم المتلاحقة التى ابتدأت بمعركة وادى القرى ثم معركة مكة التى انتهت بمقتل أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى إذ فقدت الكثير من رجالها .

القضاء على الإمام الإباضى (طالب الحق) :

وقد مهد اندحار الأباضية فى الحجاز لعبد الملك بن عطية القضاء على عبد الله بن يحيى الكندى ، بعد أن أمره مروان بن محمد بالتوجه إلى اليمن للقضاء على الأباضية فيها (١) .

وفى الوقت نفسه الذى توجه به عبد الملك إلى صنعاء ، كان الإمام الأباضى عبد الله بن يحيى الكندى قد قرر المسير إلى الحجاز لقتال عبد الملك ابن عطية ، فالتقى الطرفان إلى الشمال من صنعاء فى منطقة صعدة (٢) ، التى تبعد حوالى ستين فرسخاً عنها (٣) ،فعسكر عبد الله بن يحيى الكندى فى منطقة

---

(١) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٣٩٦/٧ . الأغانى ، ١٥٥/٢٣ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٥٩٦/٢ .

(٣) الحموى ، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، (القاهرة ، لات) ٢٨٩/٣ .

صعدة ، ونزل القائد الأموى عبد الله بن عطية فى منطقة قباله (٣) ، وجرت معركة بين الطرفين انسحب على أثرها عبد الله بن يحيى الكندى إلى منطقة جرش (٢) ، وجرت بعد ذلك معركة استمرت منذ الصباح حتى المساء لم تلته بنتيجة لكلا الطرفين ، فعاودوا القتال فى صباح اليوم التالى ، وترجل طالب الحق فى ألف رجل من الشراة الاباضية ، ودرت معركة عنيفة استطاعت القوات الأموية فيها من قتل الإمام الاباضى (طالب الحق) ، وقتل الكثير من أتباعه وانسحب المنهزمون إلى صنعاء حيث لازال الاباضية يسيطرون عليها (٣) ، وبعث عبد الملك بن عطية برأس عبد الله بن يحيى الكندى مع ابنه يزيد ابن عبد الملك ، ليزف البشرى إلى مروان بسقوط إمامة الظهور الاباضية (٤)، التى دامت مايقارب الستة عشراً شهر (٥).

وبمقتل طالب الحق دخلت الحركة الاباضية مرحلة جديدة انحسرت فيها إلى جنوب الجزيرة العربية ، واتسمت بالدفاع عن مراكز وجودها فى اليمن .

الحركة الاباضية بعد مقتل طالب الحق :

لم تلته الحركة الاباضية التى قادها طالب الحق بعد مقتله فى معركة صعدة ،

(١) جرش : وهى إحدى مدن اليمن ، وصفها أبو الفدا بكثرة نخيلها ـ تبعد عن مدينة نجران نحو ستة مراحل . أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر تقويم البلدان . (باريس ، ١٨٤٠) ، ص ٩٥ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ ، ق ٢/٥٩٦ . الأزدى ، تاريخ الموصل ص ١١٣

(٣) البلاذرى ، أنساب ٨/ ورقة ١٢ ب .

(٤) الأغانى ، ٢٣/١٤٧ .

(٥) ابن الحسين ، يحيى ، غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، ق ١/١٢٤ .

فقد كتب لها الاستمرار على يد ولاته الذين خلفهم فى صنعاء وحضرموت إذ قاموا بمهمة الدفاع عن مراكز وجودهم ، والاستمرار بالثورة أملا فى قيام إمامة الظهور والحفاظ عليها ، لاسيما أن الخلافة الأموية تعيش الاحتضار الأخير ، بعد اشتداد الثورة العباسية فى خراسان ، وسيطرتها التى بدأت ترسخ فيها ، واتخذت هذه الحركات من حضرموت وجنوب اليمن الغربى مسرحاً لنشاطها العسكرى والسياسى ، ويعود ذلك لرسوخ الدعوة فى هاتين المنطقتين ، لهذا أصبح ولاءها الأباضية ولاءاً عقائدياً (١) فى حين كانت صنعاء على النقيض تماماً مذبذبة الولاء لا اتجاه سياسى لها تؤيد الغالب على المغلوب ، لأن الدعوة الأباضية لم تكن راسخة الجذور فيها ولأنها خضعت ردحاً طويلا من الزمن لولاة بنى أمية الثقفيين من أقرباء الحجاج ابن يوسف الثقفى (٢) . لهذا شارك أهل صنعاء فى قتال خليفة طالب الحق فى صنعاء بقيادة جمهور بن شهاب الخولانى ، وانتزعوا منه أثقالا وحملين من المال كان يروم الخروج بها إلى حضرموت ، وقد سلموها إلى عبد الملك ابن عطية السعدى بعد دخوله صنعاء دليل ولائهم للوالى الأموى الجديد(٣) وبعد دخول عبد الملك صنعاء أقام مجزرة ذهب ضحيتها ثلاثمائة أباضى (٤) . وقد كان لانتمائه لقبيلة قيس (٥) عاملا محفزاً فى قسوته على أباضية اليمن الذين ينتمون لقبائل اليمن الجنوبية ، ونتيجة لهذه السياسة القاسية شهدت

---

(١) الدرجينى ، طبقات الأباضية ، ١ / ورقة١٠٨أ

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ٢/٣٧٣ .

(٣) البلاذرى ، أنساب ، / ٨ ورقة ١٢ ب .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الطبرى ، الرسل والملوك ٧/ ٣٩٩ .

صنعاء وما حولها من الاستقرار الذى لم يدم طويلا ، إذ أن الأباضية بدأت تتجمع لمقاومة عبد الملك بن عطية فى عدة حركات أهمها :

حركة يحيى بن عبدالله الحميرى ١٣٠هـ / ٧٤٧م:

يظهر من رواية خليفة بن خياط أن حركة يحيى بن عبد الله بن عمر بن السباق الحميرى وقعت خارج صنعاء إذ بعث عبد الملك بن عطية من صنعاء جيشاً بقيادة ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية ، الذى استطاع أن يهزم يحيى بن عبد الله بن عمر بن سباق الحيرى واضطره إلى الانسحاب بعد أن قتل عدداً من أصحابه إلى منطقة (عدن أبين) [١] . وفى هذه المنطقة تجمع حوالى ألفا أباضى إلى يحيى بن عبد الله الحميرى لمواصلة الثورة ومقاومة عبد الملك بن عطية استفحال الحركة وانضمام هذا العدد الكبير من الأباضية ؛ سار إليه بنفسه وواقعه فى إحدى أودية عدن فى معركة قتل فيها يحيى بن عبد الله بن السباق الحميرى وعدد كبير من أصحابه . وتفرق الباقون[٢] فى انتظار من يقودهم فى ثورة جديدة .

حركة يحيى بن حرب الحميرى ١٣٠هـ / ٧٤٧م :

إن الفشل المتكرر لحركات الأباضية فى عام ١٣٠هـ / ٧٤٧م ابتداء من معركة وادى القرى ومقتل أبى حمزة فى معارك مكة ومقتل طالب الحق

---

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢ / ٥٩٦ . يذكر أبو الفدا أن مدينة عدن هى نفسها عدن ابين « وهى على ساحل البحر ، وهى بلدة حط وإقلاع لمراكب الهند » ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٩٣ .

(٢) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١٢ ب . مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ٣/١٧٦ .

والاستيلاء على صنعاء ومقتل يحيى بن عبد الله بن عمر الحميرى ، رغم هذه النكسات لم يتطرق اليأس والملل ليفت فى عضد الحركة الأباضية وبقعدها عن مقاومة الدولة الأموية ويظهر من سير المعارك الماضية أن الأباضية ما أن ينهزموا فى واقعة حتى يلتحقوا بالمناطق التى لازالت تحت سيطرتهم ، فعندما فشلت حركة يحيى بن عبد الله بن عمر السباق الحميرى فى منطقة عدن التحقت البقية المنهزمة على مايظهر بحركة يحيى بن حرب فى أقصى الجنوب على ساحل البحر[1] ، وكان يحيى بن حرب أحد الشخصيات المعروفة لدى الأباضية ، فقد كان على ميمنة الجيش الذى استولى على صنعاء بقيادة الإمام الأباضى عبد الله بن يحيى (طالب الحق)[2] . وقد وجه إليه عبدالملك بن عطية كتيبة عسكرية تسمى بالوضاحية بقيادة أبى أمية الكندى فالتقوا فى معركة على ساحل البحر ، اختلف المؤرخون فى نتائجها فقد أشار خليفة إلى مقتل يحيى بن حرب الحميرى من قبل أبى أمية الكندى[3] ، ولكن البلاذرى يرى أن يحيى بن حرب التحق بحضرموت بعد معركة دامت حتى المساء قتل فيها العديد من الأباضية[4] ، وذكر الأصفهانى فى رواية عن المدائنى أن عدد القتلى من

---

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق/٥٩٧ . البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١٢ ب . الأغانى ، ١٥٥/٢٣ . العيون والحدائق ٣ /١٧٧ .

(٢) الشماخى ، السير ، ص ٩٩ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٥٩٨/٢ .

(٤) البلاذرى ، الأنساب ، ٨ / ورقة ١٢ ب . مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ١٧٧/٣ . ورد فى رواية البلاذرى أعلاه اسم قائد الحركة يحيى بن كرب ، وأخذها عنه مؤلف كتاب العيون والحدائق . والصحيح ماورد فى رواية خليفة أعلاه يحيى بن حرب ، وكذلك ورد فى كتاب الشماخى ، السير بهذا الاسم ، السير ، ص ٧٧ .

الأباضية مائة رجل[١] ، ونتيجة لهذه الهزيمة التحق الأباضية بحضرموت القاعدة التى انطلقت منها الثورة فى البداية ليوحدوا جهودهم العسكرية لمواجهة عبد الملك بن عطية بعد فشل جميع حركاتهم التى اتسمت بطابع الدفاع وبطء الحركة والمناورة ، ورجع أبو أمية الكندى إلى صنعاء بعد انتصاره على يحيى ابن حرب الحميرى الذى اضطر إلى الانسحاب إلى الشرق باتجاه حضرموت .

وهكذا فشلت هذه الحركة كما فشلت الحركة التى سبقتها ، نتيجة لسوء التخطيط وانعدام التعاون بين هذه الحركات وتوحيد الجهد البشرى ، لمواجهة التفوق العددى الذى كان عليه جيش عبد الملك بن عطية ، وكان من النتائج الإيجابية لهزيمة يحيى بن حرب أنها وحدت جهود الأباضية فى حضرموت واليمن لمواجهة عبد الملك بن عطية فى آخر حركاتهم فى العصر الأموى .

نهاية الحركة الأباضية فى اليمن وحضرموت :

المعروف أن حضرموت ضحت آخر معاقل الأباضية والمركز العقائدى الذى انطلقت منه الدعوة الأباضية فى حضرموت واليمن ثم الحجاز ، وقد غدت الآن القاعدة التى لجأ إليها المنهزمون بعد فشل حركاتهم[٢] ، وقد بويع عبد الله بن سعيد الحضرمى الوالى الذى نصبه طالب الحق عند خروجه إلى صنعاء إماما للدفاع[٣] ، ولمواجهة الظروف الصعبة التى مرت بها الحركة الأباضية بعد مقتل طالب الحق ، وكان لايزال يسيطر على حضرموت

---

(١) الأغانى ، ٢٣/١٥٥ .

(٢) البلاذرى ، أنساب ، ٧ / ورقة ١٢ ب .

(٣) الشماخى ، السير ، ص ٩٩ .

وما حولها لذلك التأمت إليه جموع الأباضية للقتال تحت رايته ، فبعد اندحار يحيى بن حرب ومن معه من الأباضية ، التحق بحضرموت فغدا اليمن باستثناء حضرموت تقريبا خاضعا للأمويين ، وكان لابد له تصفية آخر معاقل الحركة الأباضية بالقضاء على عبد الله بن سعيد الحضرمي بعد أن أصبح « فى جيش كثير ، واستفحل أمره[1] » ، فقرر عبدالملك بن عطية أن يسير بنفسه لقتاله وترك صنعاء تحت أمرة ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد ، وكان لمسير عبدالملك على رأس هذه الحملة آثارها المعنوية الحسنة ، فقد عود جنوده على الانتصار فى كل معاركه التى خاضها لاسيما وأنه قد أظهر مهارة عسكرية بارعة فى معارك الحجاز وصعدة التى قتل فيها أبو حمزة وطالب الحق ، ومن بعدهم يحيى عبد الله بن عمر بن السباق الحميرى كل هذه الانتصارات تركت أثراً إيجابياً وثقة بالانتصار لدى عبد الملك وجنوده ، ولكن الاباضية بعد أن تجمع لهم هذا العدد الكبير من الجيش قرروا مواجهة الزحف الأموى[2] ، وزحف عبد الملك بن عطية إلى حضرموت للقضاء على عبد الله بن سعيد الحضروى الذى أمر بأن يجمع الطعام وما يحتاجون إليه من مؤونة وسلاح لمقاومة حصار محتمل ، وبعد أن جمعوا عدتهم فى مدينة شبام[3] حصن حضرموت

---

(١) الأغانى ، ٢٣/١٥٥

(٢) البلاذرى ، أنساب ٨/ ورقة ١٢ ب . - العيون والحدائق ٣/ ٧٧ .

(٣) شبام حصن حضرموت وأبرز مدينة فيها مع مدينة تريم ، وسميت هذه المدينة بشبام نسبة إلى قبيلة شبام التى تنتمى إلى قبيله همدان . تقع بقرب البحر إلى الشرق من عدن . الحموى ، المشترك وصفا والمفترق صقعا ، الناشر مكتبة المثنى (بغداد ، لات) ، ص ٢٦٧ . - القزوينى ذكريا بن محمد بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت ، ١٩٦٠) . ص ٨٢ .

وعاصمتها الإدارية ، وغيروا أخيراً رأيهم وقرروا أن يلقوا عبد الملك في فلاة من الأرض تمكنهم من الكر والفر والانسحاب عند الاضطرار باتجاه الشرق إلى إقليم ظفار المحاذي لحضرموت[١] وقد أدركوا خطورة البقاء وراء حصون شبام إذ يتمكن عبد الملك بن عطية من ضرب الحصار على المقاتلة وأهالي المدينة ، ويقطع المؤونة عنهم ، مما يضطرهم إلى الاستسلام طائعين وعندها سيعمل السيف في رقابهم بدون رحمة ، كما عمل في أربعمائة أسير في معارك مكة من قبل .

وقد اختار عبد الله بن سعيد أرض المعركة فخرجوا إلى الغرب من حصن حضرموت على بعد أربعة راحل وتركوا مدينتهم خلف ظهورهم في منطقة يظهر أنها كثيرة الأودية ، وجرت معركة بين الطرفين استغرقت نهاراً كاملا لم تلته نهاية حاسمة ، وفي مساء اليوم الأول للمعركة بلغت عبد الملك الأخبار التي تتعلق بالمؤونة التي جمعها الأباضية في حصن شبام ، فعمد إلى مكيدة عسكرية استهدفت الاستيلاء على الحصن وما فيه ، فحدر مجموعة من جيشه في بطن إحدى الأودية التي تؤدي إلى شبام مستغلا ظلام الليل وبقي هو في مجموعة كبيرة من جيشه ليشاغل عبد الله إبن سعيد ومن معه من الأباضية ريثما تصل فرقته إلى شبام ، ولم يدرك الأباضية هذه المكيدة[٢] ، وكما أراد عبد الملك جرت معركة ابتدأت منذ الصباح حتى منتصف النهار ، إذ تحاجز الفريقان ، ومن المحتمل أن عبد الملك بن عطية طلب المهادنة ليستريح من عناء المعركة التي دخلت يومها الثاني ، ويأخذ باللحاق بجيشه الذي توجه إلى حصن شبام في مساء اليوم الأول للمعركة ، وعند حلول ظلام مساء اليوم

---

(١) البلاذري ، انساب ، ٨ / ورقة ١٢ ب . ـ الأغاني ، ٢٣ / ١٥٦ .

(٢) البلاذري ، انساب ، ٨ / ورقة ١٢ ب . ـ الأغاني ، ٢٣ / ١٥٦ . العيون والحدائق ، ٣ / ١٧٧ .

الثانى شرع عبد الملك بالزحف تحت جنح الظلام ليدعم قواته التى وصلت قبله إلى شبام ، ونتيجة لهذه المكيدة العسكرية البارعة سقطت شبام بدون مقاومة تذكر ، وبسقوطها فقد الاباضية مركزاً عسكرياً حصينا وإدارياً مهماً من مراكزهم التموينية[١] .

ولم يدركوا الاباضية سقوط مدينتهم إلا بعد أن فتحوا عيونهم صباح اليوم الثالث على ميدان المعركة وهو خال من المقاتلة الشاميين ، فتبشرهم فى الأثر ولكن بعد فوات الأوان[٢] .

وبعد أن سيطر عبد الملك على مدينة شبام مارس عمليات السلب والنهب والسبى وقطع المياه والمؤونة ، ووضع الحراسات على الطرق ليمنع الجيش الاباضى من التزود بالمؤونة بعد أن سيطر على أهم مراكزهم المهمة[٣] .

ولكن استيلاء عبد الملك على شبام لم يمنع الاباضية من محاصرة عبد الملك بن عطية والضغط على قواته ، ولم يستطع عبد الملك من القضاء على عبد الله بن سعيد الحضرمى وأباضية حضرموت ، كما تعود أن يكسب المعارك السابقة بصورة سريعة . بل استطاع عبد الله بن سعيد ومن معه من الاباضية ، أن يحاصروا عبد الملك بن عطية لمدة أربعة وعشرين يوماً فى إحدى القرى الحصينة فى حضرموت[٤] ، فطلب الصلح من الاباضية فصالحوه[٥] ، على أن يرد الأموال التى نهبها من أهل حضرموت ، وتشير

---

(١) المصدر السابق .

(٢) البلاذرى ، انساب ، ٨ / ورقة ١٢ ب . الأغانى ، ٢٣ / ١٥٦ . — العيون والحدائق ، ٣ / ١٧٧ .

(٣) الشماخى ، السير ، ص ١٠٥ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢ / ٥٩٧ .

(٥) البلاذرى ، انساب ، ٨ / ورقة ١٢ ب .

رواية البلاذرى أن عبد الملك بن عطية عقد الصلح مع الأباضية على أن يعين والياً من أهل حضرموت تابعاً له من الناحية الإدارية[١] ، يختاره أهل حضرموت ....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

(١) الأغانى ، ٢٢ / ١٥٦ .

جمانة من بنى مراد وهى بطن من بطون قبيلة همدان إحدى قبائل اليمن الكبرى آنذاك ، وتتفق رواية أبى أيوب وائل بن أيوب الحضرمى الذى عاصر الحركة الأباضية فى حضرموت مع رواية الطبرى بأن ابنى جمانة الأباضيين قتلاه اعتقادا منهم بفراره وهزيمته من أباضية حضرموت[١] . أى أنهم لم يعلموا بالصلح الذى بينه وبين أباضية حضرموت .

أما المدائنى فيشير أن جمانة وسيد أبناء الأخنس من قبيلة كندة قتلا عبد الملك بن عطية مع جماعة من قبيلة مراد وصور لنا السبب الذى قتل فيه سعيد وأخوه عبد الملك بن عطية فعندما قعد سعيد على صدر عبد الملك ابن عطية ، طلب ابن عطية منه العفو ، وقال له « هل لك ياسعيد فى أن تكون أكرم العرب أسيرا » ، فرد عليه سعيد مستخفا : « ياعدو الله ، أترى الله كان يمهلك ؟ أو تطمع فى الحياة ، وقد قتلت طالب الحق ، وأبا حمزة وبلجا وأبرهة ؟ » ، فقتله سعيد وأصحابه وبعثوا برأسه إلى حضرموت[٢] .

ويظهر من هذه الروايات مجتمعة ، أن الأباضية قتلته انتقاماً لقضائه على الحركة وقادتها ولما أبداه من سوء معاملة لأسراهم الذين كان مصيرهم القتل على الدوام[٣] .

أن قتل عبد الملك بن عطية وبعث رأسه إلى حضرموت تركت آثاراً سلبية على الحركة الأباضية فى حضرموت خاصة اليمن بصورة عامة عجلت بسقوط الكيان السياسى للحركة فى حضرموت ، فقد حمل الوليد بن عروة

---

(١) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٧ / ٤٠ . — الشماخى ، السير ، ص ١٠٥ .
(٢) الأغانى ، ٢٣ / ١٥٧ .
(٣) البلاذرى ، أنساب ، ٨ / ورقة ١٢ أ .

ابن عطية سعيد بن عبد الله ويحيى بن حرب قائدى الحركة فى حضرموت مسئولية قتل عبد الملك بن عطية ، فقام الوليد بحرب مروعة انتقاما لمقتل عمه بعد أن ولاه مروان بن محمد ولاية اليمن ، قتل فيها الابرىء والنطف ، وقتل فيها يحيى بن حرب وعبد الله بن سعيد الحضرمى ، وبهذا قضى على آخر كيان سياسى للحركة الأباضية فى اليمن وحضرموت[1].

ويرجح أن القضاء على آخر كيان سياسى الحركة الاباضية فى حضرموت تم فى مطلع عام ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م فى محرم أو صفر من هذا العام ذلك لأن يوسف بن عروة والى الحجاز من قبل مروان بن محمد قام بالإشراف على موسم الحج فى عام ١٣١ هـ / ٧٤٨ م[2] ثم أوسل بعدها أخاه الوليد بن عروة لليمن . ثم أن الكتاب الذى كتبه مروان بن محمد لعبد الملك بن عطية وهو يحاصر حضرموت كتب فى شوال ١٣١ هـ / ٨٤٧[3] . أى فى نهاية هذا العام تقريبا . ومن المحتمل أن الكتاب وصله فى بداية ذى الحجة . ولذلك خرج مخفا مسرعا فى حفنة من جيشه ولقى حتفه فى طريق الحج فى شهر ذى الحجة من نفس العام .

ولعل من الأسباب الرئيسية التى أدت إلى انحسار الأباضية ثم فشلها ، لابد من الإشارة إلى الأسباب التى أدت إلى فشلها : ـ

كانت أهم العوامل التى عجلت بسقوط الدولة الأباضية القصيرة العمر

---

(١) البلاذرى ، ٨ / ورقة ١٢ أ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ق ٢ / ٦١٨ .

(٣) البلاذرى ، الساب ، ٨ / ورقة ١٢ ب . ـ مجهول العيون والحدائق ، ٣ / ١٧٨ .

ضعف الطاقات البشرية والاقتصادية ، فلم تكن جيوشهم التي أرسلوها للحجاز تتجاوز الألفين ج أباضيا[١] ، كما أن الإمكانيات الاقتصادية كانت بسيطة جداً انعكس أثرها في العدة العسكرية بجيش أبي حمزة الذي استولى على الحجاز عبر عنها أبو حمزة بقوله : « أقبلنا من قبائل شتى ، النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم ..[٢] » .

في حين تفوقت القوة الأموية في العدة والعدد فقد أشار الطبري إشارة مهمة إلى عدد الجيش الأموي البالغ عدده حوالي أربعة آلاف وعدته المتفوقة والتي كانت عاملا حاسما في تفوق الأمويين واكتساح الحركة الأباضية ، فيقول : « إن عبد الله بن محمد بن عطية قدم المدينة في أربعة آلاف فارس عربي ، مع كل واحد منهم بغل ، ومنهم من عليه درعان ودرع وتنسور وتجافيف وعدة لم ير مثلها في ذلك الزمان ..[٣] » .

ثم إن الحركة الأباضية أقامت كيانها السياسي في بيئة ومحيط معادي من ناحية سياسية وخاصة أهل الحجاز الذين كانوا يسخرون من جيش أبي حمزة ويصفونهم بالأعراب الجفاة[٤] ، بسبب التناقض الواسع بين الأباضية ،

---

(١) البلاذري ، الأنساب ، ٨ / ورقة ١١ ب

(٢) الطبري ، الرسل والملوك ، ٧ / ٣٩٧ .

(٣) المصدر السابق ، ٧ / ٣٩٩

(٤) قال أبو حمزة المختار بن عوف (يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي قلتم : هم شباب أحداث ، وأعراق جفاة ، ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابا أحداثا ، شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم قد باعوا أنفسا يموت غدا غدا بأنفس لا تموت أبدا ..) الاغاني ٢٣/١٣٢

ومجتمع الحجاز اللاهى آنذاك ، ومن الصعوبة التوفيق بين التزام الأباضية الشديد بالتعاليم الإسلامية ، ووهن نظر غالبية الفئة المتنفذة المترفة من الناحية السياسية والاجتماعية والتى يتألف أغلبها من التجار القرشيين وغيرهم المنغمسين فى الملذات والترف الدنيوى كطبيعة أو مجتمع تجارى .

ومن ناحية أخرى لم تلق الحركة الأباضية تأييداً كاملا من أهل اليمن بسبب اتجاهها المذهبى باستثناء حضرموت[1] القلعة الحصينة للمذهب الأباضى التى قاومت مايقارب السنتين بعد مقتل الإمام الأباضى عبد الله بن يحى الكندى . ولذا من الصعوبة بمكان اعتبار هذه الحركة ممثلة لوجهة نظر أهل اليمن فى الدولة الأموية .

وبهذه الأسباب مجتمعة فشلت أول تجربة سياسية للحركة الأباضية فى اليمن وحضرموت والحجاز .

الفصل الرابع

بداية الدعوة الأباضية بعمان وقيام الإمامة الأباضية الأولى فيها

(١٣٢ - ١٣٤ هـ / ٧٤٧ - ٧٥١ م)

بدايات الحركة الخارجية فى عمان

لم يكن للخوارج أثر سياسى ملحوظ فى عمان ، فى الوقت الذى قامت فيه حركة للخوارج النجدات فى البحرين واليمامة ، بل أن عمان قاومت محاولات النجدات ورفضت الخضوع لسلطتهم ، فعندما أرسل نجدة بن عامر الحنفى (٦٦ هـ - ٧٢ هـ[1]) حملة بقيادة عطية بن الأسود الحنفى للإستيلاء على عمان تصدى العمانيون لطردهم بقيادة عباد بن عبد الله بن الجلندى وابنيه سعيد وسليمان - وكانوا يحكمون عمان ويجبون البلاد ويأخذون العشر من السفن - فالتقوا فى معركة قتل فيها عباد بن عبد الله وهرب أبناء سعيد وسليمان[2] ، إلى داخل عمان للتحصن بجبالها المنيعة ، واستطاع عطية

---

(١) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، مخطوطة مصورة فى مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب تحت رقم ١٦٣٩ ج ٦ ورقة ١٥ ب - ١٦ ب .

(٢) المصدر السابق ، ٦ / ورقة ١٦ أ . - ابن الأثير الكامل ، ٣ / ٣٥٢ . ابن خلدون ، العبر ٣ / ٣١٤ . ومهماهو جدير بالذكر أن سعيدوسليمان ابنى عباد ابن الجلندى استطاعا بعد ذلك مقاومة الحجاج بن يوسف الثقفى ألا أنه استطاع أن يتغلب عليهما ويطردهما إلى الجبل الأخضر بواسطة عمان دفاعا عن ملكهما . الأزكوى ، كشف الغمة ورقة ٣٢٦ ب ، ٣٢٧ أ .

وقد ذهب الدكتور جمال قاسم زكريا إلى القول بأنهما قد انهزما من الحجاج إلى شرق أفريقيا إلى بلاد الزنج . وكان لذلك أثر فى انتقال المذهب الاباضى إلى شرق أفريقيا ، ، قاسم ، جمال زكريا ، دولة بور سعيد فى عمان وشرق أفريقيا ، القاهرة ، ١٩٦٧) ، ص ٩ . غير أن المصادر الاباضية وغيرهما من المصادر الأخرى =

السيطرة على عمان إلا أن سيطرته كما يبدو لم تكن شاملة لكل أجزاء عمان إذ استمرت أشهرا قليلة فما أن خرج منها عطية بن الأسود حتى نهض سعيد وسليمان حاكما عمان الأزديين وقتلا أبا القاسم الوالى الذى نصبه عطية بن الأسود خليفة له على عمان مما يدل على ضعف سيطرة النجدات ورفض العمانيين للسيطرة الخارجية فى هذه الحقبة ، فعندما حاول عطية بن الأسود الحنفى بعد خلافه مع نجدة الاستيلاء على عمان مرة ثانية استطاع العمانيون بقيادة سعيد وسليمان من طرده ولم يسمحا له بالمكوث فى عمان فاضطر ركوب البحر إلى منطقة كرمان[1] المقابلة للساحل العمانى .

ولا تشير المصادر التاريخية « بصورة دقيقة متى أصبحت الأباضية العقيدة الواسعة الانتشار فى عمان ، ويرى الدكتور باثيرست أنه ربما كان هناك أئمة خوارج قبل الأباضية[2] » .

ويبدو أن الدعوة الخارجية فى عمان انتشرت فى نطاق ضيق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ، (٦٥ – ٦٦ هـ / ٦٨٤ – ٧٠٦ م) إذ يذكر العوتبى

= لا تشير إلى اعتناق عباد وسليمان المذهب الاباضى ومن جهة أخرى يشير الازكوى أن سعيد بن عباد قد اعتزل إلى الجبل الأخضر للاحتماء به : — الازكوى ، كشف الغمه ورقة ٣٢٧ أ .

(١) البلاذرى ، أنساب ، ٦ / ورقة ١٦ أ — ابن الأثير الكامل ، ٣ / ٣٥٣ .

(٢) د : عمر فاروق ، ملامح من تاريخ الحركة الخارجية بعمان ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثانى ، (بغداد ، ١٩٧٥) ص ١٧٤ .

أن عمران بن حطان الشاعر الخارجي المشهور — الصفري المذهب (١) — عند فراره من الحجاج بن يوسف الثقفي التجأ إلى عمان في الأزد فوجد قوما منهم ينشدون أشعاره ولا يعلمون أنه عمران فدعاهم إلى رأيه وأقام بين أظهرهم وظهر أمره، ووجد قوما مسارعين له يبكون على مرداس بن أدية، ويذكرون فضله ويظهرون أمره شاهرا حتى بلغ الحجاج أمره فكتب إلى أهل عمان في قتله (٢)، ويتبين لنا من هذا النص أن الحركة الخارجية دخلت إلى عمان بشكلها المعتدل المتمثل بآراء أبي بلال مرداس، الذي يعتبره الأباضية إماما من أئمتهم الأوائل (٣)، وقد مهدت مثل هذه الآراء المعتدلة للدعاة الأباضية بعمان، في الدعوة لمذهبهم الأباضي ونشره بين القبائل الأزدية بصورة خاصة.

تعقيب :

عمران بن الحطان الدوسي كان محدثا وخطيبا مصقعا، وأديبا لبيبا وهو من أئمة الاباضية وعلمائهم وليس صفري المذهب وقد تولى مهمة الدفاع عن الأفكار الأباضية بالحجة بعد وفاة الامام عبد الله بن أباض وقد توفي عمران بن حطان رضي الله عنه سنة ٨٩ هجرية.

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، بيروت، (بيروت، ١٩٧٣)، ص ٧٢.

(٢) العوتبي، أنساب العرب، ١٠١ ب.

(٣) الدرجيني، طبقات الاباضية ١ / ورقة ١٦ ب. — الشماخي، السير ص ٩٠. — شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ أ، ٢٦ أ، — البسيوي الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان، ورقة ١٠.
انظر: الفصل الثاني من الرسالة، أبو مرداس وأثره بالدعوة الاباضية.

ومن الصعوبة بمكان معرفة التاريخ الذى بدأت فيه الدعوة لأباضية فى الانتشار بعمان ، ويشك الاستاد فيليبس فيما إذا كان الإمام الاباضى جابر بن زيد هو الذى أدخل العقيدة الخارجية إلى عمان (١) ، ولكن المصادر الأباضية تؤكد أن الجذور التاريخية الأولى لدخول الدعوة الأباضية إلى عمان يرجع إلى الوقت الذى حكم فيه الحجاج بن يوسف الثقفى العراق (٧٥ هـ — ٩٥ / ٦٩٤ — ٧١٤ م) ، إذ بدأ التنظيم الأباضى السرى يشكل خطرا على سلطة الحجاج التى كانت تشمل عمان ، ومن المحتمل أن الحجاج أدرك أن جابر بن زيد هو المسؤول عن نشاط الأباضية المعادى للخلافة الأموية، ومن أجل شل الدعوة الأباضية فى البصرة والحد من نشاطها عزم الحجاج إلى نفى جابر بن زيد إلى عمان مع أحد الدعاة النشطين المسمى هبيرة(٢) .

وقد خدم الحجاج الدعوة الأباضية بنفيه جابر بن زيد إلى عمان دون أن يعلم ، فقد بذر البذور الأولى للعقيدة الأباضية فى عمان وقد ساعد على إجابة العمانيين للأباضية عوامل ثلاثة : —

العامل الأول : وجود أفكار خارجية معتدلة مهدت لآراء الزعيم الاباضى جابر بن زيد فى نشر أفكاره المعتدلة تمثلت بآراء أبى بلال مرداس(٣) .

العامل الثانى : تعد الرابطة القبلية من العوامل المهمة التى ساعدت جابر بن زيد فى نشر أفكاره الأباضية ، فالغالب على عمان بصورة خاصة

---

(١) Phillips, W : Oman . A History, (London, 1967) P. 20.

(٢) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، ١ / ٩٣ ب . — الشماخى ، السير ، ص ٨٣ .

(٣) العرتبى ، أنساب ، ورقة ١٠١ ب .

القبائل الازدية[١] ولما كان جابر بن زيد يحمدى[٢] من الازد[٣] ، لهذا فإنه لم يكن غريبا عن هذه القبائل .

العامل الثالث ومن العوامل التى يسرت لجابر بن زيد نشر الدعوة الاباضية كونه من أهل عمان[٤] : وكان يسكن قرية فرق[٥] التابعة لنزوى[٦] ، قبل هجرته الى البصرة[٧] وربما كان يتردد إلى عمان بعدهجرته

---

(١) الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٢٢٣ أ .

(٢) ابن خياط ، كتاب الطبقات ، ص ٢١٠ .

(٣) الرازى ، عبد الرحمن بن محمد ، كتاب الجرح والتعديل ، القسم الأول من المجلد الأول ، ص ٤٩٤ — ٤٩٥ .

(٤) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، (بيروت ، ١٩٥٨) ٧ /١٧٩

(٥) الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٢٦٦ أ .

(٦) الرقيش ، مصباح الظلام ، ورقة ٢٠ ب .

(٧) شاركت القبائل الأزدية فى الفتوح الإسلامية بعد اعتناقها الإسلام فانتقلت من عمان ، واستقرت فى كثير من الأمصار الإسلامية وخاصة بمدينة البصرة ، فقد ذكر العوتبى معلومات قيمة تتعلق بدور القبائل الأزدية فى تمصيرها والخطط التى استقرت بها . — العوتبى ، الأنساب ، ورقة ١٣٠ أ فما بعد .

فمن المحتمل جدا أن جابر بن زيد قد جاء إلى البصرة واستقربها حيث تقطن القبائل الأزدية . وفى نص للأزكوى يكشف لنا العلاقات الوثيقة بين ازد البصرة وعمان ، فعندما أراد الحجاج بن يوسف الثقى أن يستعيد عمان إلى حضيرة الخلافة الاموية أدرك أنه لا يستطيع أن ينتصر على سليمان وسعيد بن عباد إلا بالسيطرة على ازد البصرة الذين كانوا سندا لاخوانهم العمانيين وإن بعدت المسافة ، يقول

منها . وعلى هذا فهو يستطيع معرفة المناطق والتجمعات القبلية التى يمكن بذر الدعوة الأباضية فيها ، كما أنه يعرف العادات والتقاليد السائدة فى المنطقة وهذا بلا شك عامل من عوامل نجاحه بين هذه القبائل . وغنى عن القول المستوى الفكرى الذى يتمتع به جابر بن زيد من الناحية العقائدية ، فقد كان من أكبر فقهاء البصرة (١) ومرجعا من مراجع الفتيا المعدودين (٢) . ولا شك أن مثل هذا المركز العلمى المرموق يساعد فى استقطاب المسلمين واستجابتهم لمذهبه الاباضى . ثم أن التحرك فى بيئة عمان أكثر يسراً وسهولة فيما لو قورنت بجو البصرة الفكرى المتلاطم الذى يعكس اتجاهات الشيع المختلفة ، وتركيبها الاجتماعى وانتماءاته القبلية المتعددة ومركزية الإدارة فيها (٣) ، إن هذه العوامل مجتمعة ساعدت الفقيه الاباضى جابر بن زيد فى نشر الدعوة الأباضية بعمان فى هذه الحقبة المتأخرة من القرن الاول الهجرى .

إن التنظيم الأباضى فى البصرة بعد وفاة جابر بن زيد عام ٩٣هـ / ٧١٣م وتولى خلفه أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة زعامة الأباضية ، بدأ يتخذ شكلا

= الازكوى : « وأظهر الحجاج من نفسه غضبا وحشة وأنفه ، وأقعد وجوه الأزد الذين كانوا بالبصرة عن النصرة لسليمان بن عباد » . — الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٣٢٧ أ . وبهذا نستطيع أن نوفق بين سكناه فى البصرة وكونه من أهل عمان سابقا .

(١) البستى ، محمد بن حيان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ٨٩ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، ٧/١٧٩ ، ١٨٠ . — الدرجينى ، طبقات الأباضية ، ١ / ورقة ٩٠ ب .

(٣) أنظر : العلى ، صالح أحمد ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الاول الهجرى ، (بيروت ، ١٩٦٩)

دقيقا من التنظيم المبنى على أسس مدروسة تمثلت بالحملات السليمة المتوجهة من البصرة إلى الامصار الإسلامية المختلفة . وكان تخطيط أبي عبيدة مسلم قائما على أساس اختيار مجموعة من الاباضية من كل مصر انتشرت فيه الدعوة وتدريسهم فى البصرة وتعبئتهم فكريا وسياسيا وتنظيميا وإرسالهم بعد اكتمال إعدادهم إلى الامصار التى قدموا منها ليقوموا بمواصلة نشر الدعوة الاباضية فيها [1]، على أن هذه القاعدة لاتنطبق على كل « حملة العلم » فقد كان بعض هؤلاء الدعاة ينتمون الى غير الامصار التى توجهوا إليها فقد كان فى مجموعة (حملة العلم) التى توجهت الى المغرب أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى اليمانى الموطن[2] غير أن الصفة الغالبة عليهم انتماءاتهم المغربية[3] ، الا أن هذه القاعدة تنطبق تماما بالنسبة لحملة العلم الذين وجههم أبو عبيدة مسلم إلى عمان فهم من حيث الموطن عمانيون ينتمون الى قبائل الأزد اليمانية والمغربية[4] ، وكان لهذا الاختيار الموفق أثر كبير ساعد فى نجاح مساعى الدعاة الاباضية فى عمان .

ولا يستطيع الباحث تحديد تاريخ معين للنجاح الذى اكتسبته الدعوة الاباضية بعمان ، ويرجح ان هذا النجاح لحملة العلم تحقق فى مطلع العقد

---

(١) انظر ، أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة ، ورقة ٢ أ .
الدرجينى ، طبقات الاباضية ، ١ / ورقة ١٠ أ .

(٢) أطفيش ، محمد بن يوسف بن عيسى ، الامكان فيما جاز أن يكون أو كان ، (الجزائر ، ١٣٠٤ هـ) طبعة حجرية بدار الكتب المصرية برقم ح ٩٠٣٢ ، ص ١١٢ .

(٣) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأئمة ، ورقة ٦ أ . ـ الشماخى ، شرح على عقيدة الشيخ تبغورين ، ورقة / ٢١ ب .

(٤) العوتبى : الانساب ، ورقة / ١٠٧ ب .

الأول من القرن الثانى الهجرى ، لأن أبا عبيدة مسلم تزعم قيادة الدعوة الأباضيـة فى نهاية القرن الأول الهجرى بعد وفاة جابر بن زيد عام ٩٣ هـ / ٧١٣م ثم أن هذا المصطلح - حملة العلم[١] - يرد ذكره بصورة خاصة بعد تولى أبى عبيدة مسلم زعامة الأباضية ولا يعرف فى عهد الإمام جابر بن زيد حملة للعلم بهذه الصورة المنظمة ، التى أرسى قواعدها كمدرسة فكرية وسياسية لتخريج الدعاة الأباضية فى مدينة البصرة أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، واستمرت بنشاطها فى عهد خلفه الربيع بن حبيب بن عمر الفرهودى والأزدى[٢] ، تؤدى الدور والغرض الذى انشأت من أجله أبان إمامته للدعوة الأباضية فى البصرة ، إلا أنها بدأت أقل فعالية ونشاطا على ما كانت عليه أيام أبى عبيدة مسلم الذى كان يملك مؤهلات قيادية يفتقر إليها خلفه الربيع بن حبيب .

وقد اختلف المؤرخون الرواد فى عدد حملة العلم الذين دخلوا عمـان فى عهد أبى عبيدة مسلم بن كريمة فى مطلع القرن الثانى حتى منتصفه ، فالعوتبى يشير إلى أسماء أربعة من هؤلاء الدعاة ويرى أن محمد بن المعلا الفشحى هو أول من قام بالدعوة إلى تأسيس الإمامة الأباضية بعمان[٣] ، وقد تبعه بعد ذلك الربيع بن حبيب بن عمر الفرهودى ، المنير بن النير الريامى وبشير بن المنذر النزوانى[٤] ، ومن المحتمل أن هؤلاء الدعاة كانوا الحملة

---

(١) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأئمة ، ورقة ٢ أ - ٥ ب . - الدرجينى طبقات الاباضية ، ١ / ورقة ٩ ب ، أطفيش ، الامكان فيما جاز أن يكون أوكان ص ٩ ، ١١ .

(٢) العوتبى ، الأنساب ، ورقة ١٠ ب .

(٣) العوتبى ، أنساب ، ورقة ٩٣ أ ١

(٤) المصدر نفسه .

الأولى التى بشرت بالمذهب الأباضى فى عمان ، ومن الصعوبة بمكان الفصل بين حملة العلم الذين تلقوا العلم عند أبى عبيدة مسلم وأولئك الذين تلقوا العلم عند الربيع بن حبيب الذى تولى إمامة الاباضية فى البصرة بعد أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، ويشير المجتهد الأباضى أطفيش أن حملة العلم عن أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة إلى عمان هم محبوب بن الرحيل ، وموسى بن أبى جابر الأزكوى ، والمنير بن الدير[1] وهاشم بن فيلان[2] . أن تأثير أبى عبيدة مسلم وإعداده لهؤلاء الدعاة تجلى واضحا فى دورهم السياسى الذى لعبوه فى الحياة العمانية ، فلم يكن حملة العلم مجرد فقهاء وأصحاب فتيا أو مثقفين ثقافة مذهبية تؤهلهم للتبشير بمذهبهم ، فبعد مضى أقل من نصف قرن من إرسالهم إلى عمان أصبحوا سادة الموقف السياسى بعمان فلا يعين إمام إلا باختيارهم[3] ، وربما أصبح بعضهم ولاة لبعض ولايات الإمامة الأباضية كما حدث لمحمد بن المعلا الكندى[4] . وبعبارة موجزة أنهم كانوا رجال فكر ودولة فى آن واحد .

إن نجاح حملة العلم الأباضية فى عمان بتغيير العقلية العمانية واعتناق الكثير من أهلها للمذهب الأباضى كان نتيجة للجهود الكبيرة التى بذلها الدعاة الاباضية (حملة العلم) . ويعزى نجاحهم لانتمائهم لقبائل الأزد العمانية وفروعها المختلفة[5] ، وقد مكنتهم هذه الرابطة القبلية من معرفة عادات وتقاليد

---

(١) أطفيش ، الامكان فيما جاز أن يكون أو كان ، ص ١٠٩

(٢) مصباح الظلام ، ورقة ٣١ ب .

(٣) مصباح الظلام ، ٣١ ب .

(٤) السالمى ، : تحفة الاعيان ، ١ / ١١١ .

(٥) العوتبى ، الانساب ، ورقة ، ١٧٠ ب . ـ أطفيش ، الامكان فيما جاز أن يكون أو كان ، ص ٩ - ١١ .

السكان العمانيين ويسرت لهم النجاح فى نشر أفكارهم، والحصول على حماية قبائلهم ، وكان العامل القبلى أثره فى انتشار الدعوة الأباضية بعمان وتأثيرها الكبير فى سير الأحداث فى هذا العصر الإسلامى وزادها قوة اعتناق آل الجلندى[١] لهذه الدعوة ، فنى مطلع العقد الرابع من القرن الثانى الهجرى أصبحت العقيدة السائدة التى اعتنقها السكان العمانيون ، ومن خلال الصراع بين القبائل التى اعتنقت المذهب الآباضى فى عمان والخلافة العباسية أصبح هذا المذهب العقيدة والهدف الذى يقاتلون فى سبيله من أجل المحافظة على إمامة الظهور الآباضية وإقامتها بين الحين والآخر ، وبهذا يمكن تحليل ظاهرة الانفصال المبكرة فى عمان قبل غيرها من الأقاليم الإسلامية الأخرى، بسبب الوحدة القبلية المتميزة ثم ركزت ذلك وعمقته الوحدة المذهبية لهذا العصر الإسلامى باعتناقة المذهب الأباضى الذى لا يعترف بشرعية الخلافة العباسية .

- إضافة العامل الجغرافى الذى ميز هذا الأقليم وأعطاه خصائص تساعد على الانفصال[٢] فموقع عمان فى جنوب شرقى الجزيرة العربية جعلها تطل على الخليج العربى من جهة الغرب والبحر العربى من جهة الجنوب أعطاها أهمية تجارية وبحرية مهمة وأصبحت فى بعض الاوقات المعبر التجارى

---

(١) الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٣٢٨ ب .

(٢) انظر : عمر فاروق ، ملامح من تاريخ الحركة الخارجية فى عمان ، مجلة المؤرخ العربى ،العدد الثانى ، ص ١٧٥ . ـ عمان تاريخ يتكلم ص ٢٣ الدباغ ، مصطفى مراد ، جزيرة العرب ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

قاسم ، جمال زكريا ، دولة بور سعيد فى عمان وشرق أفريقيا ، ١٧٤ — ١٨٦١ (القاهرة ، ١٩٦٧) ص ٦ .

الذى يربط بين جنوب وشرق آسيا وبلاد الخلافة العباسية ومركزها فى العراق وهذا يعزز الاقتصاد العمانى ويعطيه القابلية على الاعتماد على نفسه بالإضافة إلى التنوع فى التضاريس ، فمن الشريط الساحلى المطل على الخليج العربى فى الغرب إلى الجبال المتوغلة فى وسط عمان والتى تمتاز بخصوبتها [٢] وارتفاعها الشاهق ، إلى الصحراء الرملية المجدبة التى تحيط بعمان كقوس يمتد من الشمال ثم ينحنى فى الغرب باتجاه الجنوب حيث الصخور والجبال الحجرية الشديدة الوعورة . أن هذه التضاريس واختلافها المتباين يسرت للحركات الأباضية الحرية فى الحركة والاحتماء بها وخاصة وإن السلطة المعنية العلاقة بعمان كالخلافة الأموية والسياسية تركز فى الاستحواذ على المنطقة الساحلية (الباطنة) لأهميتها التجارية والعسكرية ، فيلتجأ العاديون على العموم إلى الداخل للاحتماء بالجبال والصحراء فى أوقات الازمات ثم يدفعون إلى الساحل متى ما أحسوا بضعف الوالى ممثل السلطة المركزية أو بقوة أنفسهم .

---

(١) زلوم ، عبد القادر ، عمان والامارات السبع ، دراسة جغرافية انسانية (بيروت ، ١٣٨٣) ، ص ٣٤ - ١٣٩ .

الإمامة الأباضية الأولى بعمان

١٣٢هـ / ٧٤٨م

نتيجة للجهود التى بذلها الأباضية فى عمان والتى أدت إلى اعتناق قسم كبير لا يستهان به من أهلها للدعوة الأباضية ، توفرت الشروط اللازمة والظروف المناسبة فى عام ١٣٢هـ / ٧٤٨م لإقامة إمامة أباضية حاكمة[١] ، تسمى بإمامة الظهور فى اصطلاح العلماء الأباضية[٢] ، وتعتبر هذه الحركة المحاولة الثانية للدعوة الأباضية فى المشرق العربى ، بعد فشل محاولتهم الأولى

---

(١) الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٣٢٨ ب ، ٣٢٩ أ ، ان من أحسن من الإمامة الأباضية فى عمان بحث L. V. vaglieri المرسوم I imakato ibadita de el Oman على أنه بحث عام ويقتصر على الخطوط الرئيسية دون تفصيل :

(٢) الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ، ورقة ٢٦ أ . اضطرب المؤرخون المحدثون فى تاريخ هذه الإمامة فقد ذهب مؤلفا كتاب عمان تاريخ يتكلم ، إلى القول بنشوء الإمامة فى عمان عام ١٢٩ هـ ، أو قبيل سقوط الدولة الأموية بقليل عندما انتخب الاباضيون أول إمام لهم فى عمان .. . السالمى ، محمد بن عبد الله وناجى عساف ، عمان تاريخ يتكلم ، (دمشق ، ١٣٨٣هـ) ، ص ١٣١ . ولا يوجد فى المصادر التى أطلعنا عليها أى ذكر لامامه أباضية بعمان عام ١٢٩ هـ / ٧٤٦م وقد أوضحنا فى الفصل الثالث من الرسالة أن أول حركة للدعوة الاباضية كان فى سنة ١٢٩ هـ فى اليمن وحضرموت ولا علاقة للعمانيين فيها سوى اشتراك بعض العمانيين بقيادتها . وقد وقع فى الخطأ نفسه عبد القادر زلوم فى كتاب عمان والإمارات السبع (بيروت ١٣٧٣هـ) ص ٧٠ وتبعهم ذلك مصطفى مراد الدباغ ، فى كتابه ، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الاسلام ، (بيروت ، ١٩٦٣) ، ٢ / ١٣٤ - ١٣٥ .

=

فى اليمن وحضرموت بإقامة دولة أباضية فيها عام ١٢٩هـ[1] / ٧٤٦م ، انتهت بنهاية الدولة الأموية عام ١٣٢هـ / ٧٤٨م . وكان أباضية عمان قد شاركوا بشكل فعال بقيادة هذه الحركة ، و بعد فشلها يظهر أن الكثير من الأباضية قد التحقو بعمان وتجمعوا فيها ويشير السالمى إلى أن الجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى والذى ينتمى إلى بنى الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد عز بن معولة بن شمس ، ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم ، قد حضر بيعة عبد الله بن يحيى (طالب الحق)[2] ومن المحتمل أنه قد شارك بهذه الحركة وانسحب إلى عمان بعد فشلها .

لقد تهيأت الظروف السياسية فى عمان من الناحيتين الداخلية والخارجية لإقامة الإمامة الأباضية ؛ فقد ولى عمان فى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ، عمر بن عبد الله الانصارى[3] ، وكان موقفة من الدعوة الأباضية موقف المسالم ، ويظهر أنه أدرك أن لا مقاومة له . للقبائل الأزدية

= أما الدكتور فاروق عمر فقد أشار إلى بداية هذه الإمامة بعد مجىء العباسيين حيث انتخب خوارج عمان الجلندى بن مسعود أماماً لهم حوالى سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م أو قبل هذا التاريخ بقليل . د عمر ، فاروق مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثانى ، ١٩٧٥ ، ص ١٧٥ ، وكما سنرى أن هذه الإمامة قضى عليها حوالى ١٣٤ هـ / ٧٥١ م .

(١) انظر الفصل الثالث من الرسالة .

(٢) السالمى ، عبد الله بن حميد السالمى ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، (الكويت ، ١٩٧٤) ١ / ٨٨ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة ، تح د . أكرم ضياء العمرى ، (النجف ، ١٩٦٧) ، ١ / ٣٢٩ . — كشف الغمة ورقة ٣٢٨ أ .

فتنازل بعد وفاة عمر بن عبد العزيز إلى زياد بن المهلب الذى تولى حكم عمان حتى قيام الخلافة العباسية عام ، ١٣٢هـ / ٧٤٨م)، ويظهر أنه لم يتعرض للدعوة الاباضية ، ربما بسبب الرابطة القبلية ، فالدعوة الأباضية احتضنتها القبائل الأزدية بصورة خاصة ، وأصبحت بمرور الزمن حركة واسعة النطاق لها من يؤيدها من وجهاء الأزد فالتعرض لها قد يكلفه فقد ولايته على عمان أولا ويجعله يصطدم بأهله وعشيرته من قبائل اليمن ثانياً ، فلما جاءت الخلافة العباسية اعتزل زياد بن المهلب ولاية عمان ، وعين أبو العباس السفاح جناح بن عبادة بن قيس الهنائى وولاه على عمان « وهو الذى جاهر الأباضية وأعانهم حتى صارت الولاية للأباضية بعمان »[1] ثم عين مكانه ابنه محمد بن جناح الذى كان كأبيه عديم الميل للدولة العباسية ، ثم أن الأباضية أصبحت أقوى حركة سياسية بعمان ، وقد أدرك ذلك محمد بن جناح بن عبادة ، فلم يتخذ أى إجراء ضدهم بل مال إليهم وعبد السبيل لإقامة إمامة أباضية بعمان فى سنة ١٣٢هـ ، ويشير الأزكوى إلى أن المنصور ولى على عمان محمد بن جناح ، فداهن الأباضية حتى صارت ولاية عمان لهم « فعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندا بن مسعود فكان سبباً لقوة المذهب ... »[2] .

ومن خلال هذا العرض الموجز للأوضاع السياسية بعمان يتضح أن الظروف الداخلية ساهمت بدرجة كبيرة فى نمو الدعوة الأباضية فى عمان

---

(١) العوتبى ، أنساب ، ورقة ١٦٨ ب . (أن اختيار المنصور لبنى هناءة لتولى ولاية عمان لانهم كانوا من أشرف الأزد ، ورأس الازد منهم بالبصرة وعمان وخراسان رؤساء عدة » . العوتبى ، ورقة ١٦٨ ب .

(٢) الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٣٢٨ ب . ـ السالمى ، تحفة الاعيان ١ / ٨٨ .

- وانتهت أخيراً بمبايعة الجلندى بن مسعود[1] أول إمام للدعوة الجديدة « وقام الجلندى بن مسعود بعمان وأجمعوا على إمامته وولايته والمجاهدة معه أعداء الإسلام وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأظهروا الحق والدعوة بعمان » ، وبهذا أضاف قوة سياسية جديدة للحركة الاباضية لأنه يمثل واجهة اجتماعية ذات تأثير كبير على قطاع واسع من القبائل الأزدية باعتباره حفيد الملوك السابقين لعمان من بنى الجلندى وهذا بلا شك عامل مهم مساعد فى رواج المذهب الأباضى بعمان والذى أصبح مذهباً رسمياً فى ظروف سيادة الإمامة الاباضية فى فترة « الظهور » .

ب- كما أن الظروف الخارجية المحيطة بعمان المتمثلة بعدم وجود سلطة مركزية نتيجة الصراع بين الدولة الأموية والحركات السياسية المعارضة كحركة المعارضة الخارجية التى أنهكت قوى الدولة الأموية وحركة المعارضة العباسية التى استطاعت أن تقضى على الدولة الأموية وتحل محلها عام ١٣٢هـ / ٧٤٨م[2] جعلت عمان بمنأى عن ميدان الصراع الذى شمل بلاد خراسان والعراق وبلاد الشام خاصة . أن مثل هذه الظروف لا تسمح للسياسيين فى التفكير بالأقاليم البعيدة عن مراكز السلطة ، وكان هدفهم الأول فى مرحلة التأسيس توطيد أركان الدولة . ثم بدأوا بعد الاستقرار السياسى التفكير بعد سلطتهم على أطراف الدولة الإسلامية ، ولما كانت الخلافة العباسية هى الوريث للدولة الأموية فى حكم العالم الإسلامى آنذاك

---

(١) البسيوى ، أبو الحسن على بن محمد ، الحجة على أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان ، ورقة ١١ ضمن كتاب جامع السير فى تراجم العلماء ، مكتبة الإمام غالب بن على بالدمام المملكة العربية السعودية .

(٢) راجع : السالمى وعساف ، عمان تاريخ يتكلم ، ص ١٣١ .
F. Omér The Abbasid Caliphate, 1969, 290.

فإن إقامة إمامة إسلامية فى عمان من قبل الأباضية ومبايعتهم للجلندى بن مسعود يعنى أن الإمامة الأباضية هى الممثلة الشرعية للإمامة الإسلامية فى العالم الإسلامى[١]، ومثل هذه الإمامة تتصادم وطموحات العائلة العباسية الهادفة لحكم العالم الإسلامى، وهذا العامل المهم حفز السلطة العباسية للقضاء على الإمامة الأباضية الأولى عام ١٣٤هـ/ ٧٥٠م[٢] وعاملتهم كما عاملهم الأمويون من قبل كثوار على السلطة المركزية يستدعى إرجاعهم إلى حضيرة الخلافة العباسية، ومن ناحية أخرى أن العراق أصبح بقيام الخلافة العباسية حاضرة العالم الإسلامى ومركز التبادل التجارى، ولذا تضاعفت أهمية الطرق البحرية والبرية المارة بعمان[٣] بانتقال الخلافة من الشام إلى العراق. وهذا العامل يستدعى السيطرة على عمان للمحافظة على الخط التجارى الذى يربط بين البلدان الواقعة جنوب البحر العربى وشماله من ناحية تجارية، ولذلك جندت الدولة العباسية حملة عسكرية بقيادة خازم بن خزيمة التميمى فى سنة ١٣٤هـ/ ٧٥٠[٤]، أن اختيار خازم بن خزيمة لقيادة هذه الحملة كان الغرض منه التخلص من خازم لقتله أخوال الخليفة العباسى أبى العباس السفاح، وبناءاً على مشاورة ونصيحة موسى بن كعب وأبى الجهم بن عطية عدل أبو العباس عن قتل خازم بن خزيمة واستجاب لمشاوريه الذين: وأشاروا

---

(١) الشماخى، شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ أ.

(٢) الطبرى، الرسل والملوك ٧ / ٤٦٢.

(٣) الاصطخرى، المسالك والممالك، تح محمد جابر عبد العال (القاهرة ١٩٦١) ص ٢٧. — الدباغ، جزيرة العرب، ١١٥.

عمان تاريخ يتكلم، ص ٢٣.

(٤) الطبرى، الرسل والمملوك، ٧ / ٤٦٢. — ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ٤ / ٣٤٣. ابن كثير، البداية والنهاية ١٠ / ٥٧.

عليه بتوجيهه إلى من بعمان من الخوارج إلى الجلندى وأصحابه وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكرى.. »[١] ، ولهذا الغرض أعد الوالى العباسى على البصرة سليمان بن على سفنا لحمل خازم وجنده إلى جزيرة بن كاوان بناءاً على الأوامر التى صدرت له من الخليفة أبى العباس السفاح ، كان عدد جنود هذه الحملة حوالى السبعمائة جندى ، إضافة إلى الذين ضمهم خازم من أهل بيته ورجال من أهل مرو الروذ ، وبنى تميم من أهل البصرة[٢] ، وسارت هذه الحملة البحرية بقيادة خازم باتجاه جزيرة بن كاوان للقضاء على الخوارج الصفرية فيها الذين يقودهم شيبان بن عبد العزيز اليشكرى الذى كان قد انسحب بالخوارج الصفرية من العراق إلى جزيرة بن كاوان عام ١٢٩ هـ بعد أن ضايقه القائد الأموى عامر بن صبارة واضطره على الانسحاب إلى جزيرة بن كاوان[٣] الواقعة فى البحرين . ويظهر أن الصفرية بلغو درجة من الضعف فى سنة ١٣٤هـ / ٧٥٠ م لدرجة أن خازن بن خزيمة بعد أن أرسى سفنه فى جزيرة بن كاوان وجه خمسمائة رجل من جنوده بقيادة نضله بن نعيم النهشلى حيث استطاعوا أن يفضوا جموع الصفرية من هذه الجزيرة بعد قتال شديد[٤] ، اضطروا فيه أن يركبوا السفن إلى منطقة

(١) المصدر السابق ٧ / ٤٦٢ .

(٢) المصدر السابق . ــ ابن الاثير ، الكامل ، ٤ / ٢٤٣ . ــ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٥٧ .

(٣) جزيرة كاوان : ويقال بن كاوان وهى جزيرة عامرة بالسكان ، فيها مزارع وقرى تطل على ضفة الخليج العربى الغربية وتقع بين عمان والبحرين ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ / ٧٩ .

(٤) الطبرى ، الرسل والملوك ٧/ ٤٦٣ . ــ ابن الأثير كامل ٤/ ٢٤٣ . وذكر الموالميون والحدائق خلافا لما ذكره الطبرى بأن أبا العباس أرسل إليه المسبح

جلفار[١] الواقعة فى شمال شرق عمان . وفى هـذه المنطقة التقت الأباضية بالصفرية ورفضوا أن يحل الصفرية فى بلادهم ، وقد أرسل الإمام الأباضى الجلندى بن مسعود قوة أباضية قادها الداعية الاباضى البصرى يحي بن نجيح وقد أرسله التنظيم الاباضى فى البصرة إلى عمان مع هلال بن عطية الخرسانى[٢] ولما كان يحي بن نجيح مختصا بجمع المال فى البصرة[٣] ، فمن المحتمل أنه حمل مساعدات الأباضية فى البصرة لدعم الإمامة الأباضية بعمان وهذا يدل دلالة واضحة على ارتباط الجماعات الأباضية فى كل مصر انتشرت فيه الدعوة سواء فى عمان[٤] ، أو فى خراسان والتى اشترك فيها الداعية الأباضى هلال بن عطية الخرسانى[٥] ، فى معاونة الجلندى بن مسعود فى قيادة الجند الأباضى ضد الجيش العباسى الذى قاده خازم بن خزيمة .

= ابن الجورى ، فقاتله بجزيرة ابن كاوان فهزمهم شيبان ، فذهب إلى عمان بعد هذه المعركة . وهذا خلاف ما ذكرته المصادر الأباضية أيضاً — . مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ٣ / ١٦٣ . الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٢٤ ب .

(١) جلفار إحدى بلدان عمان وصفها ياقوت بأنها عامرة كثيرة الغنم والجبن والسمن تصدر منتوجاتها الحيوانية إلى المناطق المجاورة لها .

ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ / ١٠٤ .

(٢) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٢٤ ب .

(٣) قال الشماخى : كان يحيى بن نجيح وديال وسميهما أن يجمعا من الأغنياء للفقراء ، أما يحيى فيخرج بجراب فيطوف على أغنياء المسلمين فمن حضر عنده الخبز أو التمر أو الرمان أو الدراهم وما حضر . . ثم يطوف بما جمع على الفقراء ويفرق عليهم ، ومات مع الجلند بن مسعود بعمان . . » السير ، ص ١١٣ — ١١٤ .

(٤) مصباح الظلام ، ورقة ٢٤ ب .

(٥) البهلوى ، عبد الله بن عمر الشقصى ، قصيدة مخمسة فى أمر الخلاف =

معركة جلفار ١٣٤ هـ / ٧٥٠ م :

وفى منطقة جلفار التق الصفرية والأباضية يقودهم يحيى بن نجيح على رواية محبوب[١] ، وفى رواية للأزكوى أن هلال ابن عطية ويحيى بن نجيح قاضى الجيش الأباضى معاً فى هذه المعركة[٢] ، وقبل بدأ المعركة التى وقف فيها الفريقان على شكل صفين قام القائد الاباضى يحيى بن نجيح على ما يرجح دعوة الصفرية إلى المذهب الأباضى ، وربما طلب إليهم الرجوع إلى النزوح عن عمان إلى منطقة أخرى ، وكما يفهم من الرواة الاباضية أن يحيى بن نجيح « دعا بدعوة أنصف فيها الفريقين[٣] » دون الإفصاح عما تضمنته هذه الدعوة ولكن المتبع فى العادة لدى الأباضية عدم البدأ بالقتال ، دون عرض المبادىء الاباضية على الخصم[٤] ، ويبدوا أن الصفرية رفضوا العروض الأباضية ، أو الاتفاق معهم لمواجهة الجيش العباسى وبهذا غدا الصفرية فى موقف حرج جداً من الناحية العسكرية فهم غرباء على البيئة العمانية من ناحية ومن ناحية أخرى أصبحوا بين عدوين خازم بن خزيمة فى جزيرة بن كاوان بالبحرين وقوات الإمامة الأباضية فى عمان والتى عسكرت فى منطقة جلفار شمال شرق عمان وفى هذه المنطقة وقعت معركة كانت خاتمة الرحلة الطويلة للخوارج الصفرية الذين جابوا المنطقة الشرقية للدولة الأموية وشرق

= بين الصحابة ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٥٤٩ ب) . ورقة ٧١ أ .

(١) مصباح الظلام ، ورقة ٢٤ ب .

(٢) الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٣٢٨ . السالمى تحفة الأعيان ١/٩٤ .

(٣) مصباح الظلام ، ورقة ٢٤ ب .

(٤) الجيطالى ، شرح قواعد الإسلام ، ورقة ٢٦ أ .

الجزيرة العربية والتى ابتدأت منذ عام ١٢٧ هـ بقيادة الضحاك بن قيس الخارجى وانتهت بمقتل خليفته شيبان بن عبد العزيز اليشكرى عام ١٣٤ هـ / ٧٥٠ وانتصار الأباضية الذين فقدوا قائدهم يحيى بن نجيح فى هذه المعركة[١]، وقد انتصر الأباضية فى هذه المعركة لأنهم كانوا يقاتلون فى أرض خبروها فى حين كان الصفرية غرباء على هذه البيئة ثم أن الصفرية أصبحت قوة صغيرة منهكة بعد مطاردة الأمويين وأخيراً العباسيين الذين طردوهم من البحرين .

معركة جلفار الثانية :

وقعت معركة جلفار الثانية بعد هزيمة الصفرية مباشرة ، إذ يظهر أن القائد العباسى خازم بن خزيمة كان متابعا للصفرية[٢]، وقد خدمته ظروف العداء بين الأباضية والصفرية وكفاه الجلندى وأصحابه مؤونة قتال الصفرية والقضاء عليهم ، ويبدو أن الأباضية كانوا فى انتظار القوة العباسية التى أرست سفنها على ساحل عمان[٣] ، إذ تشير الرواية الأباضية أن خازم لما وصل إلى عمان قال للجلندى : « إنا كنا على أثر هؤلاء القوم وقد كفانا الله قتالهم على

---

(١) مصباح الظلام ، ورقة ٢٥ أ . — ويذكر الأستاذ أحمد عطية الله خطأ : أن الخليفة السفاح وجه قائده بن عبد العزيز اليشكرى إلى عمان لاخضاع الجلندى بن مسعود (فقضى عليه الجلندى عام ١٢٩هـ / ٧٤٦م) ثم أرسل إليه خازم بن خزيمة بعد ذلك :

عطية الله ، أحمد ، القاموس الإسلامى ، مج ١ (القاهرة ، ١٩٦٣) ، ص ٦ .
كما وقع فى نفس الخطأ الأستاذ محمد عبد الله عنان ، إذ قال أن المنصور أرسل إليهم حملة بقيادة شيبان بن عبد العزيز . محمد عبد الله عنان ، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة (القاهرة ، ١٩٥٤) ، ص ١٩ .

(٢) مصباح الظلام ، ورقة ٣٠ أ الأزكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٣٢٨ ب .

(٣) الرسل والملوك ، ٧ / ٤٦٣ .

أيديكم أو نحو هذا ، ولكني أريد أن أخرج من عندك إلى الخليفة وأخبره أنك له سامع مطيع[١] » .

ويتضح من الرواية الاباضية أن خازم بن خزيمة طلب من الاباضية الاعتراف بالسلطة العباسية وعدم الخروج عنها . وأبدى مقابل ذلك استعداده للرجوع عن عمان ، إلا أن روايات الطبري وغيره من المؤرخين الرواد تؤكد أن هدف الحملة كان غرضه القضاء على الخوارج الأباضية بعمان[٢] ، وربما أدرك خازم نوايا الخلافة العباسية للتخلص منه بإرساله إلى عمان لحاول أخذ السمع والطاعة من الأباضيـة دون قتال . كما أنه طلب من الإمام الاباضي الجلندى بن مسعود تسليمه خاتم شيبان وسيفه ليكونا له حجة عند الخليفة[٣] ، فاستشار الجلندى بن مسعود علماء الأباضية[٤] فى تحديد موقفه من

---

(١) مصباح الظلام ، ورقة ٣٠ أ . — كشف الغمة ، ورقة ٣٢٨ ب — ٣٢٩ أ .

(٢) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٧/٤٦٢ .

(٣) مصباح الظلام ، ورقة ٣١ أ — كشف الغمة ، ورقة ٣٢٩ أ .

(٤) ومن هؤلاء العلماء هلال بن عطية الخرسانى وشبيب بن عطية العمانى وخلف بن زياد البحرانى ، وقد شاركوا بقتال العباسيين وعاصروا الجلندى بن مسعود) . تحفة الأعيان ، ١/٩٥ . — أما بالنسبة لخلف بن زياد البحرانى « قال أبو المؤثر « كان خلف بن زياد مع الإمام الجلندى فى حرب خازم إلا أن مرضه حال دون اشتراكه فى القتال فتخلف بمدينة أزكى ومات بها بعد الجلندى وكان منشأه بالبحرين وسافر إلى البصرة واعتنق الاباضية بعد لقائه بأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة الإمام الاباضى الذى يرجع إليه الاباضية بأمورهم » . السالمى ، تحفة الأعيان ١/ ١٠٣ .

وقال البسيوى : « وقد عرفت من بعض المسلمين أن خلف بن زياد رحمه الله —

العروض التى قدمها خازم بن خزيمة ، ولما كانت الخلافة العباسية حكومة ظالمة فى نظر الأباضية فأشار عليه العلماء بعدم الركون إلى الظلمة[١] ، ويشير السالمى أن خازم بين خزيمة كان مصراً على إخضاع عمان وإقامة الخطابة فيها للخليفة العباسى ، ونتيجة لرفض الجلندى وأصحابه الخضوع للخلافة العباسية فى العراق ، فقد جرت معركة شديدة بمنطقة جلفار على ضفة الخليج العربى الغربية[٢] ، انتصر فى بدايتها الأباضية وأكثروا القتل فى الجند العباسى وكان فيمن قتل أخو القائد العباسى خازم بن خزيمة مسلم الارغدى أخيه لأمه ، وكان على طلائع الجند العباسى نضلة بن نعيم النهشلى مساعداً لخازم بن خزيمة فى هذه الحملة ، ويشير الطبرى أن عدد قتلى الأباضية فى هذه المعركة تسعمائة قتيلا ، كما أحرقوا منهم تسعين رجلا[٣] ، وبعد سبعة أيام من هذه المعركة استعمل العباسيون أسلوباً جديداً فى معاركهم للأباضية بعد أن استعصى عليهم الانتصار على الأباضية بسرعة وذلك بإحراقهم بيوت الأباضية المصنوعة من الخشب والخلاف ، بعد أن وضعوا على رؤوس الرماح المشاقة وهى مادة مصنوعة من لكتان والقطن والشعر مشبعة بالنفط أضرموا فيها النار وحرقوا

= لما نشأ فوجد الناس مختلفين وقال أن لله دينا تعبد به عباده لا يعذرهم بجهله والشك فيه فخرج يطلب ما كلف به كلما لقى فقيها أو منسوباً إليه سأله عن اعتقاده ، فاذا أخبره قال له دينى خير من دينك حتى لقى أبا عبيدة مسلم بن أبى كريمة فكلما سأله عن شىء أخبره وعرف أن الحق ما قال أبو عبيدة وقال هذا دين الذى تعبد به عباده . الحجة على من أبطل السؤال . ورقة ٤ .

(١) مصباح الظلام ، ورقة ٣١ب . كشف الغمة ، ٣٢٩ أ .

(٢) المصدر السابق ، ٣١ أ .

(٣) الرسل والملوك ، ٧/ ٤٦٣ .

بها بيوت أصحاب الجلندى بن مسعود[١] ففقدوا توازنهم العسكرى وأصبح شغلهم الشاغل فى هذه الحالة إنقاذ بيوتهم وعوائلهم فتمكن العباسيون من الانتصار عليهم بسهولة فقتل الجلندى بن مسعود[٢] ، وهلال بن عطية الخرسانى القائد الأباضى الذى أرسله أبو عبيدة مسلم لمعاونة الأباضية فى عمان[٣]، وتشير الرواية الأباضية أن آخر من قتل فى هذه المعارك الجلندى ابن مسعود وهلال بن عطية الخرسانى[٤] . وقد قتل من الأباضية فى هذه المعارك زهاء العشرة آلاف أباضى كما ورد فى رواية الطبرى[٥] ، إلا أن هذه الرواية فيها الشىء الكثير من المبالغة ، لأن الحركة الأباضية كانت فى بداية التأسيس ولو اجتمع لها هذا العدد من المقاتلة لما استطاعت الحملة العباسية المحمولة بالبحر من القضاء عليهم ، وتصدق هذه الرواية فيما لو أضفنا عدد القتلى الذين أحرقت عليهم بيوتهم بما فى ذلك الأطفال والنساء .

---

(١) الرسل والملوك ، ٤٦٣/٧ . ابن خلدون ، العبر مج ٣ ، ص ٣٨١ . أمين أحمد . ضحى الإسلام ، ط ١٠ (بيروت ، لات) م ص ٣٣٧، ٣٣٨ .

(٢) الطبرى ، ٤٦٣/٧ . ابن الأثير الكامل فى التاريخ ، ٣٤٣/٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠/ ٥٧ . ويشير ابن كثير خطأ إلى أن الجلندى إماما للصفرية إذ يقول : « وقتل أمير الخوارج الصفرية وهو الجلندى » ص ٥٧ .

(٣) مصباح الظلام ، ورقة ٣١ ب

(٤) ابن رزيق ، حميد بن محمد الدخل ، الفتح المبين فى سير سادة البوسعيد ترجمة د . بادجر ، نشر من قبل جمعية هكليت ، ١٨٧٠، ص ٧ .

(٥) الطبرى ، ٧/ ٤٦٣ . الكتبى ، صلاح بن محمد ، عيون التواريخ ، مخطوطة بمكتبة الإمام الحكيم تحت رقم ٧٩ ، ٣ / ورقة ٧أ . ابن الأثير الكامل ٣٤٣/٤ . ابن خلدون ، العبر ، مج ٣٨١/٣ .

ثم إن الدعوة الأباضية فى عمان بعد هذه المعركة استمرت تمارس نشاطها بحيوية كبيرة فازدهرت العقيدة الأباضية فى عمان واعتنقها سواد الأمة وهنا يظهر الأثر العميق لسيطرة العقيدة الأباضية وتمكنها من نفوس العمانيين ، وعلى هذا فان السيطرة العباسية على عمان سيطرة عسكرية لم تجد التأييدمن أهل المنطقة والراجح أنها عاشت كقوة معزولة فى المنطقة الساحلية ذات الأهمية التجارية ، ولم تتمكن من فرض سيطرتها على عمان سيطرة كاملة وبأمر من الخليفة أبى العباس السفاح رجعت القوة العباسية بعد أن اقامت عدة أشهر فى عمان ، وبعد أن أزالت الإمامة الأباضية فى سنة ١٣٤هـ[١] .

وخلافا لما أورده لويكى (T. Lewicki) عندما ذكر فى مقالته القيمة عن الأباضية بأن الإمامة الأباضية قد امتدت إلى حضرموت واليمن[٢] ، ووقع فى الخطأ نفسه الدكتور إسماعيل محمود عندما يتكلم عن نجاح الدعاة الأباضية فى إقامة دولة أباضية فى عمان فيشير بأنهم « تمكنوا من فتح اليمن ثم زحفوا على الحجاز[٣] » أن الذى أوقع فى الخطأ المستشرق (Lewicki) ومن بعده الدكتور إسماعيل محمود لاعتمادهما على نص مقتضب أورده المؤرخ الأباضي البرادى أشار فيه إلى الأئمة الأباضية الذين ثاروا على الدولتين الأموية والعباسية يقول فيه : « ثم ثار قبل الوارث أيضاً الكلندا ابن الجلند فاستولى على اليمن حتى استشهد رحمه الله[٤] » . كما أن الدكتور إسماعيل محمود يقع فى

---

(١) الطبرى ، ٧/٤٦٣ .

(٢) Enc. of Islam, Leiden, 1971, Vol. 3, p. 652.

(٣) إسماعيل محمود ، الحركات السرية فى الإسلام ، ص ٣٣

(٤) البرادى ، الجواهر المنتقاة ، ص ١٧٠ . ويلاحظ فى النص أعلاه أن البرادى يسمى الجلندى ابن مسعود بالكلندا بن الجلند ، وقد انفرد البرادى بهذه التسمية ، كما أن البرادى يقع فى خطأ آخر حين يقرن بين خروج عبدالله بن يحيى =

خطأ آخر حين يجعل من القائد الأباضى أبى حمزة المختار بن عوف قائداً لحملة عمانية توجهت إلى اليمن والحجاز ولكنه ، انسحب من الحجاز واليمن وعاد إلى عمان وحضرموت ، نتيجة لحملة أموية توجهت إليه من الشام[1] .

والواقع أن الحركة الأباضية الأولى قامت فى حضرموت سنة ١٢٩ هـ ، وامتدت إلى اليمن وبعدها قاد أبو حمزة المختار بن عوف حملة استولت على الحجاز وقد قتل فى مكة سنة ١٣٠هـ بعد أن توجهت إليه حملة أموية من الشام استطاعت القضاء على أول إمامة أباضية فى اليمن فى سنة ١٣٢ هـ[2] ، ثم أن المصادر التاريخية لا تذكر أن أبا حمزة المختار بن عوف ثار فى عمان ، ويبدو أن الدكتور إسماعيل محمود قد خلط بين حركة الأباضية فى اليمن ١٢٩ هـ والحركة التى قامت بعمان فى سنة ١٣٢ هـ . ولكن الذى يحتمل حدوثه هو أن أباضية عمان بعد فشل الحركة فى اليمن وحضرموت انسحبوا باتجاه المشرق عن طريق ظفار إلى عمان ، ذلك أن الجلندى بن مسعود كان قد اشترك فى بيعة عبد الله بن يحيى الكندى (طالب الحق[3]) وأخيراً فالدعوة الأباضية فى عمان اقتصرت بسيطرتها السياسية على عمان فقط دون غيرها من البلدان وانتهت هذه السيادة فى سنة ١٣٤ هـ ، لتظهر مرة ثانية ، كما سنرى فى فصل قادم .

= (طالب الحق) وخروج خوارج الجور نجدة بن عامر وأصحابه باليمامة ، ص ١٧٠ .

(١) د . إسماعيل ، محمود ، الحركات السرية ، ص ٣٣ .

(٢) راجع الفصل الثالث من الرسالة (الحركة الأباضية فى اليمن والحجاز) .

(٣) السالمى ، تحفة الأعيان ، ١ / ١٨٨

بدايات التنظيمات الإدارية والاجتماعية للإمامة الأباضية الأولى :

بالرغم من أن العقيدة الأباضية أصبح لها تأثير كبير فى مجرى حياة عمان السياسية ، إلا أن قوى المعارضة القبلية التى تمثلت ببنى الجلندى لازالت محتفظة ببقايا تأثيراتها السياسية ويظهر أنها عارضت إمامة الجلندى بن مسعود فقد رفض البيعة جعفر بن سعيد الجلندانى وابنيه النظر بن جعفر وزائده ابن جعفر ونتيجة لهذا النقض ، فقد ضربت أعناقهم رغم الصلات القبلية التى تربطهم بالإمام الأباضى[1] ، وعندما أبدى الجلندى بن مسعود حزنه على أقربائه ، استنكر الأباضية عليه هذا الحزن » وقالوا : أعصبية ياجلندى ؟ فقال لا ولكن الرحمة[2] » ولهذا السبب طلب الأباضية منه اعتزال الإمامة إلا أنهم بعد ذلك رجعوا إليه وبإلحاح ليستمر بأمامتهم ، وهنا نلاحظ أن العقيدة الأباضية كانت بطبيعتها الإسلامية المعتدلة عاملا مهما من عوامل لفتيت الروح القبلية ومحاولة لتطبيق التعاليم الإسلامية فى شئون الحكم الإدارى فى عمان . »

اتخذت التنظيمات الإدارية طابعاً إسلامياً ملتزما بالمذهب الأباضى يعكس الاتجاه السياسى لهذه الإمامة وأهدافها فى صبغ عمان صبغة أباضية ويلاحظ هذا واضحاً فى تنظيم (الشراة[3]) من الناحية العسكرية ، فقد قسموا على شكل مجموعات ولكل مجموعة تتكون من مائتين إلى أربعمائة عين لها قائد من أهل العلم والمعرفة والفقه والحزم وعلى كل عشرة مؤدب يعلمهم الدين ويؤدبهم

---

(١) كشف الغمة ، ورقه ٣٢٩ ب . ـ السالمى ، تحفة الأعيان ، ١/ ٩٣

(٢) تحفة الأعيان ، ٩٣/١ .

(٣) السالمى ، تحفة الأعيان ، ٩١/١ .

على المعروف[١] ، وكان يمنح لهم عطاء شهرياً قدره سبعة دراهم فى فترة ارتفعت فيها أسعار البضائع ، إذ استحال على الكثير من الشراة الزواج لضعف قدراتهم المالية ، كما أن النساء رفضن المهور القليلة والتى قدرها عشرة دراهم التى اقترحها فقهاء العراق الأباضية لمعالجة حالة العزوبة التى عاشها الشراة فى عمان فبقى أغلب الشراة بدون عوائل[٢] ، وهذه الظاهرة الاجتماعية ماهى إلا انعكاس للإمكانيات الاقتصادية البسيطة للدولة الأباضية الوليدة وتكمن خلف هذه الحقائق ضعف السيطرة السياسية على عمان بصورة كاملة ، ولهذا السبب علاقة مباشرة فى جباية الضرائب ، فالأباضية لا يأخذون الضرائب الشرعية إلا إذا ضمنوا حماية السكان فلهذا لم يأخذوا صدقات البحر (العشر) فى هذا الوقت لأن الإمامة الأباضية غير قادرة على حماية التجار فى البحر لهذا فقد تركت لهم حرية إعطاء هذه الضريبة[٣] .

أما الموارد الاقتصادية التى اعتمدت عليها هذه الدولة ، فالمعروف أن العمانيين أهل مراس وخبرة بالتجارة[٤] ، بحكم موقع بلادهم التجارى على طرق المواصلات التجارية على البحر العربى من جهة الجنوب ومدخل الخليج العربى الذى يقع إلى الشرق من عمان ، ثم إن عمان اشتهرت بجودة حاصلاتها الزراعية حيث تكثر العيون والينابيع فى بعض جبالها مكونة الأنهار الصغيرة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق أيضاً .

(٣) السالمى ، المصدر السابق ١/٩١ .

(٤) المسعودى ، مروج الذهب ١/١٢٨ ، ٣/٢٢٨ .

التى تسقى السهول الزراعية المتناثرة[١] ، اضافة إلى المساعدات التى كانت ترد الى عمان من مركز الدعوة الأباضية فى البصرة لإسناد الإمامة الناشئة فيها .

ويبدو أن الجلندى بن مسعود وضع الولاة على المدن العمانية . فيذكر السالمى نقلا عن أبى الحوارى[٢] ، أن أبا صالح الوضاح كان واليا للجلندى على مدينة أبرى ، كما أنه استعمل القضاة وجباة الصدقة ، كموسى بن أبى جابر الازكوى والحسن بن عقبة ، وجعفر بن بشير ، وغيرهم[٣] . واشتهر من هؤلاء العمال على رواية أبى الحسن البسيوى شبيب بن عطية العمانى الذى كان يجبى القرى ويسمى بالمحتسب .

كما أن الجلندى بن مسعود عمل على إدخال تنظيمات اجتماعية وخاصة فيما يتعلق بالمرأة العمانيـة ، إذ فرض عليهـا اللباس الشرعى الذى أمرت به الشريعة الإسلامية ، كما نهى النساء عن الجلوس فى الطرقات العامة والخروج فى بعض الأيام ، وشمل هذا التغيير الرجال أيضاً إذ أمر بتقصير شعورهم وتقصير ملابسهم ، ويبدو أن المجتمع العمانى فى تلك الحقبة قد ضم عدداً من أهل الذمة الذين أمروا بعدم تقليد الأزياء الإسلامية ، كما منع الجلندى المسلمين التشبه بزى أهل الذمة[٤] .

---

(١) المقدسى ، أبو عبد الله محمد ، أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، (ليدن ، ١٩٠٦) ، ص ٩٣ . — ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، رحلة ابن بطوطة ، (بيروت ، ١٩٦٠) ٢٧١ .

(٢) تحفة الأعيان ، ١/٨٩ ، ٩٠

(٣) المصدر السابق ، ص ٩١

(٤) تحفة الاعيان ، ١/٩١ .

عمان بعد زوال الإمامة الأباضيـة :

تحكمت بتاريخ عمان السياسي فى هذه الفترة ثلاث قوى سياسية وهذه القوى بعضها غريب عن إقليم عمان ، كالقوة العباسية التى تركزت فى المنطقة الساحلية على مايظهر باعتبارها قوى غريبة على القبائل الأزدية التى تشكل معظم السكان العمانيين أنذاك .

أما القوى الداخلية من الناحية السياسية فيمكن تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : ويتمثل بقوى الدعوة الاباضية التى بدأت تفرض نفسها كمذهب إسلامى لهذا الإقليم .

القسم الثانى : القوى القبلية الموزعة على إقليم عمان ، وكانت أقوى الكتل والجماعات القبلية آل الجلندى لأنها أعرق الجماعات القبلية التى حكمت عمان حتى عهد قريب[1] ، إضافة إلى قبائل أخرى مثل بنى هناءه وغيرهم[2] وعلى ضوء هذه الاعتبارات جرت الأحداث السياسية فى هذه الفترة ، فبعد زوال الإمامة الأباضية وانتقال السلطة بعمان الى يد بنى الجلندى الذين انقادوا للعباسيين حتى سنة ١٧٧ هـ[3] ، وكان أبرز هؤلاء محمد بن زائدة ، وراشد بن النظر ويحتمل أنهما أولاد النظر بن جعفر وزائدة بن جعفر اللذان قتلهما الجلندى بن مسعود مع والدهما ـ كما ذكرنا سابقا ـ وقد استطاعا أن يسيطرا على عمان ، فظهر هذا تكون هذه العائلة الممثلة لقوى المعارضة للإمامة الأباضية قبل وبعد الجلندى ، وتظهر سيطرتهم بتعيين العمل على مدن وقصبات

---

(١) كشف الغمة ، ورقة ٢٢٨ أ .

(٢) العوتبى ، الانساب ، ورقة ١٦٩ ، ١٦٥ ب .

(٣) تحفة الاعيان ، ٩٧/١ .

عمان[1] . وفى نفس الوقت تشير المصادر الأباضية إلى قيام شبيب بن عطية بدور سياسى فعال بأمر الدعوة الاباضية بعد مقتل الجلندى بن مسعود إذ كان يجبي القرى فى حالة غياب السلطة العباسيـة ، أما إذا فرضت السلطة العباسية سيطرتها وجبت الضرائب ، فانه يكف يده ويعتزل الأمر ، وهذا يدل دلالة واضحة على ضعف السيطرة العباسية ومن يواليها بعمان .

وقد اختلف الفقهاء - من حملة العلم - فى تحديد مركزه السياسى ويظهر أنه لم يكن إماماً منصوباً متفق عليه من قبل علماء الأباضية لذلك حصـل اختلاف فى تحديد مركزه ، فبعضهم تولاه كموسى بن أبى جابر الأزكوى ، وبعضهم تبرأ من إمامته ، ويظهر أن نشاط شبيب بن عطية السياسى وقع فى فترة إمامة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة .

ويتضح من هذا الاستعراض لسيرة الدعوة الأباضية بعمان أن فشل الأباضية فى إقامة كيان سياسى لم يفت فى عضد دعاتها ، واستطاعوا أن يمهدوا لقيام إمامة أباضية فيما بعد امتدت من سنة ١٧٧ هـ حتى سنة ٢٨٠ هـ .

(١) العوتبى ، انساب ، ورقة ١٦٩ أ .

بداية ظهور الدولة الجديدة

كان من أبرز السمات التى سادت عمان قبل قيام الدولة الأباضية الفوضى القبلية[1] ونشوب صراع بين بعض القبائل الازدية ، ففى عام ١٤٥ هـ/٧٦٢م حيث احتدم النزاع بين بنى هناة بزعامة « سعد بن غصان الهنائى من بنى محارب وهو الذى وقع بنزوى ونهبها وهزم بنى نافع وكانت الدائرة على بنى نافع وبنى هميم بعد أن قتل منهم خلق كثير[2] ، وبنو نافع وهميم يلتمون لبنى الحارث الأزديين[3] .

وقد أغضبت هذه الإعتداءات بنى الحارث القاطنين فى منطقة أبرا[4] وقرروا الثأر لبنى قبيلتهم المستقرين فى نزوى[5] وقادهم زياد بن سعيد البكرى

---

(١) يؤكد المستشرق ولكنسون بأن القبيلة تعتبر المظهر الأول الذى تحكم فى تاريخ عمان — راجع

Wilkinson, The origins of the Omani state (in the Arabian peninsula) p. 67.

(٢) العوتبى انساب العرب ورقة ١٦٩ ب - كشف الغمة ورقه ٣٢٩ ب — السالمى ، تحفة الأعيان ١/١٠٧ .

(٣) السالمى تحفة الأعيان ١/١٠٧ .

(٤) أبرا : تقع أبرا فى المنطقة الشرقية بعمان جنوب شرقى مدينة نزوى وهى من أكبر المدن فى هذه المنطقة فى يومنا هذا د . السعدى ، فاضل عباس عمان — مجلة رسالة الإسلام العدد ٧ و ٨ بغداد ، ١٣٩٠هـ ص ١٩٥ .

لوريمر دليل الخليج الجغرافى ١ / ١١٣٤ .

(٥) مدينة نزوى : من أهم المدن الداخلية بعمان تقع جنوب الأخضر وتعتبر من أهم المراكز الإدارية قديما وحديثا ، أنظر السعدى المصدر السابق ص ١٨٩ =

فأجمع مع بنى « الحارث على الفتك بغسان فوجدوه وقد وصل لرجل من بنى هناءة . وكان مريضاً لجلسوا له . . بموضع يقال له الحور فمر بهم وهو لا يشعر بمكانهم فقتلوه عند المقصرة[١] » ونتيجة لمقتل سعد بن غسان الهنائى قد قام منازل بن خبش العـابرى الهنائى وكان عاملا لمحمد بن زائدة وراشد ابن النظر الجلندانيين بالإغارة على بنى الحارث فى منطقة أيرا وقتل أربعين رجلا منهم[٢] .

إن دراسة الصراع والتكتلات بين هذه القبائل سيلقى الضوء على موقف القبائل من الدعوة الأباضية وقد تركت هذه النزاعات أثارها فى مجرى الحياة السياسية بعمان حوالى قرن من الزمان حتى سقوط الدولة الأباضية فى ٢٨٠ هـ - ٨٩٣ م قد تكتلت فى ضوء هذه الأحداث قوى المعارضة للدولة الأباضية فوقف بنو هناءة إلى جانب بنى الجلندى الذين يهدف الأباضية لإزالتهم عن السلطة لموقفهم المعارض للدعوة الأباضية ولمعاونتهم للعباسيين من ناحية أخرى[٣] .

= ١٩٤ ، وقد وصفها الجغرافيون والرحالة ، فقال عنها المقدسى : « فى حد الجبال كبيرة ، بنيانهم طين والجامع وسط السوق » . المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٣ وخير وصف لهذه المدينة للرحالة ابن بطوطة إذ فوصفها بأنها « قاعدة هذه البلاد ، وهى مدينة نزوى ، مدينة تقع فى سفح جبل » ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، رحلة ابن بطوطة ، (بيروت ، ١٩٦٠) ص ٢٧١ .

(١) العوتبى ، أنساب ، ورقة ١٠٩ ب — الازكوى ، كشف الغمة ورقة ٣٢٩ ب . السالمى ، التحفة ، ١/١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) العوتبى ، م ، ن . الازكوى ، م ن . السالمى التحفة ١/١٠٨ .

(٣) السالمى ، التحفة ١/٩٧ .

إعلان الإمامة الأباضية :

لم يستطيع بنو الجلندى بزعامة محمد بن زائدة ، وراشد بن النظر ، توطيد الأمن لحكمهم نتيجة للاضطرابات القبلية التى ذكرناها سابقاً ، وكانت آخر هذه الاضطرابات خروج غسان بن عبد الملك إحدى الشخصيات المعارضة لحكم راشد بن النظر الجلندى ، وقد استثمر فقهاء الأباضية وحملة العلم هذه الاضطرابات لصالح الدعوة ، محاولين إزالة آل الجلندى عن حكم عمان ولهذا وقف الفقيه الأباضى موسى بن أبى جابر الأزكوى ومحمد بن عبدالله بن حساس مساندين لغسان بن عبد الملك رغم أنه « ممن لم تحمد سيرته[1] » كما أن الأباضية وشيوخهم كانوا على علم بظلمه ومع ذلك وقفوا إلى جانبه ، ولا يمثل هذا الموقف من الناحية النظرية المبادىء الأباضية التى تقضى بعدم معاونة الظالم[2] ثم إن الخروج على الباغى أو جهاد المشرك لابد أن يتم مع امام ملتزم بآداب الحرب من الوجهة النظرية لدى الفقهاء الأباضية[3] ، إلا أن هذا الموقف من الناحية العملية مهد انجاح الدعوة الأباضية ، ويدل هذا الأسلوب على نضج سياسى وعدم الجمود على أفكار السلف فى الوقوف والتبرى من الظالم ، وهنا نلاحظ أن الأباضية استفادت من هذه المواقف إلى أبعد حد ممكن فعللوا مساندتهم لغسان بن عبد الملك لصالح الدعوة وقالوا « فى جواز الخروج مع

---

(١) السالمى ، التحفة ، ١/١٠٨

(٢) أبو المؤثر ، كتاب الأحداث والصفات ، ورقة (٢)

(٣) البسيوى ، مختصر البسيوى ، (زنجبار ، ١٣٠٤)
الباب الثامن فى الجهاد ص ٦ فما بعد .

الظالم على من هو أظلم منه[١] ، مستغلين القوى الأخرى لضرب أعدائهم على الرغم من اختلاف المبادىء والأهداف السياسية .

ومثل هذه المواقف المرحلية التى تراعى ظروف الحركة من حيث القوة والضعف لم نألفها فى حركات الخوارج كالأزارقة الذين امتازوا بمواقفهم المتزمتة وأوجبوا « امتحان كل من التحق بهم ، ليتأكدوا من مطابقة آرائه لعقائدهم وأفكارهم[٢] » ، فإذا اجتاز الإمتحان سمحوا له بالقتال فى صفوفهم وإلا قتلوه[٣] .

وعلى أثر حملات التبشير الواسعة للدعاة من حملة العلم الأباضية واستغلالهم للصراع القبلى تهيأت الظروف المناسبة لإزالة آل الجلندى وإعلان الإمامة الأباضية ويشير الأزكوى إلى ذلك فيقول « ثم إن الله من على أهل عمان بالألفة على الحق فخرجت عصابة من المسلمين — الأباضية — فقاموا بحق الله وأزالوا ملك الجبابرة[٤] » وكانوا قبل بدأ حركاتهم فى حالة من الضعف والفرقة ويشير البسيوى موضحاً طبيعة الحركة بقوله « فإن المسلمين كانوا مستضعفين متفرقين لا يوالون أحد من أصحاب راشد ولا من ولاته ، خرجوا عليه من قرى شتى من قبائل شتى حتى جمعهم الله بعد الفرقة وكثرهم بعد القلة ، لا يطلبون ملك الدنيا ، وإنما يطلبون نصر دين الله وإظهار

---

(١) السالمى التحفة - ١ / ١٠٨

(٢) الدجيلى ، محمد رضا ، فرقة الأزارقة ، ص ٨٠ — ٨١

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

(٤) الأزكوى ، كشف الغمه ، ورقة ٣٢٩ ب - ابن رزيق ، سادة وأئمة عمان ص ٩ — السالمى ، التحفه ١٠٨/١ .

سنن العدل[1] ، ويتضح لنا من هذا النص أن الحركة الأباضية لم تكن لتتسم بطابع قبلي معين ، كما أنها لم تكن حركة منطقة معينة لخروج الدعاة من مختلف القرى العمانية وهذا الأمر طبيعي بالنسبة للحركة الأباضية التي دخلت إلى عمان كدعوة فكرية لا تقر بالأفكار القبلية والإقليمية .

وقد تجلى فى هذه الحركة الدور القيادى لمدرسة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة فقام طلابه من حملة العلم[2] بالتهيؤ والإعداد للثورة وجمعوا الأباضية من شتى القرى العمانية وقد تمت عملية جمعهم بعد أن جرت مكاتبات بينهم « فتكاتبوا وهم يومئذ أهل ضعف فاجتمعوا وتآلفوا على إقامة الحق[3] ، وقام محمد ابن المعلى الكندى « وهو أول من قام فى دولة الأباضية بعمان[4] ، بقيادة الأباضية فى حربهم لراشد بن النظر الجلندى ورفع شعارهم المعروف (لا حكم إلا لله) إيذاناً ببدء الحركة الأباضية[5] . ويظهر أن الأباضية تجمعوا فى منطقة الظاهرة[6] .

---

(١) البسيوى ، أبى الحسن على بن محمد ، الحجة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان ، ورقة ٧ .

(٢) أطفيش ، الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان ص ٩ - ١١ .

(٣) السالمى ، التحفة ، ١/١٠٩ .

(٤) العوتبى ، الانساب ، ورقة ٩٣ م .

(٥) السالمى ، التحفة ، ١ / ١٠٩ .

(٦) تقع الظاهرة شمال غربى مدينة نزوى وتقع فيها جبال الحجر الغربى ، السعدى المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

ويقول عنها العبرى « حوزة الأرض التى فيها بلد عبرى والسليف والعراقى والعينين والدريز تسمى الظاهرة لظهورها عن الجبال التى تكشف أرض الجوف» انظر الملحق الجغرافى بكتاب العقود الفضية فى أصول الأباضية لإبراهيم بن سعيد العبرى ، ص ٢ .

فى حين حشد راشد بن النظر أتباعه فى منطقة قبائل مهره الواقعة جنوب عمان ثم اتجه شمالا إلى منطقة الظاهرة[1] ، إلى أن صار بالمجازة من ناحية الغابة فأتى إليه المسلمون فألفوه بالمجازة من أرض الظاهرة شرقى الوادى منها[2] ، واستطاع الأباضية أن يهزموا راشد بن النظر فى واقعة المجازة الحاسمة فى شهر رمضان عام ١٧٧هـ/٢٩٣ م وعلى أثرها ترك راشد ابن النظر مدينة نزوى وكان من نتائج هذه المعركة زوال سلطة العباسيين وحلفائهم من آل الجلندى عن عمان . وبهذا تعتبر واقعة المجازاة البداية الحقيقية للدولة الاباضية فى عمان فعلى أثر هذه المعركة بدأ الاباضية يعينون عمالا منهم على ولاياتها وقاموا بجمع الصدقات الشرعية من أهلها[3] .

ويشير السالمى أن الاباضية رجعوا إلى منطقة منح بعد واقعة المجازة وأرسلوا إلى مدينة أزكى رسلهم تدعو الفقيه الأباضى موسى بن أبى جابر الأزكوى للحضور لتقرير مستقبل الإمامة الجديدة ويظهر أن منح هى إحدى نواحى نزوى التى حل إليها موسى بن أبى جابر الأزكوى[4] وكان آنذاك مريضاً وعن هذا الاجتماع يقول الازكوى « أن المشايخ والعلماء من أهل عمان اجتمعوا فى نزوى ، وكان رئيسهم وعميدهم موسى بن أبى جابر الازكالى » . وقد حضر هذا الاجتماع بشير بن المنذر ومحمد بن المعلى[5] . وهما من طلاب

---

(١) السالمى ـ المصدر نفسه .

(٢) السالمى ـ المصدر نفسه ، ١١٠/١

(٣) م

(٤) الأزكوى ، كشف الغمه ، ورقة ٣٤٩ب ـ ابن رزيق ، سادة وأئمة عمان ص١٠ .

(٥) السالمى ـ التحفة ١١٠/١ .

أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة وكانوا قد تلقوا دروسهم فى الفقه والسياسة فى مدينة البصرة مركز إشعاع الفكر الأباضى آنداك[١] .

وقد تمخض هذا الاجتماع عن نتائج هامة تجلب فيها الشخصية الحكيمة والسياسة الرشيدة والإدراك العميق لطبيعة الأمور لدى عميد الدعوة الأباضية موسى بن أبى جابر ، فقد أدرك أن بعض الرؤساء الحاضرين يطمعون فى رئاسة الدولة ، وقد حضر معهم رؤساء لا يؤمنون على الدولة فخاف الشيخ موسى أن لا يكون المسلمين يد وأن تقع الفتنة[٢] ، فاتخذ إجراءاً مناسباً يجنب الكيان الجديد من الانشقاق والخصومات التى تحدث عادة بعد نجاح الثوار فى الاستيلاء على مقاليد الامور فقرر بعد مشاورة مشايخ الأباضية بتعيين قيادى الدعوة على الأقسام الإدارية المهمة بعمان فقال موسى بن أبى جابر لمحمد بن المعلى الكندى ، وقد ولناك صحار[٣] وما يليها فأكفنا

(١) العوتبى ، الانساب ، ورقة ١٧٠ ب - اطفيش ، الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان ص ٩ .

(٢) الأزكوى ، كشف الغمة ورقة ٣٢٩ب - الرقيشى مصباح الظلام ، ورقة ٣٢أ .

(٣) مدينة صحار تقع إلى الشمال الغربى من مسقط على مسافة ١٢٥ ميلا وهى ذات مرفأ ذو خليج صالح للملاحة ، السعدى ، رسالة الإسلام العدد نفسه ، ص ١٩٠ وقد وصفها الجغرافيون الساعون فقال الاصطخرى « وهى على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب ، وهى أعمر مدينة وأكثرها مالا ، ولا تكاد تعرف على بحر فارس ، بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار » .

وبهذا تظهر الأهمية الاقتصادية لمدينة صحار ويظهر أنها كانت المركز الإدارى المهم بعد مدينة نزوى فى هذه الفترة كما يبدو - الاصطخرى ، أبو إسحق إبراهيم ابن محمد ، المسالك والممالك (ليدن ، ١٩٢٧) ص ٢٥ - ووصفها المقدسى =

أمرها[١]» وبهذا تولى الأقسام الساحلية الواقعة شرق عمان أو ما تسمى بمنطقة الباطنة .

أما المنطقة الداخلية التي تركزت فيها الدعوة الأباضية فقال موسى ابن أبي جابر « قد ولينا ابن أبي عفان نزوى وقرى الجوف[٢]» .

ويظهر أن محمد بن أبي عفان قد شارك في قتال راشد بن النظر وكان قائداً من قواد الدعوة الأباضية ، ويشير السالمي أن « محمد بن عبد الله بن أبي عفان كان رجلا من اليحمد إلا أنه نشأ في العراق وكان من أهل العراق فقدموا به إلى عمان[٣]» ، ويتضح من خلال هذا النص الصلة الوثيقة بين أباضية البصرة وعمان ، وكما يؤكد مرة أخرى أن جذور الدعوة الأباضية بدأت في العراق ويظهر أو بعض (حملة العلم) من علماء الأباضية اتجهت أنظارهم لموسى بن أبي جابر الأزكوى لتولى إمامة الدولة الأباضية ، باعتباره أبرز الشخصيات العقائدية والسياسية أو لخدماته الكبيرة التي قدمها للدعوة الأباضية إلا أن موسى بن أبي جابر فضل المصلحة العامة للدعوة الأباضية على مصلحته الشخصية آخذا بنظر الاعتبار طموح كل من دعاتها الكبار لتولى شئون الإمامة فعندما طلب موسى بن أبي جابر من محمد بن عبد الله ليتولى نزوى وقرى الجوف « فقال الشيخ أبو المنذر بشير بن المنذر قد كنا نرجو أن نرى

= فقال « صحار قصبة عمان ليس على بحر الصين بلد أجل منه . . . . وهو في سعة من كل شيء دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق » المقدسي ، أحسن التقاسيم ص ٩٢ .

(١) السالمي ، التحفة ١ : ١١٠

(٢) كشف الغمة ، ورقة ٣٢٩ ب

(٣) السالمي ، التحفة ١ : ١١١ .

مانحب والآن قد رأينا ماننكره »[1] ثم قال له . « قد كنا رجوناك ياأبا على أن تسير بهذه الدولة فرددتها إلى هؤلاء الذين يخافون على الدولة ، فقال موسى بن أبى جابر إنما كان نظرى ياأبا الحكم للدولة »[2] ، « واعلمه إنما أراد أن يفرقهم لئلا تقع الفتنة »[3] ويتضح لنا من خلال هذه النصوص أن هناك اتجاهاً سائدا يدعو موسى ابن أبى جابر لتولى الإمامة .

أمامة محمد بن عبد الله بن أبى عفان :

هو محمد بن عبد الله بن عفان ، ينتمى لقبيلة اليحمد الأزدية ، نشأ وترعرع فى العراق ، وعلى هذا فهو من أباضية العراق ، قدم به أباضية عمان إلى بلدهم عندما فكروا بإقامة الإمامة الأباضية فيه[4] . ويظهر أنه كان قائداً من قواد الدعوة الأباضية[5] الذين اشتركوا فى قتال راشد بن النظر الجلندى . وفى رواية للسالمى أن موسى بن أبى جابر أراد أن يبايع محمد بن المعلى كأمام شارى لخدماته التى بذلها فى مرحلتى الكتمان والظهور .

إلا أنه لم يبد استعداد لقطع الشرى فبويع بدله محمد بن عبد الله بن أبى عفان بعد أن أبدى موافقته لقطع الشرى ، فلما استتبت له الأمور عين ولاة جدد غير أولئك الذين عينوهم بعد واقعة المجازة ، وبمبايعته ابتدأت هذه

---

(١) كشف الغمة ، ورقة ٣٢٩ ب .

(٢) السالمى ، التحفة ١ : ١١٠

(٣) كشف الغمة ، ورقة ٣٣٠ م .

(٤) السالمى ، التحفة ١/١١١ .

(٥) البسيوى ، الحجة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان ورقة ١٧ .

الدولة فى شهر رجب عام ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م[١] . ويظهر أن إمامته كانت إمامة دفاع حتى تضع الحرب أوزارها وقد انفرد السالمى بالقول بأن إمامته إمامة شرى .

فقد أكدت روايات موثقة للشيخ الفقيه أبى الحسن البسيانى[٢] ماينقض رواية السالمى يقول البسيوى « فان ادعى مدعى أن قد تقدم فى هذا عزل إمام على إمام فعل أهل عمان فى ابن أبى عفان قيل له أغفلت المعنى لأن بن أبى عفان لم يقل أحد أنه كان إمام عدل متفق عليه ، وإنما قال بعضهم أنه إمام دفاع إلى أن تضع الحرب أوزارها بشرط ، وقال آخرون : كان أمير جيش وليس بالإمام ولم يجتمعوا على امامته ولا وجدنا أحدا يتولاه من أهل الدعوة ..[٤] » .

وفى هذه الرواية أمور ثلاث :

الأمر الأول : الطعن فى عدالة ابن أبى عفان وهذا متأجمع عليه جميع المؤرخين والفقهاء والأباضية .

الأمر الثانى : أنه إمام دفاع ولو أن البسيوى يشكك فى هذا الاحتمال ،

---

(١) السالمى ، التحفة ١/١١١ .

(٢) كشف الغمة ، ورقة ٢٣٠ أ .

(٣) أبو الحسن البسيوى ، من أبرز علماء الأباضية فى القرن الخامس الهجرى عاصر الإمام راشد بن سعيد ت ٤٤٥ هـ وتوفى قبل عام ٤٧٢هـ حيث لايرد له ذكر بعد هذا التاريخ ، وقوله حجة على أهل الدعوة .
الحارثى : العقود الفضية فى أصول الأباضية ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٤) البسيوى ، الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ١٧ - ١٨ .

أما قوله كونه أمام جيش وليس بإمام فهو يخالف الواقع لأنه حكم عمان أكثر من عامين وبايعه موسى بن أبي جابر الأزكوى[١] .

الأمر الثالث . أما عدم توليه من قبل أهل الدعوة لسوء سيرته ولانه لم يكن إمام شارى عادل السيرة حتى تجب ولايته على الجميع[٢] .

إلا أن البسيوى يؤكد فى رواية أخرى لإمامة محمد بن عبد الله بن أبى عفان بقوله « فبايعوا لابن أبى عفان حتى تضع الحرب أوزارها من عمان ثم الأمر شورى بين المسلمين ، لأن المسلمين لايجهلون فضل الشورى .. »[٣] ويؤكد رأى البسيوى وما رواه الأزكوى أن موسى بن أبى جابر قال : « قد ولينا ابن أبى عفان نزوى وقرى الجوف وأحسب أنه قال حتى تضع الحرب أوزارها »[٤] وهذه الصفات تنطبق على أمام الدفاع بقول الجيطانى « والدفاع من الفروض الواجبة إذ عدم الظهور وهو اجتماع الناس على امام يقدمونه عند مقاتلتهم للعد الذى أدهمهم فان زال القتال زالت امامته »[٥] كما أن الجيطالى حين يضع قائمة بأئمة عمان فى الفترة المعنية بالبحث لايذكر محمد بن عبد الله ابن أبى عفان من هؤلاء الائمة[٦] . من كل هذا يمكن الاستنتاج بأن إمامته

---

(١) كشف الغمة ٣٣٠ أ .

(٢) الجيطالى : شرح قواعد الإسلام ، ورقة ١٨ ب فما بعد (الفصل الرابع بحث فى ولاية البيضة) :

(٣) البسيوى ،الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ٢٢

(٤) كشف الغمة ، ٣٣٠ أ .

(٥) الجيطالى ، شرح قواعد الإسلام ، ورقة ١٦ ا ، ١٦ ب .

(٦) المصدر نفسه ورقة ١٦ ا .

امامة دفاع لاشرى وإذا قبلنا رواية السالمى السابقة[1] فيحتمل أنه بويع على الشرى بعد الدفاع ويبدو أن شخصيته العسكرية هى مهدت له طريق الوصول إلى الامامة .

قوى المعارضة الداخلية للأمامة الأباضية الجديدة :

كانت مهمة محمد بن عبد الله بن أبى عفان شاقة وصعبة فى مواجهة التكتلات والأحلاف القبلية السابقة وكان على الإمامة أن تتحمل تبعاتها لاعتمادها على بعض أطراف النزاع القبلى فى فرض سيطرتها على عمان فقد اعتمد محمد بن عبد الله بن أبى عفان على سعيد بن زياد البكرى للقضاء على الفتن والاضطرابات فى المنطقة الشرقية[2] أو مايسمى بأهل الشرق كما يصطلح عليه العمانيون[3] وقد استطاع سعيد بن زياد من إخماد هذه الفتن والاستيلاء على هذه المنطقة وأراد دمارها انتقاما لبنى الحارث من أهل نزوى وأهل أبرا الذين أوقع بهم بنو هناة أبان حكم راشد بن النظر بن الجلندى فى عام ١٤٥هـ / ٧٦٢م[4] وقد بارك له أعماله الانتقامية الشيخ موسى بن أبى جابر فيقول السالمى « فلما وصل إليهم وكان بينه وبينهم ما كان ، وظهر عليهم سعيد ،

---

(١) السالمى التحفة ١ ١١١

(٢) السالمى ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .

(٣) الشرقية : المنطقة الواقعة إلى جنوب الشرق من عمان الوسطى مركز الامامة وفيها تقع جبال الحجر الشرقى . السعدى ، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق ، ص ١٩٥ « ولا يعنون بالشرقية شرق عمان كله « وقد اصطلح أهل عمان فيما بينهم على قسمة تسمية نواحيها للتميز فسموا ما كان شرقى بلدان العوامر إلى آخر حدود بديه بالشرقية العقود الفضية فى أصول الأباضية الملحق ، ص ٢

(٤) العوتبى ، ١٦٩ ب .

واستولى على بلادهم وأراد دمارها بعث رسولا إلى موسى ابن أبى جابر[١] ليأخذ رأيه فى قطع نخيل بنو نجو فأجاب فقال موسى لرسوله « ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين » .

وتحت ستار هذه الفتوى أنزل سعيد الدمار فى المزروعات والديار انتقاماً لبنى قومه من بنى الحارث خروجا على آداب الحرب الإسلامية[٢] . فأثار بإجرائه هذا كبار الدعاة المعاصرين لمحمد بن عبد الله بن أبى عفان وحملوه مسئولية أعمال سعيد بن زياد البكرى فاعتبر أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمى أعمال سعيد أضراراً ببيت مال الدولة[٣] . وقد وثق قول وائل ابن أيوب المجتهد الأباضى محمد بن محبوب من علماء أواخر القرن الثانى ، وأوائل الثالث الهجرى[٤] . استنكاره للأعمال التى قام بها سعيد يقول : « ماسمعنا عن أحد من قواد هذه الدولة أولاها ولا آخرها صنع ، ولا سار فى حربهم بشر ، بما صنع سعيد بن زياد البكرى ، من سفك الدماء وترك المعروف »[٥] وقد تحمل ابن أبى عفان مسئولية هذه الأعمال فكانت من الأسباب التى افتقدته تأييد قادة الدعوة وخلعه عن الإمامة ومما يؤيد ذلك أن الإمام الذى خلفه فى الإمامة اتخذ إجراءاً بإبعاد سعيد بن زياد البكرى إلى البحرين ، لكى يرضى علماء الأباضية من جهة ويخفف من حدة العصبيات

---

(١) السالمى - المصدر السابق ، ص ١١٢ .

(٢) السالمى التحفة ١ : ١١٢ .

(٣) المصدر ، نفسه ص ١١٣ .

(٤) توفى محمد بن محبوب سنة ٢٦٠ هـ فى إمامة الصلت بن مالك وكان قاضيا له بمدينة صحار ، العقود الفضية فى أصول الأباضية ص ٢٥٥ .

(٥) السالمى ، المصدر نفسه .

القبلية بين بنى هناة وبنى الحارث الذين ينتمى لهم سعيد بن زياد البكرى من جهة أخرى[١].

ونتيجة لسلوكه الجافى لتعاليم الدعوة الأباضية واستبداده بالأمور وصدوده وابتعاده عن فقهاء الدعوة فى عمان وعدم الأخذ بنصائحهم مع ما كان لهم من يد طولى فى خلع الإمام أو تنصيبه فلم يدرك محمد بن عبد الله بن أبى عفان إنشداد الشيعة الأباضية لأئمتها الفقهاء وسيطرتهم الروحية على النفوس ويعبر البسيوى عن ذلك فيقول : « ظهرت منه أمور جفا فيها وجعل يستخف بحقوق أشياخ المسلمين ويفسق عليهم »[٢] ونتيجة لهذه السيرة المرفوضة طعن الكتاب الأباضية فى شخصيته ولم يجعلوه فى عداد أئمتهم من الناحية النظرية بالرغم من حكمه الذى استمر لمدة سنتين وشهر[٣] ولهذا السبب وغيره من الأسباب التى ذكرناها قرر الأباضية خلعه من الإمامة « فعملوا له حيلة وأخرجوه من عسكر نزوى[٤] » والغرض من إخراجه من مدينة نزوى ربما لإبعاده عن مؤيديه فى معسكر نزوى « فلما خرج اجتمعوا فأخذوا إماماً وعزلوه[٥] » وذلك فى سنة ١٧٩ هـ إذ انتخبوا الوارث بن كعب الخروصى

---

(١) العوتبى - ورقة ١٦٩ ب .

(٢) البسيوى - الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ٢٢ ... يقول الأزكوى وبلغنى إنما الذى أنكروا عليه جفوته المسلمين ورده للنصائح ، كشف الغمة ، ورقة ١٣٣ ا . السالمى ، جوهر النظام فى علم الأديان والأحكام ١٢٠/٣ .

(٣) أنظر السالمى، التحفة ا : ١١٢ ، ١١٣ . الجيطالى : شرح قواعد الإسلام ورقة ١٦ ب ، العقود الفضية فى أصول الأباضية . ص ٢٥٣ .

(٤) كشف الغمة ، ورقة ١٣٣٠ ا .

(٥) كشف الغمة ، ورقة ١٣٣٠ ا .

بدلا منه[1] » .

وأخيراً يتضح لنا أن هذه الإمامة كانت إمامة دفاع ومن سمات هذه الإمامة المدافعة داخل حدود الإمامة ، وقد وضح ماجرى من أحداث وعصبيات مضادة لهذه الإمامة تركزت بصورة خاصة فى منطقة الشرقية من إقليم عمان .

إمامة الوارث بن كعب الخروصى :

هو الإمام وارث بن كعب الخروصى من اليحمد[2] . سمى بالخروصى نسبة إلى بنى خروص[3] حيث كان يسكن قرية هجار الواقعة فى هذا الوادى ويظهر أنه كان فلاحا يعمل فى الزراعة[4] ولا تشير المصادر الأباضية المتوفرة عن معلومات أخرى عن سيرته الذاتية ماقبل الإمامة .

وقد اشترك بصورة فعلية فى عزل محمد بن عبد الله بن أبى عفان عن الامامة ففى رواية للسالمى عن أبى محمد الفضل بن الحوارى[5] يقول ، «وقد

---

(١) المصدر نفسه ، السالمى التحفة ا : ١١٤ . د عمر ، فاروق ، العباسيون الأوائل ، ج ١ ، ص ٢٥٣ . العقود الفضية فى أصول الأباضية ، ص ٢٥٣ .

(٢) سمى بالخروصى نسبة الى خروص بن شارى بن اليحمد جد قبيلة بنى خروص وقد أضيف الوادى إلى هذه القبيلة أى قبيلة بنى خروص فقيل « وادى بنى خروص » ، لأن هذه القبيلة تقطن الوادى المذكور .

(٣) كشف الغمة ورقة ٣٣٠ ا . الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٢٥ ب - العقود الفضية فى أصول الأباضية ، ص ٢٥٣ .

(٤) السالمى ، التحفة ، ا : ١١٥ .

(٥) أبو محمد الفضل بن الحوارى وكان على رأس العلماء فى إمامة سعيد بن عبد الله بن محبوب الذى ولى الإمامة سنة ٣٢٠ هـ - العقود الفضيه ص ٢٥٦

خرج وارث يريد العسكر مناظراً محتجاً لابن أبي عفان ، إذ أرادوا عزله[1] ، وقد خرج بصحبة موسى بن أبي جابر الأزكوى الذى حملوه على سرير (من أزكى إلى نزوى لكبر سنه)[2] وفى مدينة نزوى مقر الإمامة الأباضية عقد له الإمامة موسى بن أبي جابر الازكوى بمشورة علماء الأباضية بايعوه كإمام شارى للدعوة[3] .

يقول البسيوى « بايعوا وارث بن كعب على ما بويع عليه أئمة العدل ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والشرى فى سبيل الله ، وإظهار الحق وإخماد الباطل[4] » ولم يبد مشايخ الأباضية معارضة لإمامته[5] ويظهر أن محمد بن عبد الله بن أبي عفان لم يبد أى رد فعل تجاه خلعه .

ولا نتفق مع السالمى فى روايته الأسطورية فيما يتعلق باختيار الوارث ابن كعب للإمامة يقول السالمى « وكان - الوارث - يرى الرؤيا فى نومه تدل على ظهور الحق على يده ، وأنه كان ذات يوم يحرث فى زرع له فسمع صوتاً يقول له أترك حرثك وسر إلى نزوى وأقم بها الحق ... ثم سار إلى نزوى وهى فى أيدى الجبابرة وقد ملأوها جوراً وظلماً . فلما وصل إلى نزوى وجد

---

(١) السالمى ، المصدر نفسه .

(٢) ارقيشى ، شرح مصباح الظلام ، ١٣٢ . السالمى التحفه ، ١ : ١١٤

(٣) البسيوى . الحجه على من أبطل السؤال ورقه ٢٢ . كشف الغمة ٣٣ م .

(٤) البسيوى . المصدر نفسه ، ورقة ١١ . السالمى التحفة ، ١ : ١١٥

(٥) البسيوى . الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ١١ يقول البسيوى فى ذلك « وكذلك وجدنا المسلمين عليه وعلى الأئمة الذين من بعده الذين قاموا بالدولة منهم وارث بن كعب قدموه على الإمامة للإمامة وقام بالحق وانكر المنكر وفارق أهله وأظهر الحق وأجمعوا على إمامته وولايته » .

خبازاً يخبز ، وجندياً .... والخباز يستغيث بالله وبالمسلمين منه ، فلما رآه على ذلك زجره ثلاثا فلم ينته ، فقتله فمضى مسرعاً إلى مسجد قريباً من شاطىء الوادى - والآن يسمى بمسجد النصر - فأسرعت إليه الرجال لتقتله ، فلما وصلوا قريباً منه رأوا المسجد قد غص من الرجال المقاتلة ، فلم يصلوه ، قالوا فلذلك اختاره المسلمون عليهم إماماً[1] .

ويمكن رفض هذه الرواية للأسباب التالية :

١ — أن الرواية يغلب عليها طابع الرؤيا والتنبؤ الاسطورى وهى مما يشيع على ألسنة الناس فى المستوى الشعبى للتغنى بكرامات الأئمة الاباضية ومثل هذه الروايات لا يمكن للمؤرخ الاعتماد عليها لتأكيد حقيقة تاريخية .

٢ — اعتاد السالمى أن يوثق رواياته بذكر المصادر التى اعتمد عليها ، ولكن روايته هذه بدون سند ومصدره فى ذلك « ماذكره بعضهم »[2] . مما يدل على أن هذه الرواية رواية شفوية تناقلتها العامة من الناس .

٣ — لم يكن الوارث من الشخصيات المرشحة للإمامة ، وقد اتجهت الأنظار لشخصيات ثلاث بعد التغلب على آل الجلندى ، وهم محمد بن المعلى الكندى ، ومحمد بن عبد الله بن أبى عفان وموسى بن أبى جابر الازكوى[3]

٤ — أنها تخالف منطق الاحداث التى تكلمنا عنها ولا تقيم دوراً للجهود الجماعية التى بذلها الدعاة الاباضية وقادتهم ، ثم أنه لا يمكن أن تتم بيعة بدون هؤلاء القادة كما ذكرنا فى بيعة الوارث بن كعب نفسه .

---

(١) السالمى . التحفة ١ : ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) م . ن ، ١١٥

(٣) انظر كشف الغمة ، ورقة ٣٣٠ ا . السالمى ، التحفة ١ : ١١٠ ، ١١١

السياسة الداخلية فى عهد الوارث بن كعب الخروصى :

يعتبر عهد هذا الإمام من أبهى عهود الإمامة إذا ساد الاستقرار فى عمان ولم يحدث مايعكر صفو الأمن فى جميع أنحاء الإمامة ، كما امتدحه المؤرخون لحسن سيرته يقول الأزكوى « فوطىء الوارث أثر السلف الصالح من المسلمين وسار بالحق وأظهر دعوة المسلمين وعز الحق وأهله وخمد الكفر ودفع الله الجبابرة »[١] . ويستشق من هذا النص استقرار الأحوال الداخلية ، لأن مصطلح الجبابرة ذو معنى إدارى وسياسى اختصت به الفرقة الأباضية دون غيرها من الفرق الإسلامية ويعنى به استيلاء أمراء القبائل على بعض قصبات عمان مناهضين الإمامة الأباضية فى حالة ظهورها ، أو مساندين للخلافة العباسية فى حالة زوال الإمامة . فكل من لم يحكم وفقا لتعاليم الإسلام كما يقره المذهب الأباضى فهو من الجبابرة[٢] حتى ولو كان هذا الحاكم أباضيا[٣] . فالأزكوى أراد بنصه السابق سيادة تعاليم الدعوة الأباضية من جهة وعدم الخروج فى إمامة الوارث بن كعب الخروصى . وقد ذكرنا سابقاً معالجته لمشاكل القبائل وإبعاده لسعيد بن زياد البكرى إلى البحرين .

وقد كانت السنوات التى قضاها الوارث بن كعب الخروصى فى الإمامة والتى استمرت اثنى عشرة سنة وستة أشهر[٤] . ذات أثر كبير فى استقرار

---

(١) كشف الغمة ، ورقة ٣٣٠ ا .

(٢) انظر استعمال هذا المصطلح من قبل الأزكوى ، من كشف الغمة ورقة ، ٣٢٩ ب

(٣) أنظر السالمى التحفة ا : ١١٢ « قال وائل أن ابن أبى عفان ليس إمام بل ذلك جبار » .

(٤) كشف الغمة ، ورقة ٣٣٠ ب .

عمان واستمرار الإمامة فيها إذ خمدت الأحقاد القبلية ، وأصبحت الدعوة الأباضية العامل الحاسم فى السياسة الداخلية ، وتشير رواية السالمى الى كفاءته الإدارية وعدله حيث لم يكن يؤثر قريب فى حكمه ، فعندما أوقف أموالا لكى تنفق على أهل هجار وستال وما زاد منه يوزع على المناطق المجاورة وقد منع بنى أخيه من هذا الوقف لتخلفهم عن نصرة الدعوة الأباضية[1]. ومن عدل هذا الإمام ومروءته والتزامه بنصوص الشريعة أنه جاز لإنقاذ السجناء فى أحد أودية عمان بعد تعرض هذا الوادى لسيل جارف واعتبر نفسه مسؤولا عن إنقاذهم[2] . وقد لاقى حتفه معهم غرقا فى هذا الوادى[3] حين هم فى إنقاذهم .

العلاقة بين الإمامة الأباضية والخلافة العباسية فى هذه الفترة :

استطاع الأباضية أن يقيموا دولتهم فى عمان فى أوج ازدهار الدولة العباسية فى خلافة هارون الرشيد (١٧٠) هـ / ٧٨٦ م ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م) فى سنة ١٧٧ هـ وقد ساعدهم على نجاح الحركة بعد عمان عن حاضرة الخلافة ووعورة الطريق البرى الذاهب إلى عمان المحاذى للضفة الغربية للخليج العربى وقلة القبائل الحليفة للعباسيين فى هذا الإقليم ولهذا كان من الصعوبة بمكان على السلطة المركزية أن تنجد حلفاءها بسرعة فساعدت هذه العوامل الدعوة الأباضية على توطيد وترسيخ كيانها السياسى قبل أن يتمكن العباسيون من مهاجمتهم . ويبدو أن الحملة العباسية التى أعدها الرشيد قد وصلت متأخرة إلى

(١) السالمى التحفة ا : ١١٦ .

(٢) كشف الغمة ، ورقة ٣٣٠ ب . السالمى ، التحفة ا : ١٢٠ .

(٣) الجيطالى ، شرح قواعد الإسلام ورقة ١٦ ب :

عمان وفى غير أوانها ، ومن الصعوبة بمكان تحديد تاريخ لهذه الحملة إلا أنه يفهم من رواية السالمى أن إرسال هـذه الحملة فى أواخر خـلافة الرشيد[١] ولتحديد تاريخ هذه الحملة يمكن القول أنها توجهت إلى عمان بعد عام ١٧٩هـ/ ٧٩٣ وقبل عام ١٩٣/٨٠٨ وهو العام الذى توفى فيه هارون الرشيد[٢] .

ولأهمية هـذه الحملة فقد أعطى هارون الرشيـد قيادتها لأحد أقربائه المقربين ، الذى اختلف المؤرخون فى شخصيته فالأزكوى والسالمى يذكران بأن قائد هذه الحملة هو عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور[٣] . بينما ذكر ابن حبيب والبلاذرى أن قائد الحملة على عمان كان عيسى بن جعفر بن سليمان ابن على بن عبد الله بن العباس[٤] . ونرجح رواية ابن حبيب والبلاذرى ، لأن عيسى بن جعفر الذى عناه الأزكوى توفى فى طريق جرجان مستقبلا لهارون الرشيد عند توجهه إلى هذه المنطقة فى سنة ١٩٢هـ[٥] . وقد بكى الرشيد عيسى بن جعفر أخى زبيدة لحبه الشديد له[٦] .

تألفت الحملة العباسية المتوجهة إلى عمان من ألف فارس وخمسة آلاف

---

(١) كشف الغمة ٢٣٠ ب . السالمى التحفة ، ١ : ١١٩ .

(٢) اليعقوبى ، التاريخ ، ٣ : ١٦٦ . المسعودى ، مروج الذهب ٣ : ٣٣٦ .

(٣) كشف الغمة ، ٢٣٠ ا . السالمى المصدر السابق ، ا : ١١٨

(٤) ابن حبيب أبو جعفر محمد بن حبيب ، المحبر ، (حيدر آباد ، ١٩٤٢) ص ٤٨٨ . البلاذرى ، فتوح البلدان (القاهرة ، ١٩٥٦) ا ص ٩٣

(٥) اليعقوبى ، التاريخ ، ٣ : ١٦٦

(٦) د . الجومرد ، عبد الجبار ، هارون الرشيد ، ٢ : ٥٥٦ .

راجل[1] ويعنى هذا أن الحملة بحرية إذ يستحيل على الخمسة آلاف راجل قطع الطريق الصحراوية الشاقة من البصرة إلى عمان بمحاذاة الضفة الغربية للخليج العربى .

وينعى ابن حبيب والبلاذرى على أهل البصرة الذين ألفوا جند الحملة العباسية سوء أخلاقهم كمحاربين وإثارتهم لأهل عمان الذين وقفوا يترصدونهم على سواحل عمان الشمالية والشرقية يقول ابن حبيب « فخرج بأهل البصرة فجعلوا يفجرون بالنساء فى طريقهم ويسلبونهم فبلغ أهل عمان ذلك فحاربوا عيسى ومنعوه من دخول بلدهم فظفروا به وصلبوه وامتنعوا على السلطات فلم يعطوا طاعة[2] » إلا أن رواية البلاذرى أكثر دقة وتمييزاً لاتجاه عمان السياسى كما أن البلاذرى لايجعل الفساد وحدة سبباً لصمود أهل عمان بوجه الحملة العباسية يقول البلاذرى : « فولاها عيسى بن جعفر بن سليمان بن على ابن عبد الله بن العباس ، فخرج إليها بأهل البصرة ، فجعلوا يفجرون بالنساء ويسلبونهم ويظهرون المعازف ، فبلغ ذلك أهل عمان وجعلهم شراة[3] . فحاربوه ومنعوه من دخولها ، ثم قدروا عليه فقتلوه وصلبوه ، وامتنعوا على السلطات فلم يعطوه طاعة وولوا أمرهم رجلا منهم »[4] . ويظهر من نص

---

(١) السالمى ، التحفة ١ ، ١١٨ .

(٢) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٤٨٨

(٣) الشراة : من أسماء الخوارج ، وسموا شراة لأنهم باعوا أنفسهم من الله ، واشتق هذا الاسم من الآية القرآنية « ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله » الجيطالى ، شرح قواعد الإسلام ورقة ١٦ ب .

(٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ق١ ، ص٣ .

البلاذري المذكور أن الدافع الأساسي لهذه الحملة للقضاء على الكيان السياسي للشراة الأباضية بعمان الذين يكونون أكثر أهل عمان .

ويظهر أن بعض آل المهلب المشهورين قد وقف إلى جانب الأباضية ، وذلك بحكم الرابطة القبلية المتينة فقد كتب « داود بن يزيد المهلبي إلى الإمام وارث بن كعب يخبره أن عيسى وصل بعسكره[1] » وتشير رواية أخرى أن داود بن يزيد المهلبي كتب إلى والي صحار مقارش بن محمد اليحمدي يخبره بدخول الأرض العمانية[2] . وهذا بدوره كتب إلى الإمام وارث بن كعب الذي يقيم في مقر الإمامة بمدينة نزوى بوصول الحملة العباسية فأمر مقارش ابن محمد اليحمدي على ثلاثة آلاف رجل[3] فالتقوا (بحتى)[4] الواقعة إلى الشمال من صحار في شرق عمان ومعنى ذلك أن الحملة العباسية كانت قد توغلت كثيراً في الساحل العماني من منطقة جلفار حتى وصولها إلى منطقة (حتى) وفي هذه المعركة انهزم عيسى بن جعفر إلى مراكبه الراسية على الساحل العماني فسارت إليه حملة بحرية مكونة من ثلاثمائة مركب قادها أبو حميد بن فلح الحداني السلوتي يعاونه عمرو بن عمر واستطاع هؤلاء القادة من أسر عيسى بن جعفر ابن سليمان الهاشمي وأخذوه إلى صحار[5] . وأخبروا الإمام وارث بن كعب

---

(١) كشف الغمة ، ورقة ٢٣٠ ا .

(٢) كشف الغمة ورقة ٢٣٠ ا .

(٣) السالمي ، التحفة ا : ١١٨ . وفي كشف الغمة فارس محمد بدل مقارش ابن محمد .

(٤) انظر خارطة عمان .

(٥) كشف الغمة - ورقة ٢٣٠ ا . - السالمي المصدر السابق .

والحدان بطن من الأزد القاطنين بعمان . انظر ابن حبيب : مختلف القبائل ومؤتلفها نشره فردينا ند فستفلد (غوتا) ، ١٨٥٠ ، ص ٣

الذى توجه على رأس جيش من نزوى لمواجهة الحملة بأسرهم لعيسى بن جعفر واعتقاله بمدينة صحار[١] . فرجع وارث بن كعب إلى مدينة نزوى بعد أن قضى ولاته على خطر الحملة العباسية[٢] وتعد هذه الهزيمة أول انتكاسة بحرية للخلافة العباسية فى عمان وكان من نتائجها ترسيخ جذور الإمامة الأباضية فى عمان ولم تجرأ الخلافة العباسية منازل الأباضية بعد هذه الهزيمة المنكرة بعد إدراكها لقوة الإمامة الأباضية حتى عام ٢٨٠هـ إذ استطاع محمد بن بور عامل البحرين من افتتاحها[٣] بسبب الانقسام الداخلى الذى أدى إلى زوال الإمامة لفترة محدودة من عمان[٤] .

أما فيما يتعلق بمصير عيسى بن جعفر بن سليمان فقد قام الإمام وارث ابن كعب خطيباً ، فقال : ياأيها الناس ، إنى قاتل عيسى بن جعفر فمن كان معه قول فليقل[٥] ، ولعله بأسلوبه هذا أراد أن يحمل جميع الأباضية مسئولية قراره هذا . فقام أحد فقهاء الأباضية وهو على بن عزرة ، فقال له : إن قتلته وإن تركته فكله واسع لك[٦] ، فارتأى الإمام وارث بن كعب تركه سجينا ؟ ولا شك أن هذا الموقف الحكيم من الإمام الأباضى سوف لايعرض عمان لغزو عباسى جديد إنتقاماً لعيسى بن جعفر الذى يرتبط برابطة العمومة

---

(١) السالمى ، المصدر نفسه .

(٢) السالمى التحفة ١ : ١١٨ .

(٣) الطبرى ـ الرسل والملوك ، ١٠ : ٣٣ .

(٤) العوتبى — الأنساب ، ورقة ١٧٠ أ .

(٥) السالمى ـ المصدر السابق .

(٦) كشف الغمة ـ ورقة ٢٣٠ أ .

بالخليفة هارون الرشيد إلا أن مجموعة من الأباضية المتطرفين[1] « انطلقوا من حيث لا يعلم الإمام حتى أتو صحار ، فتسوروا السجن وقتلوا عيسى من حيث لا يعلم الوالى ولا الإمام وانصرفوا من ليلتهم[2] » وقد تقدم فى هذه العملية يحيى بن عبد العزيز أحد رجالات الأباضية البارزين بعمان[3] «وبلغنا أن يحيى بن عبد العزيز كان من أفاضل المسلمين[4] » وبهذه النزعة فى سلوك بعض أفراد الأباضية تمثل النزعة الخارجية بصورة عامة فى حرية التصرف والاجتهاد فى اتخاذ المواقف كما أنها تمثل ضعف الإيمان بالسلطة المركزية ، وتضع الإمام الأباضى فى موقف حرج بسبب تصرفات فردية بدون علم الإمام كقتل يحيى بن عبد العزيز لعيسى بن جعفر دون التفكير بعواقب الأمور ، يقول الأزكوى : « فلما قتل عيسى بن جعفر عزم هارون على انفاذ جيش لهم إلى عمان فارتاعوا مدة ثم أنه مات قبل ذلك وكفاهم الله شره[5] » وكانت لوفاة هارون الرشيد وما أعقبها من صراع على ولاية العهد متنفساً للإمامة الأباضية لتثبيت كيانها حيث اشتعل أوار الصراع بين الأمين والمأمون[6] . مما جعل الخلافة العباسية فى شغل شاغل عن عمان فأنساهم الانتقام لابن عمهم وإرجاع عمان لحضيرة الخلافة العباسية .

---

(١) من الأفضل أن يكون التعبير بالمتشددين بدلا من المتطرفين ، لأن التطرف كلمة أطلقها المستشرقون على المتمسكين بالإسلام بشدة وحماس فينبغى عدم تقليدهم وعدم مجاراتهم .

(٢) كشف الغمة ـ ورقة ٣٣٠ أ . السالمى ، التحفة ، ١ : ١١٩ .

(٣) كشف الغمة ـ ورقة ٣٣٠ أ .

(٤) المصدر نفسه ـ السالمى ، المصدر السابق .

(٥) كشف الغمة ـ ورقة ٣٣٠ أ ، ٣٣٠ ب ـ السالمى المصدر السابق ، ١١٩ .

(٦) اليعقوبى ، التاريخ ٣٠ : ١٧٢ فما بعد . ـ المسعودى مروج الذهب ، ٣٠ : ٣٨٩ فما بعد .

إن الرواية الأباضية عن قتل عيسى بن جعفر تخالف مضمون رواية ابن حبيب الذى عد عيسى بن جعفر فى عداد المصلوبين فى الإسلام يقول ابن حبيب « فحاربوا عيسى ومنعوه من دخول بلدهم فظفروا به وصلبوه وامتنعوا على السلطات فلم يعطوا طاعة[١] » . ويتفق البلاذرى مع ابن حبيب فى روايته فى صلب أهل عمان لعيسى بن جعفر[٢] . وقد برر أبو محمد الفضل الحوارى من علماء الاباضية بعمان فى القرن الرابع الهجرى عملية اغتيال عيسى بن جعفر دون إذن الإمام بقوله : « .. وللمسلمين أن يقتلوا من قتلهم كيفما قدروا عليه فى غيلة أو غير غيلة ، قال وفى ذلك آثار المسلمين قائمة معروفة[٣] » .

وفاة الامام الوارث :

يشير الأزكوى أن السبب فى وفاته ، هو غرقه فى أحد أودية نزوى بسبب السيول الجارفة التى داهمت السجن الواقع فى وادى (٤) كلبوة وغرق معه سبعون رجلا من الأباضية فى هذا الوادى فى اليوم الثالث من جمادى سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧م (٥) ويقول أطفيش : أن المحبوسين كانوا أسارى[٦] ولعلهم من أسرى الحملة العباسية التى قضى عليها العمانيون .

---

(١) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٤٨٨ .

(٢) البلاذرى - الفتوح ، ق ١ ص ٩٣ .

(٣) السالمى ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(٤) كشف الغمة ٣٣٠ب ، السالمى المصدر السابق / ١٢٠ .

(٥) السالمى المصدر نفسه ، ١٢١ - العقود الفضية فى أصول الأباضية ٢٥٤ .

(٦) أطفيش - أبو إسحق إبراهيم ، تعليقه بهامش تحفة الأعيان للسالمى ١ / ١٢٠ .

ودفن الوارث بين العقر وسعال وقبره معروف مشهور[١] وهو ذو شعبية كبيرة .

ويمكن القول أن عصر الوارث بن كعب يعد من أزهى عهود الامامة الأباضية بعمان وقد مهد للأئمة الذين خلفوه فى حكم الإمامة كياناً مستقراً مكنهم من الاستمرار فى حكم عمان حتى سنة ٢٨٠ هـ .

---

(١) كشف الغمة - ٣٣٠ ب ، السالمى ، التحفة ١ / ١٢٠ .
ولحب الأباضية الشديد له حدث شجار بين أهل العقر وسعال من أحياء نزوى - كل يريد أن يدفن موتاه بجنب قبره ، السالمى ، التحفة ١/١٢٠ .

الفصل الخامس

الإمامة الأباضية الثانية بعمان

أولا ــ عصر القوة والازدهار

١٧٧ هـ - ٢٣٧ هـ

أمامة غسان بن عبد الله الفححى

اجتمع علماء الأباضية فى منطقة فلج ضوت بعد وفاة الوارث بن كعب ، وكان من أبرز المجتمعين سليمان بن عثمان وسعدة بن تميم وقد أراد سليمان بن عثمان أن يكتب إلى الشرق والسر[1] للنظر فى انتخاب إمام جديد[2] ولما كانت منطقة الشرق بعمان تثير المتاعب للإمامة الأباضية لاستيطانها من قبل بنى هناة وقبائل مهرة إذ أنها بقيت لفترة طويلة البؤرة التى تنطلق منها الاضطرابات القبلية (٣) . فلم يوافق سعدة بن تميم على رأى سليمان بن عثمان وقال له سعدة بن تميم « أتريد ياأبا عثمان أن تجتمع الناس فيختلفون علينا ولكن اقطع الأمر » (٤) . ويشير السالمى إلى أنه حذر سليمان بن عثمان من التباطؤ فى اختيار إمام جديد للإمامة تجنباً للفرقة التى قد يحدثها غوغاء الناس (٥) . فوقع اختيارهم على غسان بن عبد الله الفححى اليحمدى الأزدى

---

(١) تقع السر . إلى الشمال الغربى من مدينة نزوى فى منطقة الظاهرة وخصص قرى العينين والعراق والغبى البائد بأسق أرض السر » انظر السعدى ، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق ص ١٩٥ . العبرى ، الملحق الجغرافى ص ٣ . بكتاب العقود الفضية فى أصول الأباضية . وذكر المقدسى منطقة السر فقال عنها : « أصغر من نزوة ، والجامع فى السوق ، شربهم من أنهار وآبار ، وقد التفت بها النخيل » المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٣ .

(٢) الرقيشى « مصباح الظلام ، ورقة ٢٥ب . ـ السالمى التحفة ١/١٢٢ .

(٣) أبو المؤثر الأحداث والصفات ورقة ١٧ .

(٤) مصباح الظلام ورقة ٢٥ب .

(١) السالمى ـ التحفة ١/ ١٢٢ .

لتولى الإمامة فى الرابع من شهر جمادى الأولى سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٧ م (١) .
ولا نعرف السبب فى تفضيله على غيره لتولى منصب الإمامة إذ لاتشير المصادر الأباضية إلى أى نشاط قام به فى خدمة الدعوة الأباضية قبل توليه الإمامة (٢) . ويحتمل أن اختياره للإمامة لقوة شخصيته وكفاءته كما ظهر من خلال حكمه لعمان إذ سار بالإمامة الأباضية سيرة مرضية فأشاد به المؤرخون ، يقول الأزكوى (فوطىء أثر المسلمين وعز الإسلام وأهله وخمد الكفر (٣)) .

المعارضة الداخلية فى عهد غسان الفحصى :

ذكرنا أن الإمام وارث بن كعب الخروصى أرسى قواعد الاستقرار ونعمت عمان فى حكمه باستقرار سياسى إذ استطاع إخماد المعارضة الداخلية للإمامة الأباضية ، ولكن هذه القوى مالبثت أن ظهرت من جديد متمثلة بالمعارضة التقليدية لبعض آل الجلندى وبنى هناة (٤) . يقول الأزكوى (وفى زمنه غسان - قتل الصقر بن محمد بن زائدة وكان ممن قد بايع المسلمين على راشد بن النظر الجلندانى وأعانهم بالمال والسلاح (٥)) ومعنى ذلك أن

---

(١) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ٢٥ ب . السالمى المصدر السابق . العقود الفضية فى أصول الأباضية ص ٢٥٤ .

(٢) انظر ، سيرة أبى الحسن البسيوى ، كشف الغمة ، تحفة الاعيان ١/١٢٣ فما بعد .

(٣) كشف الغمة ، ٢٣٠ ب .

(٤) العوتبى ، ١٧٠ أ . كشف الغمة ٢٣٠ب .

(٥) كشف الغمة ٢٣٠ب . السالمى ، التحفة ١/١٢٣ ، تقارب روايته ماجاء فى كشف الغمة بالمعنى لا بالنص :

الصقر بن محمد بن زائدة ساعد الحركة الأباضية التى أزالت آل الجلندى عن حكم عمان فى سنة ١٧٧ هـ .

ولا نتفق مع السالمى فى إشارته إلى أوضاع بنى الجلندى السياسية بعد انتقال السلطة منهم إلى الاباضية سنة ١٧٧ هـ حينما يقول (وبذلك انقضت دولة بنى الجلندى وانتقلت الدولة إلى اليحمد ، فلم يكن لبنى الجلندى بعدها دولة أصلا ، ولم تكن لهم حركة إلا ما كان منهم بتوام فى أيام المهنا (١)) والحال أنهم لم تكن لهم دولة تذكر الا أن مشاركتهم لبنى هناة دليل على استمرار حركتهم وتواطئهم ومناوئتهم للإمامة الأباضية فى إمامة غسان بن عبد الله الفجحى .

ويشير العوتبى إلى خروج بنى هناة (ومنهم راشد بن شاذان بن غسان ابن سعيد بن شجاع الهنائى من بنى محارب وهو الذى سار إلى دما (٢) وأنهبها وقتل واليها وقومه وكان ذلك فى ولاية الإمام غسان بن عبد الله الفجحى ، فوجه غسان فى طلبه ومن كان معه من محاربى بنى هناة فلم يلحقوا (٣))

---

(١) السالمى . المصدر السابق ١ / ١٠٨ . امتدت إمامة المهنا بن جيفر (من (من سنة ٢٢٦هـ / ٨٤١ م ٢٣٧هـ / ٨٥١م) .

(٢) العوتبى . ١٦٩ب ، ١٧٠ا .

(٣) دما : المعروفة اليوم ببلد السيب الواقعة فى منطقة الباطنة المطلة على خليج عمان . السعدى ، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق ١٩٥ .

يقول العبرى « وكانت بلد السيب العامرة تسمى دمى بوزن جمع دمية وهذا الاسم يطلق على موضع معروف بها الآن ... وقد أول بعضهم تسميتها لكثرة ما كان يراق بها من الدماء أيام كانت فارس والعراق والهند بالبوارج تعدوا =

بهم ويحدد لنا الأزكوى المنطقة التى انبعثت منها هذه الحركة القبلية كما يوضح السبب الذى أدى إلى قتل بعض آل الجلندى حيث يقول : (أنه خرج على المسلمين رجل من أهل الشرق ومعه بنو هناة وغيرهم باغيا على المسلمين فألقى إلى المسلمين أن أخ الصقر مع البغاة فذكروا للصقر ، فقال من تقول هذا أن أخى معى فى الدار مريض تحقق أن أخا الصقر معهم فاتهموه بالمداهنة لما ستر عن أمر أخيه[١]) .

ويتضح من هذا النص مداهنة الصقر بن محمد بن زائدة الجلندانى وأخيه أبى راشد بن محمد للخارجين على الإمامة فى عام ٢٠٧ هـ [٢] . وقد اتخذوا هذا الموقف بعد ضعفهم الشديد الذى جاء نتيجة لانحدارهم وتشتيت قرارهم على يد الدعاة الأباضية عام ١٧٧ هـ فأمر الامام غسان بن عبد الله والى منطقة سمايل بإحضار الصقر بن محمد الجلندانى إلى مقر الإمامة بنزوى (فمضى الوالى بالصقر مع الشراة خوفا عليه منهم أن يبطشوا به[٣]) وبعث الامام الأباضى سرية أخرى برفقة الفقيه الأباضى موسى بن على[٤] لحماية الصقر

= على عمان ، وقد كانت يومئذ موضع رباط أهل عمان اتجاه من يقابلهم من جهة البحر بالعدوان حتى قال بعض علماء ذلك العصر : أفضل الرباط اليوم رباط المسلمين أو رباط العدو بدمى .

(١) كشف الغمة - ورقة ٢٣١ ا . السالمى ، التحفة ١/١٢٤ .

(٢) السالمى . المصدر السابق ١/١٢٢ .

(٣) كشف الغمة . ورقة ٢٣١ ا .

(٤) موسى بن على : يقول الرقيشى « هو إمام أهل عمان وقدوتهم فى الدين وعالمهم وجدت أنه مات يوم الأحد لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين ومائتى سنة وكان عمره فيما يوجد فى التاريخ بخط الشيخ أبى سعيد ثلاثين سنة ... » الرقيشى ، مصباح الظلام ورقة ٣١ ا .

ابن محمد الجلنداني فالتقوا بمنطقة نجد السحامات وفى مسيرهم هذا اعترضهم بعض الشراة فقتلوا الصقر بن محمد (١) . ويبدو أنهم حملوه مسئولية هذه الخارجة فكانوا فى حالة شديدة من الغضب ويشير الأزكوى إلى ذلك بقوله (فلم تكن لأبى الوضاح ولا لموسى بن على القدرة على منعهم من قتله . . . (٢) ويظهر أن الاوامر كانت تقضى بقتله سراً بإيعاز من غسان بن عبدالله الفجحى ويشير الأزكوى إلى ذلك بقوله : (ولم يبلغنا عن الإمام غسان إنكار على من قتله (٣)) . ويظهر من هذا النص مايؤيد موافقة الإمام غسان على قتله وهناك احتمال ثان وهو أنهم قتلوه بدون أوامر من الإمام غسان بن عبدالله كما قتلوا عيسى بن جعفر بن سليمان فى إمامة الوارث بن كعب الخروصى (٤)

ولكن لماذا لم يعاقب الإمام الأباضى زعيم بنى هناة راشد بن شاذان ابن غسان الهنائى ؟ ولماذا لاينتقم الشراة من هذا الرئيس القبلى الذى أوقع الخراب والدمار بمدينة دما وقتل والى الإمامة الأباضية فيها(٥) وهنا نلاحظ سكوت المصادر الأباضية . وفى الوقت الذى أوضح فيه السالمى تفسير لسكوت الإمام غسان بن عبد الله عن قتلة الصقر بن محمد بقوله (أما أن يكون قد صح أن صقر مع الشراة بايع عليه واستوجب بذلك القتل فأسر

---

(١) كشف الغمة . ورقة ١٣٣١ ، السالمى ، التحفة ١/ ١٢٤ .

(٢) كشف الغمة ورقة ١٣٣١ . السالمى ، التحفة ٢/ ١٢٤ .

(٣) كشف الغمة ورقة ١٣٣١ .

(٤) كشف الغمة ورقة ١٣٣٠ .

(٥) العوتبى . ورقة ١٧٠ .

إلى بعض الشراة أن يقتله ولم يتشهر هو بقتله كى لا تكون عصبية[1])
ويرى السالمى أن موقفه هذا يمثل تعميقا لمفهوم العصبية القبلية .

يقول العوتبى (فوجه غسان فى طلبه ومن كان معهم من محاربى من بنى
هناة فلم يلحقوا ، ثم أن راشد بن شاذان طرح نفسه فى المرستاق[2] على الفجح
من اليحمد ، فأخذوا له أمان من غسان ولأصحابه[3]) .

ونلاحظ هنا أن الوشائج أو الروابط القبلية هى التى أعفت راشد بن
شاذان من قتله والى الإمامة الاباضية فى دما لاستغاثته بعشيرة الفجح وهى
القبيلة التى ينتمى لها الإمام الأباضى غسان بن عبد الله الفجحى . فى حين
قتلوا الصقر بن محمد لأنه كتم أمر أخيه الذى اشترك مع بنى هناة فى غاراتهم
على مدينة دما[4] .

من هذا الاستعراض للتكتلات القبلية وقوى المعارضة فى هذه الحقبة
من تاريخ عمان يمكن القول أن آل الجلندى لم يعد لهم مكان الصدارة فى
الكيان الجديد ، كما أنهم أصبحوا مختلفى الولاء ، فبعضهم اعتنق الدعوة
الأباضية كالجلندى بن مسعود فأصبح إماماً لعمان أو مناوئا للدعوة الأباضية
وواليا للسلطة العباسية ، كراشد بن النظر وأخيه محمد بن زائدة الذين حكما
أغلب أجزاء عمان فى الفترة الممتدة بين سنة ١٣٤ هـ — ١٧٧ هـ / ٧٥١ -
٧٩٣ م .

---

(١) السالمى ، التحفة ١٢٤/١ .

(٢) تقع مدينة المستاق فى الجبل الأخضر من الناحية المطلة على سهل
الباطنة . د . السعدى ، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق ، ص ١٩١

(٣) العوتبى ١٧٠ ا . السالمى التحفة ، ١٢٥/١ :

(٤) كشف الغمة ٣٢١ .

أن انقسام المجتمع القبلي العماني ومنه آل الجلندى يعتبر أمراً طبيعياً يتعرض له عادة المجتمعات إذ ماوجهت بدعوة فكرية كالدعوة الاباضية التي حمل أفكارها مجموعة من الفقهاء والعلماء عرفوا (بحملة العلم) الذين كانوا ينتمون لفروع شتى من القبائل الأزدية وغيرها . لهذا وقف منها آل الجلندى مواقف مختلفة مابين معتنق لها ورافض محارب لأفكارها .

العلاقة الخارجية للإمامة الأباضية في عهد غسان :

كانت السواحل العمانية موطنا ومقصد للقراصنة لطول سواحلها التي تمتد على مسافة تزيد على ١٦٠٠ كم[١] الواقعة على أهم الطرق التجارية آنذاك وهو طريق الخليج العربي والطرق المتفرعة عنه إلى شرق أفريقيا وسواحل جنوب وشرق آسيا[٢] . جعلت هذه السواحل عرضة لقراصنة البحار ، وكان الفترة المضطربة التي عاشتها عمان ، حتى مجيء الإمامة الأباضية عام ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م تحتاج إلى شيء من الاستقرار ، وتوطيد الأمن لكي تتطلع الامامة لبناء قواها الحربية ، وخاصة أسطولها البحري وقد ساعدت فترة الاستقرار التي شهدتها الإمامة ، في عهد الإمام وارث بن كعب الخروصي[٣] . وكان لخلفه الإمام غسان بن عبد الله الفححي دور كبير

---

(١) د . السعدى . مجلة رسالة الإسلام ، العدد السابق ص ١٨٧ .

(٢) د . عمر فاروق ، ببلوغرافيا بتاريخ عمان ، مجلة المورد ، م٣ ع٤ (بغداد ١٩٧٤) ص ٢٧٥ .

د . مؤنس ، حسين ، عالم الإسلام ، (القاهرة ، ١٩٧٣) ص ٧٦ .

(٣) انظر البحث المتعلق بأمانة الوارث بن كعب الخروصي في الرسالة ص ١

فى بناء اسطول بحرى لتوطيد أمن السواحل ، فقد قام الإمام غسان بن عبدالله بانشاء نوع من السفن الجديدة لطرد القراصنة ويظهر من نص الأزكوى أنه أول من اتخذ هذه السفن لهذا الغرض المذكور) وكانت فى زمنه البوارج تقع على عمان وتفسد فى سواحلها فاتخذ غسان لها هذه الشذاوة لغزوهم وهو أول من اتخذها وغزا فيها انقطعت البوارج عن عمان)[١] . ويؤكد الرقيشى أن الإمام غسان بن عبدالله هو أول من بنى هذه السفن فى عمان بقوله (فاتخذ غسان بن عبدالله هذه الشذاوة لغزوهم وهو أول من اتخذها فى عمان فانقطعت البوارج عن شطوظ عمان)[٢] .

وفى رواية للسالمى يشير فيها إلى مصدر هذه البوارج فيذكر بأنها تعود لكفرة الهند الذين يقومون بعمليات السلب والنهب فى اطراف عمان ويتجهون ربما لبيع بضائعهم فى منطقة فارس والعراق ، يقول السالمى (فكانوا فيما بلغنا يسيرون بناحية دبا[٣] وجلفار واتخذ غسان الشذاوة للغزو وهو أول من اتخذها بعمان وغزا فيها البوارج من هذه الشطوط وأمن الله الناس من البوارج بهذه الشذاوات وبالغرف)[٤] ويتضح لنا من خلال هذه النصوص أن عمان شهدت تصيير جديد فى تركيب أسطولها البحرى بادخال

---

(١) كشف الغمة، ٣٣٠ ب .

(٢) الرقيشى . مصباح الظلام ، ٢٥ ب .

(٣) تقع مدينة دبا فى المنطقة الشمالية المطلة على خليج عمان واشتهرت بكونها مرفأ نشطا قبل الإسلام فقد كان الجلندى ابن المستكبر يعشر أهلها ، ابن حبيب ، المحبر ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ . ويشير ياقوت بأن دبا كانت قصبة عمان . ياقوت، معجم البلدان ٥٤٣/٢ .

(٤) السالمى . التحفة ، ١٢٣/١ .

نوع جديد من السفن السريعة المسماة بالشذارة والغرق بحيث استطاعت أن تطهر السواحل العمانية[1] وتجعلها فى مأمن وسلام من غزو قراصنة البحار المفاجيء ونحن لا نوافق أطفيش على قوله بأن غسان (أول من اتخذ الاسطول من أئمة عمان)[2] والواقع أن عمان عرفت الاساطيل منذ عهد يسبق إمامة غسان بن عبدالله وقد اشرنا سابقا أن الإمام وارث بن كعب الخروصى قضى على الحملة العباسية التى قادها عيسى بن جعفر بثلاثمائة مركب عمانى ، ويظهران البوارج أكثر سرعة من المراكب العمانية فكان بامكانها الفرار والإفلات من المراكب العمانية فاستبدلت كما يبدوا بالشذاءات الغرف السريعة التى قضت على مظاهر القرصنة الهندية فى الساحل العمانى[3] .

الأحوال الداخلية فى عهد الامام غسان:

أظهر الامام غسان بن عبدالله القدرة على السيطرة على عمان من الناحية الداخلية فوطد الامن وأشاع العدل ، وبلغت الإمامة الأباضية قمة ازدهارها وقوتها فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) مما حدا بالأزكوى

---

(١) الرقيشى . مصباح الظلام ، ٢٥ ب

(٢) أطفيش . أبو إسحق ، إبراهيم . تعليقه بهامش التحفة ١/١٢٣ .

(٣) مما يؤيد أن القراصنة كانوا من كفار الهند رواية السالمى التى تدعم هذا الاحتمال على الرغم من طابع التبوء فيها إلا أنها تعكس نوايا غسان بن عبدالله لحرب الهنود يقول السالمى : « فأحضر أهل الاموال وقال لهم . أنا أريد حرب الهند وبيت المال لا يكفى ، وأريد أن اجعل على التجار قرضا يكون أداؤه من بيت المال » السالمى التحفة ١/١٢٥ . العبرى الملحق الجغرافى ، ص ٢ العقود الفضية فى أصول الاباضية .

أن يصف هذه الفترة بقوله (وكانت تلك الايام صدر الدولة وقوتها وجمة العلماء) (١) .

كما ازدهرت مدينة نزوى مقر الإمامة الأباضية والمركز الادارى الرئيسى لعمان حيث يقع الإمامة (٢) فى أحد أقسام المدينة والمسمى بالعقر (٣) إذ يقوم الإمام الأباضى بادارة شئون الإمامة من أعلى مركز إدارى فيها ، وقد أقام فيه الإمام غسان بن عبدالله الفحمى (وفى زمانه سميت نزوى بيضة الإسلام)(٤) وكانوا قبل ذلك يطلقون عليها (تخت ملك العرب)(٥) ولعل اسمها الأخير يعنى أنها كانت مقر للملوك الأزديين من بنى الجلندى أو من سبقهم .

كما ازدهرت الزراعة فى عمان (وخصبت خصبا كثير وصارت خير دار)(٦) نتيجة لتوفر المياه العذبة فى هذه الفترة المزدهرة التى أمتازت بهطول الأمطار والثلوج والتى أدت إلى ظهور السيول الجارفة فى أوديتها ، وقد ذكرنا سابقا أن هذه السيول كانت السبب الذى أودى بحياة الإمام وارث

---

(١) كشف الغمة ٢٣١ أ .

(٢) بيت الإمامة : هو المقر الإدارى للإمامة الأباضية الذى يزاول فيه الامام أعماله الرسمية عند بيعته للإمامة ، وعند خلعه يجب عليه ترك بيت الامامة للإمامة الجديد وقد أصبحت رمزاً لظهور الامامة الأباضية فى عمان .

أنظر الرقيشى مصباح الظلام ورقة ١٢٨ أ كشف الغمة ٢٣٦ أ ، ٢٣٧ أ

(٣) السالمى ، التحفة / ١٢٥ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) أيضاً .

(٦) السالمى . التحفة ، ١/١٢٥ .

ابن كعب الخروصي غرقاً فى عام ١٩٢ هـ[١] . كما كان من نتيجتها اختفاء بعض الأنهار القديمة ، يقول السالمى (ومن كثرة الماء ذهب فلج ضوت القديم ولم يبق له أثر بأموال دارس)[٢] . فحدثت مشاكل زراعية نتيجة لهذه الظاهرة[٣] وعلى سبيل المثال أن فلج الخطم الذى يسقى منح قد اجتاحه السيل الذى غرق بسببه الوارث بن كعب حتى قضى عليه فأرادوا إخراج بديل له فى أراضى أهل نزوى المزروعة بالأشجار والنخيل . وقد أمر الإمام غسان بن عبدالله أهل منح بشق مجرى لهم بأرض نزوى الزراعية على أن يدفعوا مقابل ذلك تعويضا لأهل الأرض المزروعة مقابل أرضهم وزرعهم[٤].

إمامة عبد الملك بن حميد ٢٠٨/٨٢٣م-٢٢٦هـ/٨٤١م :

هو عبد الملك بن حميد العلوى من بنى على بن سودة بن عامر ماء السماء الأزدى بويع للإمامة بعد وفاة غسان بن عبدالله اليحمدى فى الثانى والعشرين من شهر شوال سنة ثمان ومائتين للهجرة[٥] .

لا تذكر المصادر الاباضية شيئاً كثيراً عن حياته الخاصة[٦] قبل الإمامه

(١) الرقيشى . مصباح الظلام ، ٢٥ب .
(٢) السالمى . التحفة ١/١٢٥
(٣) تعرف هذه الظاهرة الطبيعية بظاهرة النهر الأسود والمأسور .
(٤) المصدر السابق ١/١٢٨ .
(٥) مصباح الظلام - ١٢٦ . - كشف الغمة ٣٣١ ب . - السالمى التحفة ١ / ١٣٤ .
(٦) أنظر ، مصباح الظلام ، - كشف الغمة ، العقود الفضية فى أصول الاباضية عمان تاريخ يتكلم .

غير أن السالمى يشير إلى اشتراكه فى الحركة التى أدت إلى إعلان الدولة الاباضية فى عام ١٧٧هـ / ٧٩٣ م وكان من شباب الدعوة الداعين لازالة حكم راشد بن النظر الجلندى[١] . فماضيه إذن يدل على أنه من الشخصيات الأباضيه التى لها سبق فى الدعوة ولذلك فهى مؤهلة للإمامة وقد امتازت فترة إمامته بالاستقرار والهدوء يصفها الأزكوى فيقول (فسار سيرة الحق والعدل واتبع أثر السلف الصالح فصارت عمان يومئذ خير دار)[٢] وقد استطاع توطيد الأمن فى الداخل وخاصة فى جنوب عمان حيث تسكن قبائل المهرة[٣] المتمردة تطاردهم حتى أذعنوا وجعلوا يطلبون مودته فأشار عليه موسى بن على الذى كان أبرز أئمة الاباضية المجتهدين (أن يقبل ذلك منهم ويؤمنهم ، فأمنهم)[٤] . وقد اعتادت قبائل المهرة القيام بأعمال السلب فى فترات مختلفة من القرن الثالث الهجرى[٥] . وقد أصبحت مدينة صحار على الساحل العمانى ملتقى المذاهب الفكرية من قدرية ومرجئة وكثر المستجيبون لهذه العقائد ، وقد ساعد موقع المدينة التجارى كطبيعة أى مدينة تجارية على اختلاط مختلف الأجناس البشرية ويظهر أن هذه العقائد قد وصلت إلى صحار بواسطة التجار المسلمين ولاقت رواجاً وقبولا من قبل أهالى صحار وتوام وقد أزعجت هذه المبادىء الوافد العلماء العمانيين كهاشم بن غيلان

---

(١) السالمى - التحفة ١٣٤/١ .

(٢) كشف الغمة ، ٣٣١ب ، - السالمى التحفة ١٣٤/١ .

(٣) المهرة : - من القبائل العربية الجنوبية تقع أرضهم بين ظفار وحضرموت وكان لهم سوق فى الجاهلية فى منطقة الشحر المنسوبة إليهم أى شحر مهرة . كما أشار المسعودى إلى اتصال أرضهم بحضرموت اليعقوبى ، التاريخ ٢ : ٢٣٩ . - مروج الذهب ، ٢ : ٢١٠ .

(٤) السالمى ، التحفة ، ١ / ١٣٥ : - نقلا عن أبى المؤثر .

(٥) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ورقة ٢٠ .

الذى حرض عبد الملك بن حميد عليهم ودعاه إلى طردهم من عمان [١] . وما كتبه إليه (وأنه بلغنا أن قوما من القدرية ، والمرجئة بصحار قد أظهروا دينهم ، ودعوا الناس إليه وقد كثر المستجيبون لهم ، ثم قد صاروا بتوام وغيرها من عمان ، وقد يحق عليك أن تنكر ذلك عليهم ، فانا نخاف أن يعلو أمرهم فى سلطان المسلمين ، فأمر يزيد أو أكتب إليه أن لا يترك أهل البدع على اظهار دعوتهم [٢].

ولا تشير المصادر الإسلامية إلى حدوث صدام بين الخلافة العباسية والإمامة الأباضيه بعمان مما اتاح لعمان أن توطد استقلالها على الرغم من ضعف الإمام عبد الملك بن حميد فى آخر سنى حكمه [٣] . إلا أن الأوضاع الداخلية كانت مستقرة لتوفر مجموعة من القادة الكفويين فى دفة الحكم وكان أبرز هؤلاء القادة رئيس العلماء موسى بن على الذى قام بادارة الدولة الأباضية فى سنوات عجز عبد الملك بن حميد نتيجة الشيخوخة التى أثقلت فيه السمع والبصر [٤] ولهذا السبب رأى بعضهم عزله عن الإمامة فبقى فيها حتى وفاته [٥] سنة ٢٢٦ هـ وبهذا كانت ولايته ثمانية عشر عاماً وسبعة أشهر [٦] . نعمت فيها عمان بالهدوء والاستقرار ولعل سكوت المصادر الاباضية عن ذكر أحداث أخرى خلال فترة إمامته الطويلة خير دليل على

---

(١) السالمى ، التحفة ١٣٨/١ .
(٢) المصدر السابق ١٤٠/١ . ولعل يزيد كان واليا على صحار .
(٣) البسيوى ، الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ١٤ . ـ كشف الغمة ٢٣١ب السالمى ، التحفة ١٣٤/١ . ـ عمان تأريخ يتكلم ، ١٣٥ .
(٤) البسيوى ، المصدر السابق . ورقة ١٤ . ـ السالمى ، التحفة /١٣١٤ .
(٥) كشف الغمة ، ٢٣١ب . ـ السالمى التحفة ، ١٣٤/١ .
(٦) مصباح الظلام ، ٢٦ أ .

ذلك ، أن كان ديدن هذه المصادر ذكر الأحداث المهمة على المستويين الداخلي والخارجي لعمان[١] .

إمامة المهنا بن جيفر اليحمدى (٢٢٦ هـ / ٨٤٠ م)

ولى المهنا بن جيفر الفجحى اليحمدى الإمامة يوم الجمعة فى شهر رجب سنة ٢٢٦ للهجرة[٢] بايعه للإمامة موسى بن على الأزكوى شيخ علماء الأباضية[٣] . واتفقت كلمة الأباضية بلا خلاف على إمامته ، مما يدل على أنه كان يتمتع بتأييد قوى من قبل علماء الاباضية[٤] . وتعتبر امامته امتداداً لفترة الاستقرار النسبى والقوة بل أن عصره أمتاز بحكومة مركزية قوية ويعود الفضل فى ذلك لقوة شخصيته فقد (كان له ضبط وحزم وكان لا يتكلم أحد فى مجلسه ولا يعين خصماً على خصمه ، ولا يقوم أحد من أعوانه ما دام قاعداً حتى ينهض ولا يدخل العسكر أحد من أهل النفقة إلا بالسلاح)[٥] . وبهذه السيرة اكتسب احترام مواطنيه وغرس الهيبة

---

(١) انظر البسيوى ، الحجة على أبطل السؤال . ـ كشف الغمة إذ ذكر سرحان بن سعيد روايات مختصرة جداً أو ما يقارب العشرة أسطر ـ أبو المؤثر الأحداث الصفات .

(٢) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ٢٦ ب . كشف الغمة ٢٣١ ب ـ السالمى التحفة ١ / ١٥٠ .

(٣) السالمى ـ التحفة ١ / ١٥١ ، العقود الفضية فى أصول الأباضية ص ٢٥٥ .

(٤) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ورقة ١١ . البسيوى الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ١٣ ،

(٥) مصباح الظلام ، ٢٦ب . كشف الغمة ٢٣١ب نقل النص بتصرف ومصطلح العسكر فى النص أعلاه يظهر المراد منه معسكر الجنود الذين تدفع =

فى نفوسهم له وكان مدركاً لطبيعة مواطنية وحبهم لتغير وجوه الحكام فعندما كبر فى عمره أقترح جماعة من الأباضية على موسى بن على عزله وكلفوا بذلك موسى بن على ليعرض الأمر على المهنا بن جيفر (فلما دخل عليه جعل يسأله وينظر حاله ، فعرف الإمام معناه فقال يا أبا على جئت إلى والله لئن أطعت أهل عمان على ما يريدون لا أقام معهم إمام سنة واحدة)[1] . وتظهر صلابته وشدته فى رده لموسى بن على شيخ الاباضية ومرجع الفتيا أنذاك قائلا له (أرجع إلى موضعك فما أذنت الك فى الوصول ولا أستأذنتنى ولا تقم بعد هذا القول)[2] . وبهذا قطع دابر الانشقاق الذى يحدث عادة فى حالة كبر الإمام واستمر فى الإمامة دون أن يصغى لمعارضيه كما كان شديد العقوبة لأولئك الذين يخشى على الدولة خطرهم فملأ بهم السجون ولم يسمح للوجوه القبلية أن تتشفع لهم عنده ، وقد أزعجت هذه الشدة والصرامة بعض العلماء الأباضية كمحمد بن محبوب وبشير بن المنذر غير انهما لم يصرحا برفضهما كلامه تجنبا لحدوث انشقاق بين الاباضية[3] .

ومن مظاهر قوة الدولة الأباضية فى هذه الفترة كفاءة الاسطول البحرى الذى بلغت عددمراكبه ثلاثمائة مركب مهيأة للحرب فضلا عن بقية المراكب الأخرى التى يمكن استنفارها عند الحاجة[4] .

= لهم الرواتب كما يبدو، وكثيرا ما يتردد اسم العسكر فى الأحداث التى دارت فى مدينة نزوى مما يدل على أنه بمثابة الثكنات العسكرية التى يتجمع فيها الجنود .
انظر أبو المؤثر ، ورقة ٨ . مصباح الظلام ٢٨ ا .

(١) السالمى — التحفة ١/١٥١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ١/١٥٨ ، ١٥٩ .

(٤) السالمى — التحفة ، ١ / ١٥٠ ، عمان تاريخ يتكلم ، ١٣٥ .

أما القوة البرية فقد كانت (عساكره بنزوى عشرة آلاف مقاتل ، وهؤلاء بنزوى خاصة[١]) . ويتبين لنا عظم هذه القوة إذا أضفنا إليها بقية العساكر فى الولايات الأخرى كصحار وتوام وجلفار وجملان ودماو بقية الولايات العمانية . كما تكاثر الرعايا فى كل الولايات العمانية نتيجة للإستقرار الداخلى وازدهار التجارة و لزراعة على حد سواء ويشير السالمى إلى ازدياد سكان سمال إحدى أحياء نزوى فقدرها بأربعة عشر ألف نسمة[٢] .

المعارضة القبلية :

ذكرنا سابقاً أن قبائل مهرة قد استكانت وأذعنت فى فترة إمامة عبدالملك ابن حميد (٢٠٧ هـ — ٢٢٦ هـ[٣]) . وكان من عادة القبائل البدوية الشديدة التمرد الخروج على السلطة الأباضية ولذلك رفضت هذه المرة أن تدفع فريضة الصدقة المأخوذة على الجمال ولذا سمى المأمور بها بالمصدق ، وكانت هذه الفريضة سنوية تؤخذ كل عام من هذه القبائل[٤] فعندما دخل عبدالله بن سليمان إلى أرض مهرة (وصل إلى رجل مهرى يقال له وسيم بن جعفر قد وجبت عليه فريضتان فامتنع أن يعطى إلا فريضة واحدة[٥]) . وقال المهرى للمصدق مهددا (إن شئت أن تأخذ فريضة واحدة وإلا فانظر إلى قبور أصحابكم[٦]

---

(١) المصدر السابق . عمان تاريخ يتكلم ، ١٣٥ .

(٢) المصدر السابق ، ١/١٥١ . عمان تاريخ يتكلم ، ١٣٥ .

(٣) انظر المعارضة الداخلية لإمامة عبد الملك بن حميد .

(٤) نصباح الظلام ، ٢٧ أ .

(٥) مصباح الظلام ، ٢٧ أ . كشف الغمة ٢٣١ ب ، ٢٣٢ أ . السالمى . التحفة ١/١٥٢ .

(٦) مصباح الظلام ، ٢٧ أ . كشف الغمة ٢٣٢ أ . السالمى ١/ ١٥٢ .

أشار إلى قتلة المهريون من الأباضية سابقاً فلما استيقن المهنا بن جيفر من تمرده كتب إلى ولاة آدم[١] سناو وجعلان[٢] يطلب منهم أنه من ظفر منهم بوسيم ابن جعفر فليستوثق من تمرده ويخبر الإمام بذلك[٣]. (فكتب إليه وإلى أدم أنه قد حصل وقد استوثقت ويعلمني بذلك[٤]) . فأرسل إليه المهنا يحيي اليحمدى المعروف بأب المقارش مع جماعة من الخيالة ومجموعة من الكتايب العسكرية (فلم يزل فى إنفاد الكتايب حتى لقته كتيبة بمحلته[٥]) فأتوا به أسيراً إلى نزوى لحبس فيها لمدة سنة كاملة (لا يقدر أحد أن يذكره فيه ولا يسأل فى أمره[٦]) مما يدل على هيمنة المهنا وسطوته فى الحكم ولا شك أن مثل هذا الإمام يناسب حكمه هذه القبائل التى يصعب السيطرة عليها إلا بالشدة والقوة وإلا لعاثت فى الأرض فسادا .

وقد أطلق سراح وسيم بن جعفر المهرى بعد استغاثته بوجوه المهرة

---

(١) وصفها شيخ الربوة فقال : « ومدينة أدم مسورة برية » شيخ الربوة ص ٢١٨ وآدم اليوم « أقصى قرية فى جنوب سلطنة عمان » « وهى مدينة منعزلة تقع على حافة الربع الخالى ، وتعلو عن البحر ٨٥٠ مترا » . أنظر لوريمر ، دليل الخليج الجغرافى ، ٢٩/١ . الدباغ ، جزيرة العرب ١٢٥/٢ .

(٢) ومدينة جعلان . وهى من أبرز مدن المنطقة الشرقية وظفار وتقع على جبال الحجر الشرقى وهى مركز لهذه المنطقة وتقع إلى الجنوب الشرقى من عمان الوسطى . السعدى ، رسالة الإسلام ، ع ٩ — ١٠ (بغداد ١٩٧٠) ص ١٩٥ .

(٣) مصباح الظلام ، ٢٧ أ . كشف الغمة ٣٣٢ أ .

(٤) مصباح الظلام ، ٢٧ أ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق ، كشف الغمة ، ٣٣٢ أ . السالمى ، التحفة ١٥٣/١ .

لدى وجوه اليحمد للتوسط لدى المهنا بن جيفر وقد أجاب وساطتهم بعد أن عرض عليهم شروطا ثلاثة تنم عن سيطرته وقدرته على إخضاع القبائل وهذه الشروط هى : إما أن تأذن مهرة بالحرب وإما أن يرتحلو من عمان وإما أن يحضروا الماشية كل عام إلى عسكر نزوى ، وقد أجابوا على الشرط الثالث وأخذوا يحضرون إبلهم كل عام لنزوى[1] .

ومن جهة أخرى شهدت عمان آخر حركات آل الجلندى على الإمامة الأباضية وكان قائدهم هذه المرة المغيرة بن روشن الجلندانى ومن معه من بنى الجلندى واستطاعوا السيطرة على توام وقتل واليها أبى الوضاح[2] فأرسل المهنا بن جيفر إليهم والى صحار أبو مروان وبشير الأزكوى إلى اشتراك عناصر هندية ولا يشير فيما إذا كان هؤلاء الهنود أباضى المذهب أم استخدموا كمرتزقة فى جيش المهنا والاحتمال الاول أقرب إذ أنهم لم يكونوا بحاجة إلى مرتزقة غير عقائديين للاشتراك فى معاركهم وذلك لكثرة عددهم .

إذ من غير المعقول أن يسمحوا لغير الشراة الاشتراك فى معاركهم . يقول الأزكوى (وسار معهم المطار الهندى ومن معه من الهند[3]) . وقد بلغ عدد الجيش الأباضى الذى توجه للقضاء على آل الجلندى بتوام اثناعشر ألف مقاتل مما يدل على خطر الحركة وكبرها[4] . وقد استطاع هذا الجيش أن يبدد آخر آمال آل الجلندى فى آخر حركاتهم فى القرن الثالث الهجرى

---

(١) مصباح الظلام ٢٧ أ . كشف الغمة ٣٢٢ أ ، ٣٣٢ ب . السالمى ، التحفة ، ١/ ١٣ .

(٢) كشف الغمة ٣٣٢ ب . السالمى ١/ ١٥٤ .

(٣) كشف الغمة ، ٣٣٢ب . السالمى ، التحفة ١/ ١٥٤ .

(٤) كشف الغمة ، ٣٢٢ أ . السالمى ، ١/ ١٥٤ .

فقتل بعضهم وهرب البعض الآخر ويشير الأزكوى إلى أن (المطار الهندى ومن معه من سفهاء الجيش[١]) قاموا بإحراق دور آل الجلندى ولم يرض هذا العمل المهنا بن جيفر فعوض أولئك الذين أحرقت منازلهم[٢] . لقد كانت إمامة المهنا بن جيفر من أزهى عهود الازدهار ونفوذ للإمامة الأباضية وقد توفى فى السادس عشر من ربيع الآخر سنة ٢٣٧ هـ/٨٥١م[٣]

إمامة الصلت بن مالك ٢٣٧ - ٢٧٣ هـ / ٨٥١—٨٨٥م

بعد وفاة الامام المهنا بن جيفر اليحمدى اجتمع كبار علماء الأباضية وقادتهم ، وكان رئيسهم فى العلم وإمامهم فى الدين محمد بن محبوب[٤] فبايعوا

---

(١) كشف الغمة ، ٢٣٣ أ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مصباح الظلام ٢٦ب :

Bofhurst, Maaitme trade and Imamate government « In Arabtan peninsula » 1970. p. 0I.

(٤) كشف الغمة ٢٣٣أ . ومحمد بن محبوب : من مشاهير العلماء لدى الأباضية فى القرن الثالث الهجرى ، كان جده الرحيل بن هبيرة من الدعاة البارزين فى مرحلة الكتمان فى البصرة وهو الذى نفاه الحجاج مع جابر بن زيد إلى عمان الدرجينى طبقات الاباضية ، ورقة ١١٩ ا ويذكر الرقيشى أن محمد بن محبوب يرجع نسبه إلى قريش فهو محمد بن محبوب بن الرحيل بن هبيرة بن سيف من قريش وكان هبيرة من فرسان النبى ﷺ . الرقيشى مصباح الظلام ، ٢٨ ا .

وما هو جدير بالذكر أن آل الرحيل لازالت لهم بقايا حتى يومنا هذا قال السيابى : « وبعمان من آل الرحيل أولئك الأئمة الاعلام محبوب بن الرحيل ... وهو المشهور فى المذهب بأبى سفيان وولده العلامة القدوة الجليل محمد بن محبوب =

الصلت بن مالك بالإمامة في السادس عشر من ربيع الثاني سنة ٢٣٧ هـ [١] ، وهو التاريخ الذي مات فيه المهنا بن جيفر إذ أن العادة التي جرت عليها الاباضية تقضي بمبايعة إمام جديد في ذات اليوم الذي يتوفى فيه الإمام السابق لكي لا تبقى الامة بدون إمام يقودها ويسوس أمورها ولتجنب الفرقة التي يحدثها تأجيل الانتخاب والبيعة لإمام جديد[٢] . ويذكر أبو المؤثر الذي شهد بيعة الصلت أن العلماء بايعوا الصلت للإمامة (كان المشهور فيهم يومئذ محمد بن علي القاضي وسليمان بن الحكم والوضاح بن عقبة ومحمد بن محبوب وزياد بن الوضاح[٣]) . كما حضر البيعة مجموعة أخرى من العلماء ووجوه القوم : (إلا أن محمد بن علي وبشير بن المنذر ومحمد بن محبوب والمعلا بن منير وعبيد الله بن الحكم كانوا هم المقدمين في البيعة للصلت بن مالك[٤])

= أكبر عالم في زمانه ... ومنازلهم أشهر من نار على علم من ذلك العهد إلى هذه الأيام الأخيرة ولا زال لهم خلف بهذه الديار ... » :

السيابي ، سالم بن حمود ، أسماء الأعيان بسيرة أهل عمان (بيروت، ١٩٦٥) ص ٤٦ .

(١) مصباح الظلام، ٢٩ أ . كشف الغمة ٢٣٣ ا . السالمي التحفة ١٦٢/١

(٢) حديث شخصي مع الشيخ محمود بن زاهر الهنائي ، وخطاب بن غالب ابن علي نجل الإمام الحالي للامامة عمان أجابا عن سؤال وجهته لهم يتعلق بالطريقة التي يتم بها انتخاب الإمام غالب بن علي الذي ولي أمامة عمان في نفس اليوم الذي مات فيه سلفه محمد بن عبد الله الخليلي في ٢٩ شعبان ، ١٣٧٣ هـ .

(٣) أبو المؤثر ، كتاب الأحداث والصفات ، ورقة ٢ .

(٤) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ورقة ٢ . السالمي ، التحفة ١٦٢/١ .

مع من حضر من الأباضية وقد انقاد بالأباضية لبيعتهم ، ولم يكن هناك اختلاف حول إمامته[١] . وشهدت عمان فى صدر إمامته استقرارسياسيا فلم يعد لقوى المعارضةأى ذوريذكر مما يدل على استتباب الأمن والاستقرار .

ولعل من أبرز الأحداث الداخلية فى هذه الحقبة تعرض عمان للسيول الجارفة فى سنة ٢٥١ هـ وكان من نتائجها تعرض مناطق واسعة للخراب والدمار وأصبحت المدن العامرة أثراً بعد عين . ومن شدة هذه السيول وغزارتها أنها لم تعط للناس الفرصة للهرب ، فذهب الكثير من الضحايا فى الانفس والاموال[٢] . ويصف السالمى السيول نقلا عن بعض المصادر المتقدمة بقوله : (فقلعت السيول المنازل والأموال وغرقت النساء والرجال ففرق الرجل وعياله ، وتخرب منزله ومار ... وحملت البحور أبدان لهم وقلعت الاشجار ، فأصبح السالم الموسر منهم فقيراً يطلب الأكل والشىء اليسير[٣] وقد شملت هذه السيول بدمارها عامة عمان وتركزت بصورة خاصة فى منطقة الباطنة[٤] وسمائل[٥] وبدبد وقيقا ودما وصحار . مما أدى إلى تلف

---

(١) كشف الغمة ، ورقة ٢٣٣ أ . السالمى ، المصدر السابق، ١٦٣/١

(٢) السالمى ، المصدر السابق ، ١/ ١٦٤ .

(٣) السالمى ، التحفة ، ٢ / ١٦٤ .

(٤) الباطنة : « وهى سهول واسعة خصبة يتراوح عرضها من ٢٠ - ٤٠ ميلا تنمو فيها أشجار النخيل والفاكهة » ، الدباغ ، جزيرة العرب ١١٢/٢ .
وتمتد من مدينة مسقط الساحلية حتى مدينة خصب عند رأس الشيخ مسعود المواجه لمضيق هرمز إلى الشمال ، وتشرف على خليج عمان ومن مدنها المشهورة السيب ، السعدى ، مجلة رسالة الاسلام العدد التاسع والعاشر (بغداد ، ١٣٩٠) ص ١٩٥ .

(٥) تقع سمائل : إلى شرق الجبل الاخضر، انظر خارطة عمان بملاحق الرسالة.

الأراضى الزراعية فى هذه المناطق واختفاء المعالم التى كانت تفصل بين الأراضى المزروعة وقد تصالح أهلها فيما بينهم فى تعيين أراضيهم بعد انقطاع السيول باستثناء منطقة بدبد التى أصبحت بحكم المال المجهول فاستحقت بيت مال المسلمين لهلاك أهلها مما يدل على أن هـذه المنطقة كانت أكثر المناطق العمانية تضررا بهذه السيول[١] .

ونلاحظ هنا أن هذه المناطق كانت تعـد أغنى مناطق عمان من الناحية التجارية والزراعية ، وخاصة مدينة صحار التى كانت سوق عمان التجارى[٢] .

وقد بعث الصلت بن مالك بعهد لغسان بن خليد حين بعثه واليـا على رستاق هجار[٣] تعنينا منه الفقرات التى تتعلق بسياسته الداخلية ، يظهر فيها تأكيد السلطة المركزية الإمام فلا يجيز للوالى البت فى الأحكام إلا بعد الرجوع وأخـذ الإذن من الإمام (ولا تقم شيئا من الحدود من قبلك ، ولا تحكم بين الناس فى القصاص . . . حتى ترفع ذلك إلى وكلما اشتبه عليك شىء من الحـكم فيما بين الناس فقف ولا تتقدم عليه حتى تشاورنى ، فانظر أنا ومن معى من أهل الرأى ثم أطلعك من ذلك على ما أرجوا به السلامة)[٤]

(١) السالمى ، التحفة ٢ / ١٦٤ — ١٦٥ .

(٢) البكرى ، المسالك ، ٢١٥ب .

(٣) الرستاق : تقع الرستاق فى الجبل الأخضر من الناحية المطلة على سهل الباطنة وأهل هجار إحدى ولاياتها أو المركز الإدارى للرستاق الحالية وبها قلعة تعرف باسم قطعة كسرى ، مما يدل على أنها كانت فارسية الأصل . السعدى رسالة الإسلام ع ٧ - ٨ - ، (بغداد ، ١٣٩٠) ص ١٩١ .
الدباغ ، جزيرة العرب ، ٢/١٢٦ .

(٤) السالمى ، التحفة ٢/١٨٧ .

ويظهر من هذا النص أن السلطة بالنسبة للإمام مدعمة من أهل الرأى ولكنها مركزية بالنسبة للولاة .

وفى هذا العهد أشار إلى أهل الذمة مما يدل على وجودهم فى رستاق هجار وقد أوصى الصلت بين مالك واليه بأخذ الجزية عند حلول كل شهر استثنى منها الفقراء والصبيان والنساء والشيخ الكبير والعبيد كما أوصى بأن تربط (أوساطهم بالكساتيج[1] وجزنواصيهم ، وشرك نعالهم حتى لا يشبهوا بأهل الصلاة)[2] كما فرض عليهم التزامات أخرى تميزهم عن غيرهم من المسلمين ، ويظهر أن هذه التعليمات كان متعارفاً عليها فى المجتمع الإسلامى مع بعض الاختلافات الإقليمية .

يقول متز : « فقد أمر هارون الرشيد ١٩١ هـ / ٨٠٧ م بأن يؤخذ أهل الذمة فى مدينة السلام بمخالفة هيأتهم هيأة المسلمين فى لباسهم وركوبهم[3] » وفى « عام ٢٣٩ / ٨٥٣ أمر المتوكل أن يقتصر أهل الذمة فى مراكبهم على البغال والحمير دون الخيل والبراذين »[4] .

مع العلم ان الأباضية تخرج عن الإطار الإسلامى العام فى هذا الحكم . ويظهر أن الأوامر كانت تقضى بالتشديد على الفرق الإسلامية الأخرى

---

(١) الكساتيج . خيط غليظ يشدد الذمى فوق ثيابه دون الزنار.

(٢) السالمى ، المصدر السابق ١ /١٩٢ . ولما كانت عمان من المناطق التجارية فقد استوطن فيها اليهود للعمل بالتجارة وخاصة فى صحار : أنظر السالمى ، ٢ / ١٣٧ .

(٣) متز ، آدم ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، المجلد الاول ، ص ١٠١ .

(٤) المصدر نفسه ، ١٠٢ .

وعدم السماح لها بترويج أفكارها ، وأظهر الشدة والتخويف لأهل الخلاف لقول المسلمين[1] . ومن يرى رأى القدرية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وأخمد أمرهم وأمت بدعتهم ، . . والكف عن القول بغير قول أهل هذه الدعوة فمن أظهر شيئا من ذلك فارفع إلى أمرهم حتى أنظره . . »[2] ، من هذا النص يستدل على وجود هذه الفرق بعمان مع الأباضية .

فتح جزيرة سقطرى :

كان لموقع سقطرى[3] . الجغرافى أثر بارز فى تاريخ الجزيرة السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، إذ أنها تقع بالقرب من الساحل الشرقى لأفريقيا وبالقرب من هذا الساحل تقع دولة الحبشة المسيحية كما أنها تقع إلى الجنوب من شبه الجزيرة العربية[4] التى انتشر فيها المذهب الأباضى فى كل من

---

(١) يسمى الأباضية أنفسهم بالمسلمين وغيرهم أهل الخلاف فكلما ترد كلمة المسلمين من قبل فقهائهم وكتابهم فانهم يعنون بها الاباضية أنظر ، أبو المنذر ، مخطوطة كتاب المستأنف المعروف بكتاب الرصف . كشف الغمة ٣٣٣ أ .

(٢) السالمى التحفة ، ١٩٢/١ .

(٣) يشير الهمدانى إلى موقع هذه الجزيرة فيقول : « وهى وجزيرة بوابر مما يقطع بين عدن وبلد الزنج ثابتا على السميت فاذا خرج الخارج من عدن إلى بلد الزنج أخذ كأنه يريد عمان وجزارة سقطرى تماشيه عن يمينه ... وطول هذه الجزيرة ثمانون فرسخا . . » .

الهمدانى ، أبو محمد الحسن بن أحمد ، صفة جزيرة العرب ، (القاهرة ، ١٩٥٣) ص ٥٢ — أما العوتبى فيخالف الهمدانى بتقديره لطول الجزيرة ويذكر أن (طولها ثمانمائة فرسخ) العوتبى . الأنساب ، ورقة ٥٨ ا . أنظر أيضا المهرى ، سليمان بن أحمد بن سليمان ، المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر ، (دمشق ، ١٩٧٠) ق ١ ، ص ٦٥ .

(٤) انظر السعدى ، سقطرى ، مجلة رسالة الاسلام ، العدد ٩ - ١٠ ، السنة الرابعة ، (بغداد ، ١٩٧٠) ص ١١٥ - ١٢٠ .

حضرموت وجنوب عمان . وكان لموقعها التجارى أهمية كبيرة فى حياة سكانها حيث يمر بها الطريق التجارى الذاهب إلى شرق افريقيا ، وإلى البلاد الواقعة جنوب المحيط الهندى وبحر الصين[1] . فكانت ممراً للتجار المسلمين الذين نشروا الإسلام بهذه الجزيرة وما جاورها من الجزر الأخرى ، وكانت هذه الجزيرة قبل الإسلام موطنا للنصارى[2] وقد نزحت إليها قبائل مهرة ويشير الهمدانى إلى أن بعضهم قد اعتنق المسيحية ولعل هذه الهجرة كانت قبل الإسلام ثم دخلتها العقيدة الإسلامية بواسطة التجار المسلمين أو عن طريق

---

(١) د . مؤنس ، حسين ، عالم الاسلام ، ص٦ ويشير الدكتور مؤنس بقوله « فقد كان تجار العرب يخرجون من عدن إلى جزيرة سقطرى فالى جزيرة آكديف ثم إلى فاليقوت التى كانت أكبر مراكز تجمعهم . . » ص ٧٦ .

(٢) يشير الهمدانى فى رواية مختصرة جداً أن فى الجزيرة « نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى » ، ولكن لايحدد لنا الهمدانى الفترة التاريخية لوجود هؤلاء النصارى ، الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ص ٥٣ - ويشير العوتبى أن كسرى طرح بها قوم من بلد الروم فعمروا الجزيرة ، « ويقولون لم يكن بها روم ولكن رهبانية على دين الروم من النصرانية » العوتبى ، الانساب ورقة ٨« أ ، ويتضح من هذه الروايات أن الجزيرة كانت تعتنق الديانة المسيحية قبل دخول العرب والمسلمين لها . انظر بهذا الصدد الدباغ مصطفى مراد ، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الاسلام ، ٢/٨١ - ٨٢ .

قال العالم البحرى بن ماجد يصف هذه الجزيرة وسكانها بقوله « وهى جزيرة عامرة قريبة التدوير ، فطولها وعرضها خمسون فرسخا بل أزيد وهى على مشارق بر السومال يسكنها أمحاج النصارى ، وقيل أنهم بقية اليونان » .

ابن ماجد ، شهاب الدين النجدى ، كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد (دمشق ، ١٩٧١) ق٢ ص ٣٠٤ .

القبائل المهاجرة من جنوب عمان حيث تسكن قبائل مهرة[١] .. (ثم دخلتها الشراة من مهرة وحضرموت وعمان فقتلوا من بها[٢]) . ولما كانت هذه المناطق التى انطلق منها الشراة موطنا للأباضية فالمقصود فى نص العوتبى دخول الأباضية هذه الجزيرة ويؤكد الهمدانى أن تغلب الشراة كان على مسلمى الجزيرة من غير الأباضية (وظهرت فيها دعوة الإسلام ثم كثر بها الشراة فعدوا على من بها من المسلمين فقتلوهم غير عشرة أناسية ...[٣]) .

ومهما يكن من أمر ، فليس هناك تحديد زمنى تشير إليه المصادر التاريخية بدخول العقيدة الأباضية إلى جزيرة سقطرى ؟

إذ أن المصادر التاريخية من أباضية وغيرها ، خالية من أية شارة توضح الفترة التى دخلت فيها الأباضية إلى هذه الجزيرة[٤] . وبما أن الدعاة الأباضية توجهوا إليها من عمان وحضرموت ، فيمكن القول أن الدعوة الأباضية حلت فى هذه الجزيرة فى القرن الثانى الهجرى وهو القرن الذى سادت فيه الدعوة الأباضية بعمان بصورة كبيرة[٥] .

وفى رواية للسالمى تشير إلى خيانة النصارى : (ونقضوا ما بينهم وبين المسلمين ، فهجموا على سقطرى ، وقتلوا والى الإمام وفتيه معه[٦] ويتضح

---

(١) الهمدانى - صفة جزيرة العرب ، ص ٥٢-٥٣ .

(٢) العوتبى - ورقة ٥٨ أ .

(٣) الهمدانى — ص ٥٣ .

(٤) انظر العوتبى ، الأنساب ، كشف الغمة .

(٥) انظر الفصل الرابع من الرسالة .

(٦) السالمى ، التحفة ١٦٦/١ .

من هذه الرواية أن هناك معاهدة بين النصارى من أهل الجزيرة والمسلمين نقضوها ، بمساعدة الحبشة النصرانية ، إذ يشير أطفيش نقلا عن الزرقانى (أن الحبشة تغلبت على سقطرى فى عهد الإمام الصلت ، فأرسل أسطولا مؤلفا من مائة سفينة استعادت سقطرى وطردت الحبشة من الجزيرة[1] .

— وفى رواية أخرى للسالمى يذكر فيها أنه بعد استيلاء الأحباش على الجزيرة استغاثت امرأة مسلمة من أهل الجزيرة تدعى الزهراء[2] . كما يظهر من قصيدتها التى كتبتها إلى الصلت بن مالك تدعوه لإنقاذ الجزيرة المسلمة للإنتقام من صلبى الحبشية ، قالت فيها :

قل للإمام الذى ترجى فضائله　　ابن الكرام وابن السادة النجب

أمست سقطرى من الإسلام مقفرة　　بعد الشرائع والفرقان والكتب[3]

---

(١) أطفيش ، تعليقه على هامش التحفة ١/١٦٦ نقلا عن محمد على الزرقانى فى تاريخه المسمى عمان ص ٨٠ - انظر أيضا السالمى محمد بن عبد الله ، وعساف ، ناجى ، عمان تأريخ يتكلم ، (دمشق ، ١٩٦٣) ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) السالمى ، التحفة ، ١/١٦٦ - ١٦٧ . - السالمى وعساف ، عمان تأريخ يتكلم ، ١٣٦ . يكاد يكون هناك تشابه بين هذه الحادثة وأخرى وقعت سنة ٢٢٣هـ عندما أغار الروم على الثغور الشامية فى خلافة المعتصم محمد بن هارون الرشيد فاستغاثت به امرأة هاشمية و « صاحت وهى أسيرة فى أيدى الروم وامعتصماه فأجابها .. » وجهز جيشا انتقم به من الروم وفتح مدينة عمورية ، ابن الأثير الكامل فى التأريخ ، ٥/٢٢٧ .

(٣) وجاء فى هذه القصيدة فى أبيات أخر تظهران والى هذه الجزيرة اسمه القاسم وقد قتله النصارى فى غزوهم لسقطرى كقولها :

واستبدلت بالهدى كفرا ومعصية　　وللأذان نواقيسا من الخشب

جار النصارى على واليك وانتهبوا　　من الحريم ولم يألوا من السلب =

وقد جهز الصلت بن مالك أسطولا بلغ تعداد مراكبه مائة مركب أعطى قيادته لمحمد بن عشيرة وسعيد بن شملال وقد استطاع الأسطول العمانى من إعادة الجزيرة وطرد الأحباش عنها .

وقد كتب الإمام الصلت بن مالك عهداً يوصى به الغزاة الذين وجههم إلى جزيرة سقطرى يتضمن تعاليم سامية فى آداب الحرب، تعكس التزام الأئمة الأباضية بنصوص الشريعة الإسلامية وخاصة فيما يتعلق بمعاملة أسرى المسيحيين من نساء ورجال ، جاء فيه : (وان كرهوا أن يقبلوا الإسلام ، ويدخلوا فيه ، فلندعوهم إلى الرجعة من نكثهم والتوبة من حدثهم إلى الدخول فى العهد الأول الذى كان بينهم وبين المسلمين ، على أن لهم الحق بحكم القرآن وحكم أهل القرآن من أولى العلم بالله وبدينه من أهل عمان ممن نزل إليهم أمر المسلمين، فإن أجابوا وتابوا فلتقبلوا ذلك منهم ولتأمروهم بترك مافى أيديهم وأيدى أصحابهم من أهل الحرب من نساء مسلمات[1]) ثم قال (فان وصلوا إليكم بمن أجابهم من أهل الحرب وقد استسلموا وتابوا من حدثهم وجاءوا بالنساء المسلمات فأقبلوا ذلك منهم ، ولا تعوضوا لأحد ممن جاءكم مستأمنا مستسلما بسفك دمه ، ولا انتهاك حرمته ولا سبى ذريته ولا غنيمة ماله ، وليكونوا مثلكم آمنين[2]) كما أمرهم عند الانتصار على المسيحيين أن يحضروا سباياهم الى عمان لينظر هو فى أمرهم .

= إذ غادروا قاسما فى فتية نجب — عقرى مسامعهم فى فى سبب خرب

ما بال صلت ينام الليل مغتبطا — وفى سقطرى حريم باد بالنهب

يا للرجال أغيثوا كل مسلمة — ولو حبوتم على الأذقان والركب

السالمى ، ١ / ١٦٧ — ١٦٨ . — عمان تاريخ يتكلم ، ص ١٣٦ .

(١) السالمى ، التحفة ٢ / ١٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ٢/١٧٥

كما أوصاهم بعدم قتل الصبي الصغير والشيخ الكبير والمرأة المسالمة في حالة التحام الحرب إلا إذا ساعد الشيخ الكبير أو المرأة مقاتلتهم فيحل قتلهم[1] كما وردت في هذا العهد إشارة مهمة توضح لنا سياسة الصلت إزاء مستقبل الجزيرة بعد شن الغارات المسيحية عليها مراعياً في ذلك بعد الجزيرة عن عمان وقربها من الحبشة المسيحية ، ولذلك يكون من المستحيل وصول النجدات في الوقت المناسب لإغاثة العرب المسلمين القاطنين فيها فيما لو هوجمت من قبل القوات الحبشية القريبة من مراكزها التموينية في رأس الزنج[2] فقال الصلت مشيراً إلى ذلك : (ومن أراد من أهل الصلاة من رجال أو نساء أو صبيان ، أن يخرجوا معكم إلى بلاد المسلمين ، فاحملوهم في حمولتكم ، وأنفقوا عليهم من مال الله حتى يصلوا إلى بلاد المسلمين ، فان تلك دار (يعني سقطرى) لا تصلح لهم بعد تلاحم الحرب بيننا وبينهم[3] ثم قال : (ولئن انقضى الأمر بينكم وبين عدوكم إلى رأس الزنج فأخرجوه في رأس الزنج)[4] ويستشف من هذه النصوص عدة أمور هي :

---

(١) أيضا ، ٢ / ١٧٩ .

(٢) يقابل رأس الزنج اليوم رأس غفرد فوي الواقع في شمال الصومال المطل على خليج عدن ويبعد عن سقطرى حوالى ١٢٠ ميلا في حين يبعد عن عدن بحوالى ٥٠٠ ميل ، وكان يسمى في العصور الوسطى رأس التوابل ورأس عسير الدباغ ، جزيرة العرب ، ٨٢/٢ . انظر مجلة رسالة الإسلام العدد التاسع والعاشر ، (بغداد ، ١٣٩٠ هـ) ص ١٢١ ويسمى المسعودي البلاد الواقعة جنوب وشرق سقطرى بلاد الزنج فيكون رأس الزنج شمال هذه البلاد ، المسعودي مروج الذهب ، ١٢٢/١

(٣) السالمي ، التحفة ١٨٢/٢ .

(٤) المصدر نفسه .

الأول : الاحتمال الأول يقضى بتخليه الجزيرة ممن يرغب من المسلمين ونقلهم إلى عمان لأن الجزيرة أصبحت دار حرب فأصبح سكانها عرضة للانتقام من نصارى الحبشة .

الأمر الثانى . أن الصلت أمر قواته إذا اقتضى الأمر بمطاردة النصارى إلى الساحل الشرقى لأفريقيا المجاور لجزيرة سقطرى المسمى رأس الزنج ، وهذه الإشارة تؤيد أن مصدر الخطر على سقطرى هو الحبشة المسيحية . على أنه ليست لدينا معلومات واضحة تشير إلى ترك العرب المسلمين لهذه الجزيرة فى الفترة موضوع البحث .

وقد أصبحت الجزيرة فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى مركزاً خطراً على المراكب الاسلامية الذاهبة إلى الهند والصين وشرق أفريقيا ، ويشير المسعودى إلى سكانها النصارى فى عصره وحلهم من اليونانيين (وفى هذا الوقت تأوى بوارج الهند الذين يقطعون على المسلمين فى هذه البوارج وهى المراكب ، على من أراد الصين والهند وغيرها[1] . ويتضح لنا من نص المسعودى هذا أن الجزيرة خرجت من سيطرة العمانيين فى النصف الأول للقرن الرابع الهجرى وأصبحت مأوى لبوارح القرصنة الهندية .

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، ١/٤٤٠ . ـمتز ، أدم ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، المجلد الثانى ص ٤٣٧ .

الفصل السادس

الإمامة الأباضية الثانية بعمان

ثانياً – بدايات التدهور ثم السقوط

٢٣٧ – ٢٨٠ هـ / ٨٥١ – ٨٩٣ م

الحرب الأهلية وتدهور الإمامة الأباضية

أولت المصادر الأباضية اهتماما ملحوظا حول مسألة عزل الصلت بن مالك عن الإمامة وتكمن أهمية ذلك[1] لأنها كانت قطب الرحى الذى دارت حوله الفتن والانشقاقات وبالتالى الحرب الأهلية بعمان التى أدت إلى زوال الإمامة الاباضية سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م[2].

ولاهمية النتائج التى ترتبت على هذا الحادث فقد وقف العلماء المعاصرون الحدث ومن بعدهم مواقف مختلفة ما بين مؤيد ومعارض.

واختلفت التفاسير والحجج بين الطرفين. فإن الاختلافات النظرية بين فقهاء الأباضية ترتب عليها انقسام القوى السياسية فى الداخل، فقد قام موسى بن موسى بن على الأزكوى[3] ومؤيدوه بالمطالبة بعزل الصلت ابن مالك عن الإمامة وحجتهم فى ذلك أن الصلت قد بلغ من العمر مرحلة كبيرة لا يستطيع فيها القيام بادارة الإمامة[4].

---

(١) لهذا السبب ألف أبو المؤثر الصلت بن خميس كتابه الموسوم الأحداث والصفات وكان معاصراً لهذه الأحداث وهنا تكمن أهمية الاعتماد عليه فى بحث هذه المسألة. وألف بعده أبو الحسن البسيوى كتابا للرد على خصوم الصلت بن مالك الموسوم الحجة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان.

(٢) المسعودى، مروج الذهب، ١٥٦/٤.

(٣) البسيوى، الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ١١ - . مصباح الظلام ٢٨ أ.

(٤) أبو المؤثر، الأحداث والصفات ورقة ٢.

أما وجهة نظر الامامة فقـد وردت فى كتاب أرسله الصلت بن مالك إلى أحد أتباعه يبين له كيف عزل عن الإمامة يلقى فيه با للأئمة على الشباب الأباضى الذى خرج عليه ويعزى هـذا الخروج إلى انقراض الجيل الأول من أهل الدعوة ، ومما كتب إليه قوله « واعلم يا أخى أن هذه الدولة قد كان لها رجال لهم حلوم راجحة عالة ، وقلوب سليمة ، كانوا على أمر واحد يطأ الآخر أثر الأول ... فلم يزالوا على ذلك حتى مضوا فانقرضوا رحمة الله عليهم .. ثم خلفنا نحن وأنتم من بعدهم ... فقمت بهذا الأمر ما شاء الله ... إلى أن ذهب أهل الفضل وأهل العدل ونشأ اليوم شباب وناس ظهرت رغبتهم فى الدنيا وطلبو الرياسة فيها »[1] . ومن هـذا الاستعراض الموجز لوجهات النظر المختلفة تظهر حقيقة مهمة وهى تصدع قيادة الدعوة الأباضية وقلة كفاءتهم وبروز الأطماع الشخصية لدى الدعاة مما أدى إلى تمزق الوحدة الداخلية لعمان ، فالسبب إذن أعم وأشمل من الأسباب الشخصية التى أدت إلى عزل الصلت بن مالك عن الإمامة كالقول بضعفه[2] وإن كان الضعف هو السبب المباشر الذى استغله المناوئون للإطاحة به .

وضعف عن إدارة الامامة فمن باب الحرص والحفاظ على الدولة طلبوا إلى الصلت اعتزال الإمامة الأباضية[3] . ويقول الرقيشى فى ذلك « وبلغنا أن موسى بن موسى بن على سار إلى نزوى وتـكلم فى أمر الصلت وهم بعزله وتابعه على ذلك عبد الله بن سعيد الفحصى والحوارى بن عبد الله الحـدانى

(١) السالمى ، التحفة ١/٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) كشف الغمة ، ٣٣٣ا .

(٣) السالمى ، التحفة ، ١/١٩٧ - ١٩٨ .

وسار هؤلاء بمن معهم حتى اجتمعوا مع موسى بن موسى بفرق[1] . وكان الأمر يومئذ إليه »[2] . ويتضح من هذا النص أن موسى بن موسى كان إليه أمر المرجعية الدينية ، ومثل هذه الشخصية بمالها من تأثير روحى ومركز قيادى فى سياسة الدعوة ، فقد قام بدور مميز فى أحداث هذه الفترة وكان إليه أمر عزل الصلت بن مالك فمن فرق القريبة من مدينة نزوى مقر الأمامة الأباضية أرسل موسى بن موسى إلى الصلت بن مالك يدعوه لاعتزال الإمامة فنظر فى طلبهم أياما فبقوا ينتظرون رأيه « ثم عزم على الاعتزال[3]، وشهد عزله مجموعة من الشراة « ثم برز إلى الناس وودعهم وداع تارك الأمر معتزل بنفسه مما كان فيه[4] » وهذه الروايات لا يمكن الركون إليها لأنها تعبر عن وجهة النظر الموالية لموسى بن موسى وأتباعه .

ويعزى بعض مؤرخى هذه الحقبة التدهور والانحلال الذى بدأ يهدد استقلال الإمامة ووحدتها إلى تغيرات جديدة تمس الجانب الفكرى لدى الجماعة الأباضية وخاصة قادتها الجدد ويتلخص هذا التفسير على أن الجيل المؤسس أكثر إخلاصا وعلما وتماسكا لا يبتغى من وراء أعماله مصالح شخصية أما الأجيال التى تعقبه فهى تتدرج فى إخلاصها وعلمها حتى يصل الأمر إلى جيل جديد لا يستطيع المحافظة على تراث السلف فينهار الكيان السياسى للجماعة ، وهذا ما حدث لجيل موسى بن موسى بن على وبزى

---

(١) اتقع « فرق على الضفة اليسرى لوادى كلبوه على ثلاثة أميـــال أسفل نزوى » .

لوريمر ، دليل الخليج ، ٢٤٤٨/٥ .

(٢) مصباح الظلام ، ٢٨ أ .

(٣) السالمى ، التحفة ١٩٨/١ .

(٤) السالمى - التحفة ، ١٩٨/١ .

هذه النظرة واضحة فى تحليل أبى المؤثر الذى عاصر هذه الأحداث بقوله : (ولكن القدوة بأهل العلم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وآثار السلف من أولى الأمر الذين جعلهم الله للناس أئمة يفرقون بين الحق والباطل . . . يمضى على ذلك أولهم ويقفوهم على آثارهم آخرهم . . حجتهم واضحة ودعوتهم شارحة فكلما مضى منهم قرن خلفهم من بعدهم من هو دونهم بالفقه والعلم إلا أن الديانة واحدة . . على ذلك تبايعوا وتشايعوا وتواصلوا إلى أن انتهى الأمر إلى قرن من أهل عمان فيهم بقية من أهل العلم[1]) ويظهر هذا التفسير أكثر وضوحا فى تحليلات أبى قحطان خالد بن قحطان[2] التى تمثل وجهة الجماعة الموالية للصلت بن مالك فوصف الجيل الجديد بقوله (نشأ فى الدولة شباب وناس يتخشعون من غير ورع ، يظهرون حب الدين ، ويبطنون حب الدنيا ويأكلون الدنيا بالدين ، فلما طال عمر الصلت بن مالك عليهم ملوه لما كبر وضعف[3]) ثم قال (فلما ذهب أعلام المسلمين وفقهاؤهم وأهل الورع ومن يطلب الآخرة وبلغ الكتاب أجله ، وأراد الله أن يختبر أهل عمان كما اختبر من قبلهم . . فلما اختبرهم قل بصرهم وزالت عقولهم ،

---

(١) أبو المؤثر ، كتاب الأحداث والصفات ، ورقة ٢ .

(٢) أبو قحطان خالد بن قحطان ، (ذكره البسيوى الذى عاش فى سنة ٤٥٠ هـ . وعدة من علماء القرن الثالث والرابع الهجريين) : الحجة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان ، ورقة ٢٠ . كما أطلع الأزكوى على مؤلفه المسمى بالسيرة المنسوبة إليه ونقل عنه بعض معلوماته وخاصة ما يتعلق بإمامة الصلت . كشف الغمة ورقة ٣٣٣ أ .

(٣) السالمى — التحفة ١/٢٠٢ . — نقلا عن سيرة الشيخ أبى قحطان خالد ابن قحطان .

وجاروا عن الحق ، وخالفوا سيرة المسلمين إلا قليلا أنقذهم الله[١]) . ومن هذا النص يمكن أن نستشف حقيقتين أراد أن يؤكد عليها أبو قحطان ، الأولى : بداية صراع بين الجيل الجديد والجيل القديم الذى يمثله الصلت ابن مالك .

الثانية : تأكيد حجة الخصوم فى الخروج على الصلت وعزله عن الإمامة وهى كبر الصلت وضعفه فسأم الجيل الجديد طول مدة إمامته التى بلغت خمسة وثلاثين عاماً وسبعة أشهر[٢] .

وأن أبرز هؤلاء هو موسى بن موسى الذى كانت له اليد الطولى فى أحداث عمان فى هذه الفترة مستغلا مركزه الدينى لدى عامة الاباضية[٣] ويجب أن نؤكد على حقيقة مهمة عند تفسيرنا لأحداث هذه الفترة وهى وجود عنصران يتدخلان فى رسم السياسة الداخلية للإمامة .

العنصر الاول : شخصية الإمام الاباضى ومدى إخلاصه وكفاءته الإدارية ومعالجته لمجتمع معقد التركيب من الناحية القبلية كالمجتمع العمانى .

العنصر الثانى : هو شخصية المرجع الدينى ودوره فى إضفاء طابع الوحدة والتماسك لدى الجماعة الاباضية .

أن لهذين العنصرين معاً بإمكانهما تحديد السياسة العمانية فكلما قويت شخصية الإمام تضاءل دور المرجع الدينى كما رأينا فى حياة الأئمة الذين سبقوا الصلت بن مالك ، ويبرز دور المرجع أو أئمة الدين فى الفترات التى يتدهور

---

(١) المصدر السابق ٢٠٢/١ .

(٢) كشف الغمة ورقة ، ٢٣٣ ب .

(٣) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ورقة ٧ و ٨ . أبى المنذر كتابه المستأنق ورقة ٣ .

فيها مركز الإمام فيلجأ الناس إلى أئمة الذين ابحث المشاكل المصيرية كمشكلة الإمامة على سبيل المثال[1] . ويتوقف نجاح المرجع الديني في حل هذه المشاكل كقدرة الشخصية ونكران الذات والإخلاص للدعوة وبعد النظر للمواقف التي يتخذها وما يترتب عليها من نتائج ، وهنا يمكن المقارنة بين شخصية موسى بن أبي جابر الأزكوي ومهارته السياسية[2] وبين شخصية موسى بن موسى القلقه التي أدت إلى نتائج وخيمة .

منها إشعال أوار الحرب الأهلية وما ترتب عليها من نتائج سلبية ويظهر دوره واضحا في عزل الصلت بن مالك بصورة الذي أدت إلى انقسام الدعوة ورجالها[3] وقد عبأ أذهان الناس بخطابه التي كان يلقيها في يوم الجمعة فمن ذلك قول أبي المؤثر (ولم يزل معهم إماما ثابتة إمامته فيما علمنا إلا أن يكون أحدهم اطلع على شيء لم يعلم ولم يشهد أن برز موسى بن موسى لجمل يتكلم ويدعى أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يسمى بحدث منه ولا ذنب مكفر ، ولا حجة يقيمها على الامام يعلمها العامة إلا أنه كان يطلب عزل الولاة وعزل بعض الوزراء فيما ذكر لنا .. فكان يقول فيما بلغنا أن الدولة في أيدى الفسقة[4]) وهنا تظهر المشاركة الواسعة لموسى بن موسى في شئون الدولة ، ومن خلال هذه المشاركة كان يمهد لعزل الإمام ومؤيديه ، وكان على جانب كبير من المكر والدهاء مكنه من أن مهاجمة خصومه وتفسيقهم (فاذا أتاه

---

(١) البسيوى ، الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ١٧ .

(٢) انظر البحث المتعلق باعلان الإمامة الأباضية في بداية الفصل الرابع من الرسالة .

(٣) أبو المنذر ، المستأنف ، ورقة ٤ . أنظر البسيوى ، الحجة على من أبطل السؤال ١٧ .

(٤) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ورقة ١١ .

بعض من الذين يشتمهم ويفسقهم قربهم وأدنا مجالسهم[1]) وقد أدرك عقلاء الاباضية وساستهم أساليبه المتقلبة (وفى ذلك ارتياب من فعله للعاقلين[2]) فانقسم الناس بسببه مابين مؤيد لموسى بن موسى وآرائه وبين رافض محافظ على ولاية الصلت بن مالك . وقد استطاع موسى بن موسى أن يحشد عدداً كبيراً من أتباعه ونزلوا فرق القريبة من عسكر الإمام[3] بمقدار ثلاثة أميال أسفل مقر الإمامة فى نزوى[4] . فتخاذل الناس عن الصلت الذى اضطر إلى ترك بيت الإمامة فبايع موسى بن موسى لراشد بن النظر وكان ذلك يوم الخميس من شهر ذى الحجة سنة ٢٧٣ هـ بعد أن دامت إمامة الصلت (٣٥) عاماً[5] .

وقد أبدى كل من السالمى وعساف اعجابهما بتنازل الصلت عن الإمامة فقالا (يدهش المرء حينما يقف أمام هذه المبادىء الديمقراطية ولا يسعه إلا أن يعجب بأخلاق الأئمة الذين كانوا لا يرون غضاضة أبداً فى التنازل عن أكبر مركز فى الدولة إذ كان هذا الأمر فى مصلحة الشعب نفسه[6] وصحيح أن المبادىء الأباضية فيما يتعلق بالإمامة كانت ديمقراطية ولكن الصلت بن مالك أجبر على ترك الإمامة . يقول الازكوى فى صدد ذلك (فتحاذلت الرعية عن الصلت وضعف عن الإمامة[7]) . وقد شكا الصلت بن مالك فى

(١) المصدر السابق ، ورقة ١٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أبو المؤثر ، كتاب الأحداث والصفات ، ورقة ٨ . — مصباح الظلام ٢٨ أ .

(٤) لوريمر ، دليل الخليج ٥/٢٤٤٨ .

(٥) كشف الغمة ، ٢٣٣ أ ، ٢٣٣ ب . العقود الفضية فى أصول الاباضية ٢٢٥ .

(٦) عمان تاريخ يتكلم ، ١٢٧ .

(٧) كشف الغمة ، ٢٣٣أ .

رسالته التى كتبها إلى الجمهور بن سنجة تخاذل الناس وتفرقهم عنه (فزحف القوم إلينا ، وتقارب بعضهم من بعض ، فأمرت الشراة ، ومن كان على هذا الهوى بالشخوص ومنع العسكر ، وأن يجاهدوا على الدولة فكرهوا ، فكتبت إلى عمر بن محمد القاضى بالخروج إلى وخرجت إليه فلم يخرج[1]) فالصلت ابن مالك إذن حاول الاستعانة بقواده فخذلوه وقد اتهم فى رسالته موسى بن موسى بنهبه لبيت مال المسلمين كما حمله مسئولية ضعف الدولة الاباضية . (وأطمعوا فى هذه الدولة عدوها وفعلوا مالم يرض الله به ، وما اختلعت وما تبرأت[2]) .

ومهما يكن القول فى إمامة الصلت بن مالك فالخروج عليها لم يكن وفقا لتعاليم المذهب الأباضى فى الإمامة وهنا كان محور الخلاف بين الأطراف المتنازعة من رجال الدعوة وعلمائهم[3] ، فلم يفكروا برأب الصداع (وتفرق رأيهم ووقعت بينهم الفتنة فى عمان وكبرت المحنة واختلفوا فى دينهم وتفرق رأيهم[4]) مما أتاح المجال القوى القبلية أن تظهر على المسرح السياسى بتشجيع من رجال الدعوة أنفسهم فبدأ منعطف خطير تمثل بالفوضى العسكرية والفتن بين القبائل العمانية[5] ، فتمهد السبيل أمام الخلافة العباسية لإرجاع عمان إلى حضيرتها .

---

(١) السالمى ، التحفة ، ٢/٢٠٥ .

(٢) المصدر السابق ، ٢٠٦ .

(٣) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ورقة ٦ ، ٩ . الحجة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان ، ورقة ١٢ فما بعد .

(٤) كشف الغمة ، ٣٣٣ ب .

(٥) انظر العوتبى ، الانساب ، ١٦٢ ب ، العقود الفضية فى أصول الاباضية ٢٥٥ .

إمامة راشد بن النظر اليحمدى ٢٧٣/ ٨٨٦م — ٢٧٧هـ/ ٨٩٠ م

بعد عزل الصلت بن مالك عن الإمامة عقد موسى بن موسى الإمامة لراشد بن النظر يوم الخميس فى السابع والعشرين من شهر ذى الحجة سنة ٢٧٣ هـ/ ٨٨٦ م[1] . وكان راشد دون شك من الفئة التى أعانت موسى بن موسى فى مساعيه لعزل الصلت ولذلك وقع اختيار موسى عليه لتولى الإمامة وقد تمت بيعته فى منطقة (فرق) الواقعة جنوب مدينة نزوى مقر الإمامة الأباضية بعمان[2] . وفيما عدا موسى بن مماسى المرجع الدينى ، فقد ساعد راشد بن النظر فى الوصول إلى السلطة عدد من الشخصيات العسكرية المهمة مثل ، فهم بن وارث[3] وعبد الله بن سعيد .

وبعد أن دخل راشد وموسى مدينة نزوى وفيها بيت الإمامة مقر الإمام الأباضى ، سلمهم الصلت بن مالك خاتم وكم الإمامة[4] . وتسليم الخاتم والكم من المراسيم التى تثبت إمامة الإمام الجديد وتخلى الإمام السابق عن الامامة .

---

(١) كشف الغمة ، ٣٣٣أ . ذكر السالمى أن بيعته كانت سنة ٢٧٢هـ، ٨٨٦م التحفة ٢١٦/١ .

(٢) الأحداث والصفات ، ورقة ٨ . مصباح الظلام ، ٢٨ أ . كشف الغمة ٣٣٣أ . التحفة ٢١٦/١ .

(٣) فهم بن وارث اليحمدى الكلبى : ومن رؤساء اليحمد بعمان ثار بعد ذلك على راشد بن النظر وأسر فى واقعة الروضة وسجن فى مدينة نزوى لأكثر من سنة وأطلق سراحه بناء على مشورة موسى بن موسى الراشد بن النظر . العوتبى ، أنساب العرب ، ورقة ١٦٢ ب ، ١٦٣ أ .

(٤) البسيوى - الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ١٣ ، ويظهر أن الكم نوع من الأردية الخاصة التى يلبسها الإمام الأباضى .

ولم تظهر تغيرات جديدة على المستوى الإدارى فبقى الولاة السابقون فى عهد إمامة الصلت دون أن يغير النظام الجديد أحداً منهم . على أن بعض الشخصيات المتعاونة مع الثوار كالحسن بن سعيد والى الرستاق الذى كان حلقة الوصل بين الثوار وبين الصلت بن مالك قد كوفىء بتعيينه واليا على منطقة جلفار[١] . ذات الموقع البحرى المهم تجاريا وعسكريا . كما عين أحد قوات الصلت المسمى الحوارى بن بركة مسؤولا عن الماشية[٢] فتمرده على أوامر الصلت بن مالك .

أما على الصعيد الداخلى لعمان فيبدو أن قبائل مهرة المتمردة فى جنوب عمان[٣] . بدأت تعكر صفو الأمن مستغلة فى ذلك اضطراب حبل الأمن فى عمان الوسطى وقد وصف أبو المؤثر هذه الظروف فقال : « وقد تكون الأحداث من قبل مهرة فى طرف عمان ، فربما يضربون الرجل ويستاقون الناس بعض الإبل ، ولا أخذ راشد منهم رجلا على ذلك ، ولا بعث إليهم سرية وإنما كان بأسه وشدته على الرستاق ومن حولها[٤] » .

الصراع بين القبائل العمانية :

لعل أهم ما يميز إمامة راشد بن المنظر احتدام الصراع بين القبائل

---

(١) الأحداث والصفات ، ورقة ٧ . تحفة الأعيان ٢١١/١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مصباح الظلام ٢٦ ب، ٢٧ أ ، تقع بلاد مهرة إلى الشرق من حضرموت حتى ظفار ، الدباغ ، جزيرة العرب ، ٧٩/٢ .

(٤) السالمى ـ التحفة ٢١٩/١ نقلا عن أبى المؤثر .

العمانية[١] تحت ستار عقائدى متهمة بعضها البعض الآخر بالانحراف عن مبادىء الإمامة الأباضية . فجرت وقائع حربية مشهورة تركت آثارها السلبية على الدعوة الآباضية بعمان وكانت أهم هذه الوقائع : —

واقعة الروضة :

كان من أهم لأسباب التى أدت إلى واقعة الروضة أن أقوى المعارضة لإمامة راشد بن النظر لا زالت متمسكة بإمامة الصلت بن مالك الذى لا زال حيا عند وقوع هـذه الحرب[٢] وكان شاذان بن الصلت بن مالك بن الإمام المعزول قد كاتبه جماعة من كلب اليحمد ، يسألونه الخروج على راشد[٣] ، فاجتمع بهم شاذان بن الصلت ، فلما بلغ راشدا اجتماعهم بعث من قبله قوادا[٤] ، على رأسهم عبيد الله بن سعيد فظفر بهم فى « موضع يقال له الطباقة من أسفل وادى عمق[٥] . إلا أن شاذان استطاع الهرب وكان مصير أصحابه القتل ، وأما من بقى حيا من جند شاذان فقد أخذ أسيرا وأودع سجن نزوى[٦] . لقد حفزت هذه المضايقات رؤساء بعض القبائل كما تخلى الفهم بن وارث عن عن تأييده لراشد بن النظر وانحاز إلى الحزب المعارض لراشد بن النظر .

---

(١) العوتبى ، ١٦٢ ب . — كشف الغمة ، ٣٣٣ ب . — عمان تاريخ يتكلم ١٣٧ .

(٢) العوتبى ، ١٦٣ ا .

(٣) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ورقة ٢٠ . — السالمى التحفة ، ٢٢١/١ .

(٤) المصدر السابق . السالمى ، ٢٢١/١ .

(٥) المصدر السابق ، السالمى ٢٢١/١ .

(٦) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ورقة ٢١ .

وفى منطقة الرستاق عقد اجتماع ضم وجوه قبيلة كاب اليحمد الأزدية كالفهم بن وارث الكابى ، ومصعب وأبو خالد أبنا سليمان الكلبيان ، وخالد بن سعوة الخروصى ، وسليمان بن اليمان وشاذان بن الصلت ومحمد بن مرجعة وغيرهم من وجوه اليحمد[1] ، وقرروا أن يستعينوا بقبائل العتيك الأزدية فى حربهم لراشد بن النظر ، وكاتبوا مسلما وأحمد بن عيسى بن سليمة العوتبين وسألوهما أن يبايعا لهما فى الباطنة من العتيك من بنى عمران[2] ، فقام أحمد وعيسى بمراسلة أولاد مالك بن فهم فكاتبوا (نصر بن المنهال العتكى المجارى من ولد عمران[3] وكان رئيسا لقبيلة العتيك فى منطقة الباطنة فاستجاب لدعوتهم (وبايعهما على نصرة شاذان بن الصلت ومن معه من اليحمد[4] كما لبى دعوتهم « سليمان ابن عبد الملك بن بلال السليمى ، فبايع من بالباطنة من قومه سليمة وفراهيد وغيرهم من سائر ولد مالك بن فهم[5] » وبهذا يعتبر هذا التحالف بين قبائل اليحمد والعتيك وبنى مالك بن فهم (سليمه وفراهيد) أو تحالف قبلى يظهر فى عمان فى الدولة الأباضية بحجة الدفاع عن الإمامة ، وقد أصبح هذا التحالف أساساً لتحالف القبائل اليمانية بعمان ، ومما يلفت النظر أن أئمة الدعوة الأباضية لم يعد لهم دور بارز فى قيادة الناس كما كانوا يفعلون[6] وانتقل الثقل السياسى إلى رؤساء القبائل المختلفة .

---

(١) العوتبى ، الأنساب ، ١٦٠ ب . السالمى ، التحفة ، ٢٣١/١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) العوتبى ، ١٦٢ ب . السالمى ، ٢٣١/١ .

(٥) العوتبى ١٦٢ ب ، السالمى ٢٣١/١ .

(٦) المصدر السابق ،

وبعد الاستعدادات التى اتخذها سليمان بن عبد الملك ونصر بن المنهال التحقوا بقواتها بشاذان بن الصلت (والفهم بين الوارث ووجوه اليحمد ، والرستاق ، فأكدوا البيعة لهم[1]) وخرجت جميع هذه القوات طالبة مدينة نزوى مقر الإمامة لخلع راشد بن النظر ، وبهذا انقسمت قوى الصراع ، وكما يحلو لبعض المؤرخين بتسميتهم بالنزوانية والرستاقية[2] وهو تعبير صحيح إلى حد ما[3] ، ذلك لأن الانشقاق الكبير الذى قسم أهل عمان إلى يمانية ومضرية لم يتبلور بصورة واضحة فى إمامة عزان بن تميم الخروصى[4] .

كانت الأخبار قد وصلت إلى راشد بن النظر فيما يتعلق بتوجه القوات المتحالفة التى قادها شاذان بن الصلت بن مالك إلى مدينة نزوى[5] ، فجهز لذلك (السرايا والجيوش خيلا وجلا[6]) وأعطى قيادتها لعبد الله بن سعيد الفحصى والذى يسميه أبو المؤثر برأس الفتنة والخطيئة[7] .

---

(١) انظر البحث المتعلق باعلان الدولة الأباضية ، الفصل الرابع من الرسالة .

(٢) العوتبى ، ١٦٢ ب . السالمى ١/٢٣١ .

(٣) العقود الفضية فى أصول الأباضية ، ٢٥٥ . أى نسبة هذه القوى إلى إلى المناطق التى انطلقت منها وإن صح التعبير فهى حرب بين الساحل والداخل انظر الخارطة الملحقة بالرسالة .

(٤) كشف الغمة ، ٢٣٤ ب . انظر عمان تاريخ يتكلم ١٣٧ .

(٥) العوتبى ، ١٦٢ ب . السالمى ، ١/٢٣٢ .

(٦) العوتبى ، ١٦٣ أ . السالمى ، ١/٢٣٢ . ولعله يقصد رجالا .

(٧) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ٢٢ . ورد اسمه فى التحفة بعبد الله ابن سعيد الفجى ، وقال أطيفش فى الهامش لعله الفحمى ، والصحيح ما ورد فى أصل مخطوطة العوتبى حيث نسبه إلى الفحح وهى قبيلة معروفة بعمان انظر تحفة الأعيان ٢/٢٣٢ ، العوتبى ١٦٢ ب .

والحوارى بن عبد الله الحدانى والحوارى بن محمد الداهى ، فالتقى الفريقان بمنطقة تسمى الروضة الواقعة إلى الغرب من تنوف بين نزوى والجبل الأخضر ، ومعنى ذلك أن قوات شاذان بن الصلت عبرت الجبل الأخضر إلى الجهة الغربية منه حيث يذكر العوبتى أنهم (أخذوا طريق الجبل يريدون عزل راشد بن النظر[٢] . والتقى الفريقان سا. إذ استطاعت قوات راشد بن النظر التى كانت متأهبة لقتال الفهم بن وارث حلفائه من أحكام الحصار عليهم ، وقد وصف أبو المؤثر هذا الحصار فقال : ودار أصحاب راشد بفهم وأصحابه شرقا وغربا وأعلا وأسفل[١]) وجرت بينهم مناوشات قليلة ثم تحاجزوا حتى الصباح وأراد غيلان بن عمر أحد قواد السرايا التابعة لوالى صحار أن يكون وسيط بين الفهم بن وارث وحلفه وبين قوادراشدبن النظر ، إلا أن الحرب نشبت بعيداً عن موقع المفاوضات فسرت على جميع الجهات ، واستطاع أنصار راشد من انزال هزيمة منكرة بأنصار شاذان بن الصلت والفهم بن وارث[١] . ويشير العوتبى واصفا نتائج هذه المعركة بقوله (فأما اليحمد فأنهم كانوا عارفين بالموضع فتعلقوا رؤوس الجبال[١]) . لأن هذه

---

(١) السالمى ، ٢/١

(٢) انظر العوتبى ، ١٦٢ ب ، وتنوف اليوم من مدن عمان الوسطى ، تقع على بعد مسافة قصيرة إلى الشمال من نزوى ، الدباغ ، جزيرة العرب ٢ / ١٢٦ . السعدى ، رسالة الإسلام العـــدد : ٧ و ٨ ، (بغداد ١٩٧٠) ص ١٩٤ .

(٣) أبو المؤثر ، الأحـــداث والصفات ورقة ٢٢ . السالمى ، التحفة ١ / ٢٣٢ .

(٤) المصدر السابق . العوتبى ، ١٦٣ ا .

(٥) العوتبى ، ١٦٣ ا .

المنطقة كانت موطنا لسكناهم فاستطاعوا الهروب بيسر لمعرفتهم بشعاب الجبال وطرقها[1]. (أما العتيك وبنو مالك بن فهم فصبروا فى المعركة حتى قتل نصر ابن المنهال العتكى[2]) شيخ هذه القبيلة ، فاضطروا للهرب كما هرب اليحمد من قبلهم بعد أن قتل الكثير من وجوه هذه القبائل ، كما أسر من اليحمد الفهم ابن وارث الكلبى وسليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى وغيرهم من وجوه هذه القبائل . وقد سجنوا لمدة سنة أو أكثر ثم أطلق سراحهم بعد تدخل موسى بن موسى وجماعة من وجوه العمانيين[3] .

وقد فتحت هذه المعركة الباب على مصراعيه لأوار حرب أهلية بين اليمانية والمضرية ووقعت الفتنة بين أهل عمان بسبب هذه الوقعة ، وتعصبت القبائل[4]) . وكان لأبى محمد بن الحسن بن دريد الأزدى دور بارز فى إضرام نيران هذه الحرب بتحريضه للقبائل الأزدية بقصائد من الشعر طويلة . وله فى هذه الوقعة قصيدة مطلعها :

نبه نابه وخطب جليل ... بل رزايا لهن عبء ثقيل[5]

---

(١) كان أغلب الأئمة من وادى بنى خروص حيث تسكن قبائل اليحمد فى هذا الوادى والمناطق المجاورة بنزوى ولذلك دخل كبير فى انتخابهم للامامة .

(٢) العوتبى ، ١٦٣ . السالمى ، التحفة ١ / ٢٢٣ .

(٣) العوتبى ، ١٦٣ا .

(٤) المصدر السابق .

(٥) وفيما يلى بعض من أبياتها التى توضح لنا طبيعة موقف الأطراف المتنازعة وفيها يخاطب قومه ويستحثهم لأخذ ثأرهم فقال :

أقليـــل عزيزكم فتقولوا ... أننـــا فى الوغى نفير قليل

أم عبيـــد لراشد ولموسى ... أى هذه الأصناف أنتم فقولوا

يا بنى مالك هقلتم لســـانى ... كيف يمشى العقيد المعقول

=

وقد تركت قصائده أثرا فى تأجيج نار العصبية القبلية ، وقد حرص فى قصيدته القبائل الأزدية على بنى سامة بن لؤى بن غالب[1] ولعله يشير بذلك اشتراك الحوارى بن عبد الله السامى كقائد لقوات الإمامة الأباضية فى هذه الواقعة[2] . وقد عكس ابن دريد فى قصيدته تصور جيله الذى بدأ يفسر الأحداث على أساس عصبيات الدم والثأر بين القبائل وهذه الحقيقة كانت من نتاج واقعة الروضة التى أضعفت إلى حد بعيد الدعوة الأباضية بعمان وزادت العصبيات القبلية بحيث قسمت عمان إلى يمانية ومضرية[3] . كما أنها خلقت جواً من الغضب على تصرفات راشد بن النظر . جعلت موسى بن موسى يميل إلى جانب اليمانية[4] بعد أن تعاظم حلفهم المركون من اليحمد والعتيك وبنى

= وفراهيد الذين على الروضة   من خيلهم دماء تسيل
لبنى سامة لسمو على الخسف   بما نالكم من الذل نيلوا

وله أبيات فى قصيدة أخرى تطابق الأولى فى أعراضها منها :

ليس يوم الروضة جيماً   أن الأيام كراً عطوفا
جرد العزم وشمر ليوم   يترك المار الثقيل خفيفا

العوتبى ، ١٩٣ أ ، ١٩٣ ب .

(١) العوتبى ، ١٩٣ أ ، ١٩٣ ب بنو سامه بن لؤى : من القبائل القريشية التى هاجرت من الحجاز إلى عمان ، وقد عقدوا حلفاً مع القبائل الأزدية ، أنظر اليعقوبى ، التاريخ ، ١/٢٠٥ . ـ ابن حبيب المحبر ص ١٦٨ . ، ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك ، السيرة النبوية ، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٨٣ هـ ، ١ / ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ٢٢ .

(٣) العوتبى ، ١٩٤ ب .

(٤) البسيوى ، ورقة ١٤ . ـ العوتبى ١٩٤ أ . ـ السالمى ، التحفة ١/٢٤٠

مالك بن فهم[١] ، ويذكر أبو قحطان أن راشد بن النظر سار إلى مدينة أزكى يسترضى موسى بن موسى فلم يدرك رضاه فسار مع شاذان ابن الصلت بن مالك إلى منطقة فرق القريبة من نزوى ثائرا على راشد بن النظر مطالباً بعزله عن الإمامة[٢] . ويشير البسيوى أن هناك إجماعا عاماً على خلعه من الإمامة[٣] ويقول الأزكوى : (أن موسى برىء من راشد وفسقه لاضلاله وسار عليه وعزله ..[٤]) واستطاع أنصار شاذان بن الصلت وموسى بن موسى من التغلب على أنصار راشد بن النظر بسهولة كبيرة بعد أن تغلبوا على أقوى أنصاره وهم الحوارى بن عبد الله والوليد بن مخلد ودخلوا نزوى فاستسلمت لهم بدون حرب فأخذوا راشد من دار الإمامة وضربوه وأودعوه السجن[٥] وقد تم خلعه على مايذكر العوتبى فى شهر صفر سنة ٢٧٧ هـ بعد أن قضى فى الإمامة أكثر من ~~أربعين سنة~~[٦] .
أربع سنوات

(١) العوتبى ، ١٩٤ أ . ـ السالمى ، ١ / ٢٣٤ .

(٢) السالمى ، التحفة ٢٤٠/١ نقلا عن أبى قحطان فى سيرته .

(٣) البسيوى ، الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ١٤ .

(٤) كشف الغمة ، ٣٣٣ب .

(٥) السالمى ، ٢٤١/١ .

(٦) العوتبى ، ١٩٣ ب .

إمامة عزان بن تميم الخروصى

٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م - ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م

فبعد انتصار اليمانية وحلفائهم على راشد بن النظر وأسره وقع اختيارهم على عزان بن تميم الخروصى فبويع بالإمامة فى شهر صفر سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م[١] حيث بايعه موسى بن موسى ومجموعة من مشايخ الأباضية[٢] .

وكانت أولى الإجراءات التى اتخذها عزله لولاة الإمام السابق وتبديلهم بولاة موالين لليمانية فعين عزان بن الهزبر واليا على أسطوله البحرى والأزهر ابن محمد بن سليمان واليا على صحار أبرز المدن الساحلية بعمان وعين موسى ابن موسى واليا للقضاء على عمان[٣] واستمر موسى فى عمله هذا سنة كاملة ثم عزله عن القضاء لارتيابه منه ، يقول الأزكوى (فلبث موسى وعزان موسى عن القضاء[٤]) . وفى ذلك إهانة لأبرز علماء الأباضية أنذاك فانتقل إلى مدينة أزكى وحاول أن يجمع أنصاره فيها[٥] . غير أن التجارب الماضية قد كشفت لعزان بن تميم أساليب موسى بن موسى ونواياه السياسية المتقلبة « فعاجله عزان خوفا أن يفعل به مثل ما فعل بمن كان قبله[٦] » . ويبدو أن مجموعة كبيرة من عسكره انحازت إلى جانب موسى بن موسى فى أزكى ،

---

(١) العوتبى ، ١٩٤ أ . - كشف الغمة ٣٣٣ب . - السالمى، التحفة ١/٢٤٣ .

(٢) كشف الغمة ٣٣٣ب .

(٣) السالمى ، التحفة ١/٢٤٤ .

(٤) كشف الغمة ٣٣٣ ب .

(٥) السالمى ، التحفة /٢٤٦ . نقلا عن أبى قحطان فى سيرته .

(٦) السالمى ، التحفة ١/٢٤٦ ، ٢٤٧ نقلا عن أبى قحطان فى سيرته .

فاضطر عزان بن تميم أن يجهز جيشاً من أخلاط الناس فيهم اللصوص الذين أطلقهم من السجون ليستعين بهم فى حربه لموسى بن موسى ، وأجرى لهم النفقات وعاقب أولئك الذين تخلفوا بمدينة نزوى ولم يرتأوا الاشتراك فى الحرب واستطاع هذا الجيش إنزال هزيمة منكرة بموسى بن موسى وقتله فى محلة الجنور عند مسجد الحجر فى أزكى[١] (ووضعوا على أهل أزكى يقتلون ويأسرون ويسلبون وينهبون وأضرموا فيها النير ان لحرقوا أناس وهم أحياء[٢] وكان من نتائج هذه الوقعة توسع شقة الخلاف بين النزارية واليمانية[٣]) . (فاشتدت الفتن وعظمت ... وجعل كل فريق يطلب إساءة صاحبه بما قدر[٤]) ويشير العوتبى ، واصفا الظروف التى تلت قتل موسى بن موسى بقوله :

(فاستوحش الناس لذلك وخاصة النزارية ومن كان مواليا لهم من اليمانية[٥]) ولذلك خرج الفضل بن الحوارى السامى إلى منطقة السر[٦] وخروج مردان بن زياد السامى إلى هذه المنطقة أيضاً يحرضون القبائل لكى تساندهم فى حرب عزان بن تميم وقد استجابت لهم بنو سامة وبنى عوف بن عامر واجتمعوا بتوام ثم اتجهوا إلى جبال الحدان حيث تسكن قبيلة الحدان

---

(١) كشف الغمة ، ٣٣٣ ب ، ـ السالمى التحفة ١ / ٢٤٧ .

(٢) كشف الغمة ٣٣٣ ب .

(٣) العوتبى ، ١٩٤ب ـ عمان تاريخ يتكلم ١٣٧ .

(٤) كشف الغمة ، ٣٣٣ ب .

(٥) العوتبى ، ١٩٤ ب .

(٦) ذكر المقدسى بأن هذه المدينة « أصغر من نزوى » والجامع فى السوق شربهم من أنهار وآبار ، وقد التفت بها النخيل » المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ٩٣ .

الأزدية[1] وكان الحوارى بن عبد الله السلوتى الحدانى قد دعا قبيلته اليمانية للوقوف إلى جانب النزارية للخروج على عزان بن تميم الخروصى[2] ولما كان الحوارى بن عبد الله من قواد راشد بن النظر البارزين[3] فبايعه المضرية وبعض اليمانية كإمام لعمان ليضفوا على خروجهم الشرعية التى تكسبهم تأييد العامة[4] ونلاحظ هنا أن مركز الإمامة فقد شرعيته وهيبته أمام رغبات وطموحات رؤساء القبائل وأصبحت ستاراً يخفى وراء الطامعون مآربهم الشخصية والقبلية ويعلق الأزكوى على ذلك ساخراً بقوله (وصار أمر الإمامة معهم لعباً ولهواً وبغياً وهوى لم يقتفوا كتاب الله ولا آثار السلف الصالح من آبائهم وأجدادهم ، حتى أنهم عقدوا فى عام واحد ستة عشر بيعة لم يفيئوا بواحدة (٥)

وقعة القاع ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م

بعد تجمع قوى التحالف القبلى التى تكونت من المضرية والحدان وبنى الحارث من أهل الباطنة[6] ، توجهت قوى هذا التحالف برئاسة الحوارى ابن عبد الله الحدانى الذى انتخبوه إماماً لهم إلى ولاية صحار ثانى أكبر ولاية

(١) انظر ابن الكلبى ، جمهرة النسب ، ص ٢١٦ . فيما يتعلق بنسب هذه القبيلة .

(٢) العوتبى ، ١٩٤ ب . — كشف الغمة ٣٣٤ ا . — السالمى ، التحفة ٢١٥/١ — ٢١٦ .

(٣) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ورقة ١٤ .

(٤) العوتبى ، ١٩٤ ب .

(٥) كشف الغمة ، ٣٣٤ ب .

(٦) كشف الغمة ، ٣٣٤ م

بعمان بعد مدينة نزوى ودخلوا صحار فى الثالث والعشرين من شوال سنة ٢٧٨هـ ٨٩١ م واستولوا عليها ودعوا إلى إمامة الحوارى بن عبد الله الحدانى على منبرها[1] ، فلما بلغ خبرهم عزان بن تميم أرسل إليهم قوات كبيرة جلها من اليمانية التى اندحرت فى واقعة الروضة[2] ، بالإضافة إلى قبيلة بنى هناة التى كانت تثير المتاعب للإمامة الأباضية[3] ، نراها هنا تدافع عن إمامة عزان ابن تميم وقد ألجأتها العصبية القبلية للوقوف إلى جانب القبائل الأزدية (٤) الموالية لعزان بن تميم وقد تألفت هذه القبائل من اليحمد والعتيك وسائر ولد مالك بن فهم[5] وترأس اليمانية الأهيف بن الحمام الهنائى يعاونه سليمان بن عبد الملك السليمى على بنى سليمة من أولاد مالك بن فهم وشاذان بن الصلت على اليحمد والصلت بن منهال العتكى الهجارى على العتيك والتقى الطرفان (بالخيام من ظهر عوتب بموضع يسمى القاع)[6] وعلى رأس المضرية الحوارى بن عبد الله الحدانى والفضل بن الحوارى (فاقتتلوا قتالا شديداً وحملت اليحمد والعتيك فى الميمنة والقلب وحملت بنو حماة وسائر ولد مالك ابن فهم على الميسرة[7] .

---

(١) العوتبى ، ١٩٤ ب ـ كشف الغمة ، ٣٣٤ ا .

(٢) انظر العوتبى ، ١٩٤ ب

(٣) انظر موقفهم من إمامة غسان بن عبد الله الفجحى .

(٤) فيما يتعلق بنسب القبائل الازدية انظر ابن الكلبى جمهرة النسب ٢٠٢ - ٢١٢ .

(٥) العوتبى ، ١٩٤ ب

(٦) العوتبى ١٩٤ب ـ السالمى التحفة ٢٥٢/١ .

(٧) العوتبى ، ١٩٤ب ـ السالمى ، المصدر السابق .

وكانت نتيجة هذه الواقعة قتل الحوارى بن عبد الله الحدانى والفضل ابن الحوارى[1] .

ويشير العوتبي إلى ذلك فيقول (وانهزمت النزارية هزيمة لم ير أقبح منها وأسر منهم خلق وقتل منهم فى المعركة ستمائة رجل ، وقتل من اليمانية أصحابهم خمسة وثمانون رجلا[2]) مما يدل على أن غالبية قوات الحوارى ابن عبد الله كانت من المضرية [3] ويؤرخ العوتبي لهذه الواقعة فيقول (وهذه وقعة القاع من ظهر عوتب بالخيام وهى من الوقائع المشهورة بعمان والمذكورة وكانت هذه الوقعة يوم الإثنين السادس والعشرين من شوال سنة ثمان وسبعين ومائتين[4]) . وقد تغنى أحمد بن جميل أحد بنى حديد من بنى مالك بن فهم بشعر يفتخر فيه بانتصار القبائل اليمانية[5] وهو يختلف فى أغراضه وتصويره عن شعر الخوارج الأباضيـة ذى المفاهيم القرآنية الذى تغنى فيـه شعراؤهم بأخوة العقد ، والشوق إلى الجنة والفداء فى سبيل الله[6] ، ولما كان الشعر يعكس أفكار الشاعر وعقائده وتصوراتها فى الحياة الاجتماعية فإننا يمكن القول أن روح الثأر بين القبائل الحميرية والمضرية طغت على شعر هذه الفترة ويتضح هذا بصورة كبيرة فى شعر ابن دريد الأزدى فى واقعة الروضة وشعر أحمد بن جميل الهنائى فى واقعة القاع ومن شعره :

---

(١) العوتبي ، ١٩٤ب - السالمى المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) كشف الغمة ٣٣٤ا .

(٤) العوتبي ، ١٩٤ ب - السالمى التحفة ٢٥٢/١ .

(٥) العوتبي ١٩٥ ا .كشف الغمة ٤٣٣ ب - السالمى التحفة ٢٥٤/١

(٦) انظر قصائد عمر بن الحصين الأباضى فى واقعة قديد ورثائه لأبى حمزة وعبد الله بن يحيى (طالب الحق) . - الأصفهانى ، الأغانى ٢٣ : ١٢٧ - ١٢٩

يالك بالقاع من صباح قاع خيام إلى البطاح
لما أتانا بأن عوفا تدعو بجهل إلى النطاح[1]

إلى آخر القصيد ، التى تذكرنا بشعر الفخر والثأر فى فترة ماقبل الإسلام حيث كانت تسود مثل هذه المفاهيم أن الذى نريد تأكيده هو ظهور الصراع القبلى واختفاء مفاهيم الدعوة الأباضية الذى أدى إلى أن تعيش عمان فى فتنة عمياء أدت إلى إراقة الدماء وسهلت مهمة العباسيين فى إعادة إقليم عمان إلى سلطتهم المباشرة .

سقوط الإمامة الأباضية واستيلاء العباسيين على عمان (٢٨٠هـ/٨٩٣م)

بعد الهزيمة النكراء التى حلت بالقبائل المضرية وخاصة بنى سامه بن لؤى بن غالب[2] استطاع بعضهم الهرب والاستنجاد بوالى البحرين محمد بن بور يقول العوتبى « وأفلت محمد بن القاسم فطار على بعير حتى وصل توام[3] ثم لحقه بشير بن المنذر إلى توام فخرجا إلى البحرين إلى محمد بن بور[4] ويبدو

---

(١) العوتبى ، ١٩٥ ا - كشف الغمة ٣٣٤ ب .

(٢) العوتبى ١٩٥ ا ويذكر الاصطخرى رواية مختصر ، يشير فيها إلى وقوع الحرب بين الشراة العمانين ويريد بهم الأباضية وبين بنى سامة بن لؤى وهذه الرواية لا يمكن قبولها لأن كلا الطرفين كما رأينا قاتل تحت ظل إمام أباضى وفى وقعة البقاع المارة قتل إمام المضرية وبعض اليمانية الحوارى بن عبد الله الحدانى. الاصطخرى المسالك والممالك ص ٢٧.

(٣) توام : قال أبو الفداء « وتوام قصبة عمان مما يلى الساحل وهى ديار الازد » ويظهر أنها تقع إلى الشمال من صحار كما يظهر من مجرى الأحداث ومنها انطلق محمد بن القاسم إلى البحرين التى تقع شمال عمان أبو الفداء تقديم البلدان ص ٩٩ .

(٤) العوتبى ١٩٥ ا - السالمى التحفة ٢/٢٥٣ .

أن خالد بن بور كان مضريا أيضاً بقول الأزكوى « فلما قدما عليه شكيا إليه ما أصابهما من الفرقة الحيرية وسألاه الخروج معهما إلى عمان واطمعاه فى أشياء كثيرة فأجابهما إلى ذلك »[1] ولا شك أنهم شرحوا له سوء الأوضاع بعمان وفرقتها وأبديا له مساعدة النزاريه من الداخل مما جعله يقتنع بهذه الفكرة غير أنه لم يجرأ على اتخاذ إجراءات بمفرده حتى يستأذن الخليفة المعتضد ببغداد ولهذا الغرض أشار على محمد بن القاسم وبشير بن المنذر بأن يذهبا إلى بغداد لإقناع الخليفة المعتضد بالله ويطلبا المعونة منه لينصرهم على اليمانية (٢) وفى ذلك يشير الأصطخرى فيقول « فخرج رجل منهم يعرف بمحمد بن القاسم السامى إلى المعتضد فاستنجده » (٣) وأعطاه المعتضد عهدا لابن بور بحكم عمان فأخذ محمد بن بور بجمع القبائل وخاصة النزاريه (٤) « وحصل عنده أيضاً من بنى طى من الشام خلق كثير (٥) وبلغ مجموع ما أعده لهذه الحملة خمسة وعشرين ألفاً فيهم ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس وتوجه بهم إلى عمان عن طريق البحرين (٦) ، وفى ذلك يقول كاتب محمد بن بور شعراً يظهر فيه اعتماد العباسيين على القبائل (العدنانية) النزارية فى حربهم العمانيين (٧) .

---

(١) كشف الغمة ٢٣٤ ب .

(٢) العوتبى ، ١٩٥ ا ـ كشف الغمة ، ١٢٤ بـ عمان تأريخ يتكلم ص ١٣٨ .

(٣) الاصطخرى المسالك والممالك ص ٢٧ .

(٤) العوتبى ، ٩٥ ا كشف الغمة ، ٢٣٥ ا السالمى التحفة ٢٥٨/٢ .

(٥) العوتبى ١٩٥ ا كشف الغمة ٢٣٥ب نقل الأزكوى النص بتصرف .

(٦) العوتبى ، ١٩٥ ب .

(٧) كشف الغمة ، ٢٣٥ ا ـ السالمى التحفة ٢٥٨/١ ، ٢٥٩ اخترنا موضع الاستشهاد من أبيات قالها الشاعر .

أمن مبلغ عنا عمان وأهلها مقالا تنقاه حكيم مجرب
فوارس من أبناء عدنان كلها لملك فتى العباس ترضى وتغضب

أما كيف واجه العمانيون هذه الحملة عند دخولها عمان فهذا مايصفه لنا العوتبي مبيناً الأحوال الداخلية فيقول « واتصل الخبر بأهل عمان من كل جانب ووقع الخلف والعصبية بين أهلها وكانت النزارية ومن كان على رأيهم فى حزب واليمانية فى حزب وتخاذل الناس عن الإمام عزان بن تميم وانتقضت الأمور عليه فخاف أهل صحار وما حولها من الباطنية فخرجوا بأموالهم وذراريهم وعيالاتهم إلى سيراف والبصرة وهرمز وغير ذلك من البلدان»[1] ومن هذا النص يتضح لنا التمزق الشديد لوحدة القبائل العمانية وتخلى الناس عن الإمام عزان بن تميم بعد أن طحنتهم الفتن الأهلية وأضعفت فيهم عقيدتهم الأباضية فسأموا أوضاعهم وقل حماسهم للدفاع عن الإمامة.

كما هجر أهل صحار المركز التجارى والإدارى المهم فى عمان إلى الموانىء التجارية الشبيهة بولايتهم كسيراف[2] والبصرة وهرمز ليمارسوا أعمالهم فيها وفى ذلك إضعاف للاقتصاد العمانى وقدرته على سد متطلبات أهل عمان وفقدان للطاقات البشرية النازحة من عمان إلى هذه المناطق وقد نزح بعضهم

---

(١) العوتبى ، ١٩٥ ب ـ وللأزكوى نص يشابه فى معناه ما أورده العوتبى يقول الأزكوى « ثم اتصل خبره بعمان فاضطربت ووقع بين أهلها الخلف والعصبية وتفرقت آراؤهم وتشتتت قلوبهم فنهم من خرج من عمان بأهله وماله ومنهم من أسلم نفسه من قلة احتياله » كشف الغمة ٢٣٠ .

(٢) سيراف من المدن التجارية الكبرى بينهـا وبين عمان ١٦٠ فرسخا وتبعد سيراف عن البصرة ١٤٠ فرسخا المسعودى ، مروج الذهب ١/ ١٦٨ فترة الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ١/٤٠٨ .

خوفا من انتقام النزاريه والعباسيين عند دخول محمد بن بور إلى عمان يقول العوتبي « وفي تلك السنة خرج سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي بولده وجميع عياله وحرمه ومن خف معه من قومه فركبوا البحر في بعض السفن حتى وصلوا إلى هرمز (١) فتحصن بها وأقام هناك[٢]، مع العلم بأن سليمان ابن عبد الملك من أولاد مالك بن فهم من القبائل الأزدية الكبرى التي اشتركت بواقعة القاع الشهيرة المذكورة آنفاً .

ومع سوء الظروف في عمان فان الطريق لم يكن سهلا فقد جابهت الحملة العباسية معارك في جلفار ثم استولت هذه الحملة على توام يوم الاربعاء في السادس من شهر محرم سنة ٢٨٠ هـ بعد حروب جرت في منطقة الرحا بين العمانيين والعباسيين وحلفائهم[٣] ثم توغلت الحملة باتجاه عمان الوسطى حيث تقع العاصمة نزوى مقر الإمامة الاباضية فاستولى محمد بن بور على الشر ونواحيها ثم « قصد نزوى وتخاذلت الناس عن عزان بن تميم فخرج من نزوى إلى سمد الشان »[٤] فدخل نزوى بسهولة بعد انسحاب الإمام الاباضي منها ثم تابعت قواته فلول قوات الإمام عزان بن تميم إلى سمد الشان[٥]،

(١) هرمز : وصفها الاصطخري بأنها « مجمع تجار كرمان وهي فرضة البحر وموضع السوق وبها مسجد جامع ورباط وليس بها كثير مساكن وإنما مساكن التجار في رستاقها . الاصطخري المسالك والممالك ص ٢٨ .

(٢) العوتبي ، ١٦٩ ب - كشف الغمة ، ٣٣٥ ا باختصار الرواية .

(٣) كشف الغمة ٣٣٥ب ، السالمي التحفة ، ٢٥٩/٢ .

(٤) كشف الغمة ٣٣٥ ب السالمي المصدر السابق .

(٥) سمد : كانت مركزا إداريا تابعاً لنزوة وقد وصفها المقدسي بأنها منبر لنزوة ، وتقع سمد على الجانب الأيسر لوادي سمد في الحجري الشرقي وهي واحة تتوفر فيها المياه والمزارع قائمة حتى يومنا هذا ولعل الشان هي إحدى التوابع =

فوقعت فيها معركة شديدة فى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ٢٨٠ هـ قتل فيها عزان بن تميم الخروصى[1] .

وقد ذكر المسعودى خطأ أن الإمام الذى قتله محمد بن بور هو الصلت ابن مالك حيث يقول عن الأباضية « كانوا فى نحو من مائتى ألف وكان إمامهم الصلت بن مالك ببلاد يروى من أرض عمان قد وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيراً من رؤوسهم إلى بغداد فنصبت بالجسر »[2] ويظهر فى نص المسعودى كذلك مبالغة كبيرة فى تقديره لعدد الشراة الأباضية على ضوء الواقع الذى ذكرنا آنفاً لأحوال عمان الداخلية فمن الصعوبة بمكان أن يتغلب جند الحملة العباسية البالغ عددهم خمسة وعشرون ألفاً من المرتزقة على مائتى ألف من الشراة الأباضية ويناقض المسعودى ما ذهب إليه العوتبى المؤرخ العمانى حين يقول « وتخاذل الناس عن الإمام عزان بن تميم وانتقضت الأمور عليه[3] كما أشار الأزكوى إلى تخاذل الناس فى نزوى عن إمامهم عزان بن تميم حين بلغهم توجه محمد بور إليها فاضطر عزان بن تميم « فخرج من نزوى إلى سمد الشان »[4] التى قتل فيها مع عدد كبير من

= اسمد واليها نسبت هذه المعركة انظر المقدسى أحسن التقاسيم، ٩٣ - لوريمر دليل الخليج ، ٦/٣٠٨٦ .

(١) كشف الغمة ، ٣٣٥ ب السالمى التحفة ٢٥٩/١ ، ٢٦٠ .
العقود الفضية فى أصول الأباضية / ٢٥٦ ويذكر الحارثى أن عدد العلماء الأباضية الذين قتلوا فى هذه المعركة كان أربعمائة عالم أباضى .

(٢) المسعودى مروج الذهب ، ١٥٦/٤ وفى النص أعلاه ذكر بلاد يروى والصحيح بلاد نزوى والكلمة مصحفة .

(٣) العوتبى ، ١٩٥ ب .

(٤) كشف الغمة ،٣٣٥ ب - السالمى التحفة ٢ / ٢٥٩ .

أتباعة وبعث برؤوسهم إلى بغداد ثم أن المدافعين الاباضية لم يفت فى عضدهم قتل إمامهم عزان بن تميم الذى، أثار فيهم روح الدفاع والاستماتة وكتب الأهيف بن بن حام الهنائى الذى كان قائداً لعزان بن تميم إلى «مشايخ عمان وقبائلها من كل مكان يدعوهم إلى معاربة محمد بن بور وإخراجه من عمان ويحثهم على ذلك فأجابوه وأقبلوا إليه »[1] .

وقد خرج فى هذا الجيش حتى الشيخ الكبير كثير بن النير الريامى وهو أحد حملة العلم وقد تبعه أهل المنطقة الشرقية من أهل جعلان واستطاع الأهيف بن حام الهنائى من الاستيلاء على نزوى ثانية وطرد محمد بن بور عنها إلى المنطقة الساحلية من عمان حتى أوصلوه إلى دما على ساحل بحر عمان وجرت بينهما معركة شديدة استطاع فيها الأباضية أن يلحقوا الهزيمة بالعباسيين وحلفائهم[2] لولا النجدات التى وصلت لمحمد بن بور وهو فى ساحة المعركة وكان الأعياء والتعب قد أخذ من الفريقين مأخذه « إذ طلع عليهم ركب من أهل قدمه وغيرهم من المضرية على كل جمل رجلان من قبل أبى عبيدة بن محمد السامى مدركا لمحمد بن بور »[4] وقد قلبت هذه الهجمات ميزان الحرب لصالح العباسيين وحلفائهم من المضرية فما أن وصلوا « قريباً من العسكرين نزلوا من رواحلهم وأخذوا أسلحتهم وحملوا مع ابن بور على الأهيف ووقعت الهزيمة على أهل عمان»[5] وبانتصار العباسيين فى

---

(١) كشف الغمة ، ٣٢٥ ب .

(٢) السالمى التحفة ١ / ٢٦٠ .

(٣) العوتبى ، ١٩٥ ا .

(٤) كشف الغمة ، ورقة ٣٣٦ ا .

(٥) المصدر السابق .

هذه المعركة عادت نزوى من جديد لسيطرة محمد بن بور واستطاع أن يستولى على سائر إقليم عمان وتذكر المصادر الأباضية أن ابن بور قام بأعمال تخريبية إنتقاماً من الأباضية فقـــد قام بحرق الكتب الأباضية كما قام بدفن بعض الأنهـار قاصدا تخريب الأراضى الزراعية[١] والتأثير على اقتصاد عمان وبهذه المعركة انتهت سيطرة الأباضية على عمان بعد أن دامت مائة وثلاثة سنين .

وبعد أن تم القضاء على الإمامة الأباضية عين محمد بن بور ولاة على سائر عمان ورجع إلى البحرين وعين على ولاية عمان أحمد بن هلال الذى اتخذ من بهلاة[٢] مقراً له بدلا من العاصمة القديمة نزوى الشديدة الموالاة للإمامة الأباضية وتظهر نزعة أهل نزوة الأباضية فى معاملتهم لولاتهم الجدد فقد قتلوا واليهم الجديد بيحره الذى عينه أحمد بن هلال سنة ٢٨٢ هـ أى بعد سنتين من ولايته على نزوى وجعلوا من قبره موضعاً لإلقاء نفايات بيوتهم فى حين كانت عمان الوسطى تحكم عمليا من قبل أئمة أباضية على الرغم من بقائها إسمياً تحت السيطرة العباسية إذ أنه من الصعوبة بمكان أن يدخل

---

(١) العوتبى ورقة ١٧٠ ا ـ كشف الغمة ورقة ٣٣٦ ا ، ٣٣٦ ب

(٢) بهلاة : وصف الجغرافيون بأنها قلعة تقع على رأس جبل ممتنع ، تبعد حوالى ٢٠ ميلا غربى نزوى كما تقع على ١٦٠٠ قدم فوق سطح البحر ويظهر أن لموقعها الممتنع اتخذها الوالى العباسى مقراً له لإدارة عمان بدلا من نزوى .

انظر :ـ

شيخ الربوة نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص ٢١٨ .

أبو الفداء تقويم البلدان ، ص ٢١٨

لوريمر دليل الخليج القسم الجغرافى ، ٢٨٧/١

العاصمة نزوى جيش عباسى ويقيم فيها لمدة طويله بسبب مقاطعه الأهالى لمثل هذا الجيش ولذا فالعلاقه بين نزوى والعباسيين لا تتعدى (جباية) الأموال من أهل المنطقة حتى إذا ما انتهى هذا الوالى من جبايته رجعوا للأحتكام وفق عقائدهم الاباضية وبايعوا لأحدهم بالإمامة ليحكم نزوى وما حولها واستمرت هذه الحال حتى سنة ٣٢٠ هـ إذ بايعوا إماماً جديد هو سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بعد أن دامت السيطرة العباسية بأربعين عاماً تقريباً وقد أوجز الأزكوى الحديث عن الحالة السياسية بعمان « وفيما أظن أن هؤلاء الأئمة من بعد الصلت بن مالك لم تدن لهم جميع عمان ولم يجز سلطانهم فيها وإنما كانوا فى بعض البلدان دون بعض أحد من القبائل دون أحد ولم تتألف كلمة أهل عمان ولا اجتمعوا على إمام من بعد الفتن التى وقعت بينهم »(١) .

الأسباب التى أدت إلى زوال الإمامة الأباضية الثانية سنة ٢٨٠ هـ

لابد لنا أن نحاول التحرى عن الأسباب التى أدت إلى سقوط عمان فى يد العباسيين وسقوط الإمامة الأباضية وانحسار نفوذها إلى بعض أجزاء عمان الداخلية ولا شك فإن :

السبب الأول يعود إلى الضعف والوهن الذى دب فى تنظيم الدعوة الأباضية نتيجة لتطورات طرأت فى الجانب الفكرى والعقائدى فقد كان القادة الجدد أقل علما وحماساً من الجيل الاول الذى قامت على أكتافه الدعوة ثم الإمامة واختفت مجموعة حملة العلم الكفوءة التى خرجت مجموعة من القياديين على الصعيدين التنظيمى الإدارى والسياسى .

---

(١) كشف الغمة ورقة ٣٢٨ أ

السبب الثانى : لعل من أبرز الظواهر التى تحكمت فى سياسة الدولة الأباضية وجود عنصرين أساسيين فى إدارة دفة الحكم هما الإمام الاباضى المنتخب والمرجع الدينى الذى يكون عادة أبرز الفقهاء الاباضية فى عصره فعندما يحصل تعارض بين سلطة الإمام الأباضى وبين الفقيه الدينى يؤدى إلى ظهور اختلاف سياسى فان هذا الاختلاف غالباً ما يؤدى الى انقسام بين الجماعات الأباضية أو ما يعرف بمفهوم البراءة والوقوف مما يؤدى الى تصدع الوحدة العمانية .

السبب الثالث : طبيعة تركيب المجتمع العمانى يتألف المجتمع العمانى من قبائل كبيرة أبرزها القبائل الازدية وهى أكبر القبائل القاطنة بعمان إلى جانب القبائل المضرية مما أدى الى استفحال العصبية القبلية والشقاق فيما بينها فى فترة ضعفت فيها الدعوة الأباضية وخلا الميدان من القادة العقائديين الأكفاء مما أتاح الأعمال لظهور النزاعات القبلية ، واعتماد العمانيين على رؤساء القبائل بدلا من الاعتماد على حكومة الإمامة فى حل مشاكلها الداخلية بل رأينا أخيراً إماماً يؤيده القبائل اليمانية وهو عزان بن تميم وآخر تؤيده القبائل المضرية وهو الحوارى بن عبد الله الحدانى وانقسمت هذه القبائل على نفسها فى حرب أهلية مدمرة اضطر زعماء المضرية خاصة الالتجاء الى الخلافة العباسية لمساندتهم فى حربهم اليمانية ويعد هذا السبب المباشر والرئيسى لسقوط الإمامة الاباضية بعمان سنة ٢٨٠ .

السبب الرابع : شخصية الفقية الاباضى ~~بن~~ موسى بن موسى بن على القلقة . وقصر نظره السياسى أدى إلى انشقاق كبير بين قادة الاباضية تمهد للحرب الأهلية الأخيرة وكان هو نفسه ضحية من آلاف الضحايا التى حصدتها تلك الحرب .

أما السبب الخامس : فيبدو أنه عامل اقتصادى وبشرى فقد سبق دخول الحملة العباسية إلى عمان بقيادة محمد بن بور هجرة عدد غفير من أهلها وخاصة اليمانية منهم إلى المناطق المجاورة فى الخليج العربى كمنطقة هرمز ، كما انتقل التجار بأموالهم وأهليهم إلى المراكز التجارية النشطة ، كسيراف والبصرة مما أدى الى ضعف القوى البشرية المقاتلة إضافة إلى تدهور الجانب الاقتصادى بعمان وأخيراً فان سقوط الإمامة الاباضية جاء أولا وقبل كل شىء بسبب انشقاق الشيعة الاباضية على نفسها مما مهد السبيل لتحرك أعدائها الداخليين بمعونة السلطة العباسية .

الفصل السابع

الأبعاد الساسية لنظرية الأباضية

الأباضية فى الإمامة

دراسة التطورات السياسية للإمامة الأباضية

مقدمة :

بنيت الأسس النظرية للإمامة الاباضية على نماذج عملية تمثلت فى سيرة الخليفة، أبى بكر وعمر بن الخطاب، وسيرة المحكمة الاولى، كأبى بلال مرداس وغيره من شخصياتهم المشهورة[1].

والفرقة التى سنبحث أسس الإمامة الأباضية فيها من ناحية سياسية هى الفرقة الوهبية[2] باعتبارها الفرقة الوحيدة التى خاضت صراعا سياسيا،

---

(١) انظر الشماخى، شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ب، ٢٦ أ.

(٢) لعل فى هذه التسمية تأكيد لاتصال الفرقة الاباضية الوطيد بالمحكمة الاولى وتمثيلها الشرعى لهم تمييزا لها عن الفرق الخارجية الأخرى، وقد سميت بالوهبية نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي الذى قتل فى معركة النهروان عام ٣٨ هـ.

وقد وقع بروكلمان فى خطأ حينما اطلق على هذه الفرقة أسم الوهابية. يقول بروكلمان: «ولكن هذه العقيدة وهابية، ولم يظهر المذهب الوهابى قبل منتصف القرن السادس الهجرى». بروكلمان، كارل تاريخ الأدب العربى، ترجمة د. عبد الحليم النجار، (دار المعارف بمصر، ١٩٧٤) ٢٥٩/١. ويظهر خطأه واضحا فى نسبة الفرقة فاشتقاق الفرقة ولسبتها إلى وهب تصح تسميتها بالوهبية فى حين أن الوهابية تنسب إلى وهاب، كما نسبت الوهابية المعاصرة إلى محمد بن عبد الوهاب هذا من ناحية، ويظهر خطأه فى تحديد تأريخ ظهور هذه الفرقة الأباضية من ناحية أخرى، فلم يتيسر له الاطلاع على مصادر مخطوطة ذكرت الفرقة الوهبية فى القرن الثالث والرابع الهجرى كأبن صغير المالكى الذى عاصر الدولة الرسمية أو سير الائمة الرسمية، يقول البرادى: «وفى كتاب =

وأقامت إمامة أباضية حاكمة بعمان سنة ١٧٧ هـ - ٢٨٠ هـ .

ونظراً لاختلاف الاباضية عن غيرها من الفرق الخارجية ، وإتباعها أساليب سياسية تراعى الظروف المحيطة بالدعوة الأباضية فى مرحلتى الكتمان (الضعف) والظهور (القوة) ، فقد تعدد أنواع الأئمة فى الدعوة وكان لكل مرحلة من المراحل التى مرت بها الدعوة إمامها الخاص ، وفيما يلى أنواع هذه الإمامة .

أولا : إمامـة المدين :

تكلمنا فى فصل سابق عن دور الأئمة الأباضية السياسى فى تبنى الدعوة فى مرحلة الكتمان ، فلابد لنا من معرفة خصائص ومميزات هذه الإمامة وتطورها ، ولما كانت الأباضية كغيرها من الفرق الإسلامية ، فانها نشأت كما ذكرنا ، على أساس سياسى متمثلا بآرائها فى الخلافة الإسلامية وافتراقها مع الخوارج حول موقفهم من المسلمين ، فتبناها عدد من الفقهاء المجتهدين ، كجابر بن زيد وعبد الله بن أباض التميمى وأبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة

= ابن الصغير افترقت الاباضيه وتسمى قوم بالنكار وقوم بالوهبية .. » . ثم يقول معززاً هذا الرأى كقوله : « وقفت فى كتاب الذى ذكرته بجبل نفوسه بخط الشيخ إسماعيل الجيطالى . . أن الوهبية سموا بذلك لاتباعهم عبد الله بن وهب الراسبى وكذلك هو عندنا » البرادى ، الجواهر المنتقات ، ص ١٧٤ . ومما يعزز رأينا بتسميتهم بالوهبية يقول مؤلف مجهول : « الفرقة الأولى الوهبية وهم المنسوبون إلى عبد الله بن وهب الراسبى الازدى وهو أول إمام عقدوه بعد على بن أبى طالب وكذلك الاباضية إمامهم عبد الله بن أباض تيم اللات رهط الاحنف بن قيس وهما فرقة واحدة وهى الفرقة المحققة » . مؤلف مجهول قطعة من كتاب الاديان ، ورقة ٩٨ أ

وقاموا بنشر آرائهم السياسية فى ظروف صعبة ، عرفت بظروف الكتمان والتقية(١) ، ومن سمات هذه الإمامة ظهورها فى فترة الصراع مع الحكام المغتصبين للخلافة من وجهة نظر الأباضية ، وغالباً ماعاش هؤلاء الأئمة فى البصرة مركز الدعوة الأم كعبد الله بن أباض وجابر بن زيد ، وقد عاصرا الدولة الأموية ، وأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة والربيع بن حبيب اللذين عاصرا الدولة العباسية فى جو من الفقه ، كما أن أئمة الدين لم يتولوا الإمارة ، يقول أبو ستة : (وأما أئمة الدين والهدى هذا حسب الظاهر .. نوعا خاصاً من الأئمة وهم المجتهدون ممن لم يتولى الإمارة كعبد الله بن أباض ، وجابر بن

---

(١) الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ، ورقة ١٦ ب ، ١٧ ا . أما فيما يتعلق بالكتمان والتقية فهى دليل نضج سياسى لدى الأباضية فالكتمان لايعنى السكوت وعدم الحركة وإنما هو مرحلة إعداد لاستلام السلطة وكما يعرفه الشماخى بأنه « سلوك طريق الظهور » ـ المصدر السابق .

أما التقية : فهى العيش تحت سلطة غير أباضية كالأموية أو العباسية بشرط وجود الظلم يقول الجيطالى : « ومنهم من ضعف من الجهاد والقتال فأخذ بالرخصة فعاش تحت الظلمة متمسكا بالتقية .. » الجيطالى شرح قواعد الإسلام ورقة ٢٥ ا ونلاحظ هذا الخلاف الشديد بين تطرف الأزارقة الذين كفروا المسلمين عامة ولم يجوزوا لاتباعهم من الخوارج العيش تحت حكم السلطان واعتبروا مثل هذه الدار دار شرك خلافا لمواقف الأباضية المرنة ، لأن الأزارقة لا يجيزوا التقية فى القول والعمل . انظر الدجيلى ، الأزارقة ، ص ٨٢ . ـ د . عرفان عبدالحميد ، دراسات فى الفرق والعقائد الإسلامية (بغداد ، ١٩٦٧) ص ٨٠ . وبهذا يتضح لنا خطأ الأستاذ أحمد أمين الذى يجعل التقية أصلا من أصول الشيعة مميزا بينها وبين الخوارج .

ورأى أن التقية لدى قوى المعارضة الإسلامية سواء لدى الشيعة أو الخوارج تشبه مايسمى اليوم فى العرف السياسى بالعمل السرى حفاظا على الجماعة من السلطان =

زيد ونحوهما رحمة الله عليهما من قابل أئمة الضلال »(١) ، وكان على شيعة الأباضية موالاة الإمام وطاعته والرجوع إليه فى حل مشاكلهم العقائدية والسياسية ، يقول العلوى : « وأئمة الدين الذابون عنه بالأدلة والبراهين ، الكاشفون لشبه الملحدين ، الملزمون المعاندين كعبد الله بن أباض وأبى الشعثاء جابر بن زيد فأهل هذا الصنف كلهم تجب ولا يتهم على أهل مصرهم ومن بلغه خبرهم ، ويسع جهلهم من لم يبلغه خبرهم »(٢) ، ومن هذا النص ، يتضح عمق الروابط الروحية بين شيعة الأباضية وأئمتهم ، والحقيقة أن مفهوم الولاية سهل على هؤلاء الأئمة فى قيادة الدعوة وأضفى طابعاً من الوحدة والتماسك لدى أتباع هذه الفرقة من خلال الطاعة الواجبة على كل فرد ما وجوب ولاية أئمة الدين ، ويشير الشماخى فى رواية لأبى سفيان محبوب بن الرحيل ، عن المعتمر « قال : قلت لأبى عبيدة أنك لأحب إلى من والدى ، قال : كذلك ينبغى لك يامعتمر أن تكون لأنك بذلت لى مالم تبذله لأبيك ، يعنى الولاية(٣) .

وقد تطورت مسئولية أئمة الدين بعد قيام الكيان السياسى للدولة الأباضية

= الجائر وبطشه ولولاها لما بقيت الأباضية حتى اليوم . هذا بالاضافة إلى العوامل الأخرى التى أدت إلى استمرارها : انظر أمين ، أحمد ، ضحى الإسلام ، (بيروت ، لات) الطبعة العاشرة ، ٣/٣٣١ .

(١) أبى ستة ، حاشية الشيخ أبى ستة ، ورقة ٢٦ ب .

(٢) العلوى ، مشارق أدوار العقول ، ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٣) الشماخى السير ، ص ١٠٩ .

المعتمر بن عمارة : من مشايخ الأباضية ومن المقربين لأبى عبيدة مسلم ابن أبى كريمة .

بعمان ، فكان لهم الباع الطويل فى إدارة وتوجيه السياسية العمانية ، وخاصة فيما يتعلق باختيار الإمام وتنصيبه ، ويظهر هذا واضحا فى إمامة موسى بن أبى جابر الأزكوى الذى لعب دوراً كبيراً فى بناء الدولة الأباضيـة بعمان عام ١٧٧ هـ / وقام بتنصيب محمد بن عبد الله بن أبى عفان : (كإمام دفاع) للدولة الجديدة ثم أمر بعزله[١] .

وقد أصبح من التقاليد المتبعة فى الإمامة الأباضية بعمان ، أنه لاتتم أية بيعة لتولى إمامة الظهور مالم يشترك فيها أئمة الدين المجتهدون ، ويتولى بيعة الإمام عادة أبرز هؤلاء الأئمة وقد ظهر من هؤلاء الأئمة فى الفترة موضوعة البحث موسى بن أبى جابر الأزكوى[٢] ، الذى بايع للوارث بن كعب الخروصى ، موسى بن على الذى شهد بيعة غسان بن عبد الله الفححى ، وعبد الملك بن حميد والمهنا بن جيفر[٣] .

وغالباً ماشغل أئمة الدين منصب القضاء فى الإمامة الأباضيـة[٤] ، وهو من أكبر المراكز الإدارية والتشريعية ، ويشير أبو إسحاق أطفيش أن هذا المركز الدينى يشبه مركز شيخ الإسلام لدى أهل السنة .

ومن خلال هذا العرض تتضح لنا خطورة هذا النوع من الإمامة لدى الأباضية وأهميتها فى الحياة السياسية لهذه الفرقة . أن تعبيرنا لهـذه الإمامة

---

(١) الرقيشى مصباح الظلام ، ورقة ٢٥ب . كشف الغمة ورقة ٣٢٩ب

(٢) كشف الغمة ورقة ٣٣٠ ا .

(٣) الرقيشى مصباح الظلام ، ورقة ٢٦ب . ـ السالمى ، تحفة الأعيان ١٣٨/١ .

(٤) السالمى ، التحفة ، ١٥١/١ .

وتسميتها بإمامة الدين عن غيرها من أنواع الإمامة فان ذلك لايعنى أن هناك فصلا بين أئمة الدين والسياسة كالإمام الشارى أو إمام الدفاع ذلك، لأن هذه الفرقة قامت على أساس سياسى تمثل فى نظرتها إلى الإمامة الإسلامية ، والإسلام بطبيعته لا يعرف الفصل بين الدين والسياسة ، فقد امتزج الدين بالسياسة معاً فى مختلف العصور الإسلامية ، فى الفترة موضوعة البحث وما بعدها[1] .

ثانيا : إمامة الدفاع :

تعتبر هذه الإمامة وليدة ظروف تفاجىء الدعوة الأباضية ، فتلجأ إلى اختيار إمام يقود الجماعة فى معاركهم للدفاع عن الأراضى التى بحوزتهم بعد موت الإمام الشارى كبيعة عبد الله بن سعيد الحضرمى إماماً للدفاع[2] بعد موت الإمام الشارى عبد الله بن يحي الكندى (طالب الحق) فى اليمن على يد الأمويين عام ١٣٠ هـ .

وقد يبايع إمام الدفاع فى بداية الحركة كمبايعتهم لمحمد بن عبد الله بن أبى عفان عام ١٧٧ هـ عند تأسيس الإمامة الأباضية الثانية بعمان[3] .

---

(١) حصلت عملية الفصل بين الدين والسياسة لدى المسلمين بصورة عامة بعد تعرض العالم الإسلامى للغزو الأوربى ، فكادت هذه الشبهة إحدى مخلفاته الفكرية فى أذهان المسلمين .

(٢) الدرجينى ، طبقات الأباضية ورقة ١ / ١٠٤ . ـ الشماخى ، السير ، ص ٩٢ . عمان تاريخ يتكلم ، ص ١٢٨ .

(٣) البسيوى ، الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ٢٢ .

انظر البحث الخاص بإمامة محمد بن عبد الله بن أبى عفان فى الفصل الخامس من الرسالة .

وإمامة الدفاع فرض واجب ، قال الشماخى : (والدفاع من الفروض الواجبة إذا عدم الظهور وهو اجتماع الناس على إمام يقدمونه عند مقاتلتهم العدو الذى أدهمهم فان زال القتال زالت إمامته ، ويجب عليه جميع الأحكام التى تقع حال كونه إماماً ، ويجب عليهم طعنه ، كعبد الله بن وهب الراسبى إمام أهل التحكيم .. بايعوه إذ غشيهم العدو .[1] .

ويتضح من النص الذى أورده الشماخى أن إمامة الدفاع تتم باختيار الجماعة ، وهذا الاختيار لايلزم الجماعة لتقديمه للإمامة بعد انقضاء الحرب ، وإنما تزول إمامته بزوال الحرب ، ويقدم لنا البسيوى شاهداً تاريخياً لهذه القاعدة الفقهية فى أمور الحرب فيقول : (فبايعوا لابن أبى عفان حتى تضع الحرب أوزارها من عمان ثم الأمر شورى بين المسلمين[2] .

وبعد أن عرفنا طبيعة هذه الإمامة العسكرية ، فلابد أن يكون اختيار هذا الإمام من الشخصيات المتميزة بالكفاءة العسكرية والقابلية على القيادة والزعامة ومقدرة على التنظيم ، وقد نجح أئمة الدفاع فى مساعيهم باشغال

---

(١) الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ، ورقة ١٦ ب.

(٢) البسيوى ، الحجة على من أبطل السؤال ، ورقة ٢٢ . ـ ومما يؤيد أن هذه الإمامة كانت مرهونة بزوال الحرب قول الفقيه الاباضى موسى بن أبى جابر : « وقد وليا ابن أبى عنان نزوى وقرى الجوف ـ وأحسب أنه قال ـ حتى تضع الحرب أوزارها » كشف الغمة ورقة ٣٢٩ ب . ومما هو جدير بالذكر أن إمام الدفاع « تسمه التقية إذا خذلته الرعية » كشف الغمة ٣٥٠ ب .

الجيوش الأموية والعباسية[١] لمدة طويلة ، فى حين نجح محمد بن عبد الله ابن أبى عفان من هزيمة آل الجلندى أعوان العباسيين ، وإعلان الامامة الاباضية الثانية بعمان[٢] .

ثالثاً : إمامة الشرا :

هو صنف آخر من أصناف الإمامة الأباضية . ورغم أن اصطلاح (الشراة) قد أطلق على الخوارج بصورة عامة[٣] ، إلا أن هذا الاصطلاح كان ذا معنى أكثر عمقا وتميزاً لدى الأباضية الذين وضعوا لإمامة الشرى شروطاً قاسية أخذت طابعاً عقائديا ولعل من أهم خصائصها ، الموت فى ساحة المعركة فلا يجوز للإمام الشارى الهرب أو التخلى عن ميدان المعركة حتى ينتصر أو يقتل فى سبيل الله[٤] ، يقول الشماخى : « والشرا مصدر ممدود استعير لما ينال من الثواب على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله ، ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، أى بيعها ... سموا شراة لأنهم

---

(١) يعتبر أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملوزى من أئمة الدفاع الاباضية استرجع مدينة القيروان بعد أن أخذها محمد بن الأشعث وإلى المنصور على المغرب ثم قتله بن الأشعث بعد عدة معارك .

انظر معمر ، على يحيى ، الأباضية فى موكب التاريخ ، ١/٦١-٦٥ .

(٢) انظر تأسيس الإمامة الأباضية الثانية بعمان ، الفصل الخامس من الرسالة .

(٣) المسعودى ، مروج الذهب ، ٣/١٠٠ . - البغدادى ، الفرق بين الفرق ص ٥٦ .

(٤) وهذه التسمية أخذوها من قوله تعالى : « أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٢٠٧ .

باعوا أنفسهم من الله ... ولذلك رحمهم الله حكموا على الشراة بعدم المقام حتى يموتوا أو يظهر دين (الله) ، ويخمد الكفر والجور حتى ينقصوا من ثلاثة رجال[1]) . وإمام الشراة إذا كان عدد الشراة معه أكثر من أربعين فيجب عليه تطبيق الأحكام الشرعية من جباية الأموال وإقامة الحدود ، كالإمام الشارى أبي بلال مرداس وطالب الحق واتباعه الشراة ، كأبي حمزة الشارى وغيره من قادتهم[2] .

إمامة الظهور :

وهذا النوع من الإمامة تتويج المساعي والجهود للحالات الثلاث السابقة (إمامة الدين والدفاع والشرا) بل هي الهدف الذى يقاتل ويستشهد فى سبيله الأباضية سواء فى ذلك أئمة الدفاع أو إمامة الشرا ، وعند انتصار هؤلاء الأئمة تسمى هذه الحالة بالظهور[3] ويعنى بها قيام حكومة أباضية تحكم وفقاً لتعاليم المذهب الأباضى ، يقول أبو المؤثر : (وإن من دين الله الإمامة وهى حق لله واجب على عباده لإقامة الحدود ، وإنصاف المظلوم والحكم بالعدل بين الناس عامة .. وقال ـ تعالى ـ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا ، فإذا ظهر المسلمون اجتمع فى الأرض فقهاؤهم وأهل الرأى وأهل الفضل منهم ، واجتهدوا لله

---

(١) الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ، ١٦ ب .

(٢) ولعل لمفهوم الشرى أثراً كبيراً فى عدم استعمال أسلوب الكر والفر فى معارك الأباضية .

(٣) أبو المؤثر ، الأحداث والصفات ، ورقة ٢٦ . ـ البسيوى ، الحجة على من أبطل السؤال ورقة ٢٢ ،

فى النصيحة . واختاروا رجلا طاعة لله لا لطاعتهم..[1]) ومن هذا النص تتضح لنا حقيقتين :

الاولى : أن اختيار إمام الظهور مرهون بظهورهم وانتصارهم على العدو يختاره فقهاء الدعوة وأهل الرأى من الأباضية .

الثانية : أن إمامة الظهور واجبة والوجوب يفيد السعى والكفاح لإقامة مثل هذه الإمامة .

ويميز لنا الشماخى إمامة الظهور مستشهداً بأمثلة عملية لمثل هذه الإمامة مبيناً أهدافها فيقول : (الظهور هو الأصل المأمور به وعليه توفى صلى الله عليه وسلم لأن الحدود لاتتم إلا معه من قطع يد سارق أو محارب أو جلد بكر أو رجم المحصن .. وما أشبه أو عند سائر الأحكام من أخذ الصدقة ، وقتال المشركين .. وأخذ الجزية من أهل الكتاب وأخذ أموال المشركين ، وقسمة ذلك كما أمر الله تعالى وغير ذلك من الأحكام كما فعل بعد الرسول ، أبو بكر وعمر وعبد الله بن يحيى الكندى والجلندى بن مسعود والإمام وارث ابن كعب وغسان بن عبد الله وعبد الملك بن حميد والمهنا بن جيفر والصلت ابن مالك ... وأئمة المغرب كأبى الخطاب المعافرى بفتح الميم والإمام عبد الرحمن ومن بعده ذريته[2] وبهذا النص يضرب لنا الشماخى ثلاثة أمثلة لهذه الإمامة وهى إمامة اليمن[3] وإمامة عمان[4] وإمامة المغرب التى نشأت عليها الدولة الرستمية .

---

(١) الأحداث والصفات ، ورقة ٢٦ .

(٢) الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ، ورقة ١٦ ا .

(٣) انظر الفصل الثالث من الرسالة .

(٤) انظر الفصل الرابع والخامس من الرسالة .

وعند مقارنة الأباضية بنظيراتها من الفرق الخارجية التى استمدت تعاليمها من المحكمة الأولى نلاحظ هذه الفرق أقل نضجاً من الأباضية فى معالجتها للأمور السياسية ، فلم يعرف الأزارقة[1] أو النجدات المرونة السياسية واستيعاب المشاكل السياسية الجديدة التى تعرض لها المجتمع الإسلامى ولهذا كتب على هذه الفرق الانقراض ، فى حين كان قادة الأباضية أكثر فهماً وموضوعية لإدراك طبيعة الكيانات السياسية التى تعاملوا معها كالدولة الأموية والعباسية فأتبعوا الأساليب المناسبة بما يعزز استمرار وجودهم[2] وانتشار دعوتهم وأخيراً قيام دولتهم فى المشرق والمغرب ، ونتيجة لهذا الإدراك السياسى كانت هذه الحالات الأربع (الكتمان ، الدفاع ، الشراء والظهور) نموذج للمراحل التى مرت بها الدعوة ، مستعملة فى كل منطقة سلوكا يلائم الاحوال السياسية فيها ، فالبصرة معقل الأباضية ومركز إشعاعهم الفكرى الذى انطلقت منه الدعوة الأباضية إلى اليمن وعمان والمغرب ، لم يفكر قادة الدعوة بالثورة فيها وعاشوا فى الكتمان على الدوام مدركين أن ظروف البصرة لاتساعدهم على النجاح فى إقامة حكومة أباضية[3] لأنها كانت مركز من مراكز الصراع السياسى والفكرى ، فهى مركز لمختلف الشيع ، كالعثمانية والخوارج والشيعة العلوية والعباسية والمعتزلة[4] وغيرها ، إضافة إلى قوة السلطة المركزية فيها ، فقد كانت مع مدينة الكوفة أبرز الولايات العراقية .

---

(١) انظر الدجيلى ، محمد رضا ، الأزارقة .

(٢) انظر الفصل الثانى من الرسالة ، نشأة الدعوة الأباضية فى البصرة .

(٣) انظر الفصل الثانى من هذه الرسالة .

(٤) جار الله ، زهدى ، المعتزلة ، ص ١ .

شروط الثورة ومؤهلات الإمام القائد :

وبعد أن تعرفنا على إمامة الظهور لابد لنا أن نلقى الضوء على الشروط التى يجب توفرها من حيث الظروف العامة للخروج والمؤهلات التى يجب أن تتوفر فى شخص الإمام بالذات .

أما فيما يتعلق بالشروط التى توجب إعلان الإمامة الأباضية وقيامها ، فيقول الإمام الاباضى أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمى : (والذى يوجب الإمامة ثلاث خصال أحدها قوة أهل الدعوة ، وذلك أن يغلب على ظنهم أن يغلبون أهل الباطل[1] .

والثانية : (أن يكون أهل الدعوة أربعين رجلا أحراراً بالغين أصحاء فليس منهم أعمى فصاعدا[2]) . وهذا عدد الذين خرجوا مع أبى بلال مرداس مما يدل على أنهم يقتدون بسيرته[3] .

الثالث : (أن يكون فيهم ستة رجال فصاعد أهل علم ، بأصول الدين والفقه من ذوى ورع وصلاح فى الدين ، فاذا اجتمع لأهل الدعوة هذا الوصف وجب أن يعقدوا الإمامة لأفضلهم فى الدين والعلم والورع[4]) . وهذه الخصلة التى ذكرها أبو إسحاق إنما تعبر عن واقع عاشته الدعوة

---

(١) أبو إسحاق ، مختصر الخصال ، ورقة ٧٠ ا – ٧٠ ب .

(٢) مختصر الخصال ، ورقة ٧٠ ب .

(٣) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٢١ ب . – ياقوت ، معجم البلدان ، (طهران ، ١٩٦٥) ١ / ٦١ ، وفى واقعة آسك قال الشاعر الخارجى :

أألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلهم بآسك أربعونا

(٤) مختصر الخصال ، ورقة ٧٠ ب .

الاباضية فعلا فى حروبها فكان للواقع السياسى أثره فى التشريع الاباضى ولا نغالى إذا قلنا أن الفقه الأباضى عملى ويمثل إنعكاساً للظروف التى مرت بها الدعوة فقد لاحظنا اشتراك علماء الأباضية فى معارك اليمن والحجاز كما لاحظنا دور (حملة العلم) العمانيين فى تأسيس الإمامة الأباضية الاولى والثانية بعمان ولا شك أن هذه الخصلة من ألمع الأفكار من الناحية الشرعية لتضمن الجانب الشرعى فى هذه الحروب ولتجنب الدعوة الانشقاق ، وقد لاحظنا ثناء المؤرخين على الإمام الأباضى عبدالله بن يحيى الكندى فى اليمن وحسن سيرته[1] نتيجة للتطبيق العملى والنظرة المعتدلة التى حملها قادة الجيوش الأباضية بفعل وجود مثل هؤلاء العلماء .

وقد أقر الفقهاء الأباضية وجود إمامتين فى آن واحد[2] مجاراة للواقع السياسى الذى عاشته الإمامتان الأباضيتان المتعاصرتان ، الإمامة الرستمية فى تاهرت ١٦٠ هـ - ٢٩٦هـ / ٧٧٦ - ٩٠٨ م فى المغرب والإمامة الاباضية بعمان ١٧٧ هـ - ٢٨٠ هـ / ٧٩٣ - ٨٩٣ م ، وسنلاحظ هذا فى الشروط التى أشار إليها الامام الأباضى أبو إسحق إبراهيم بن قيس الحضرمى قوله : (ولاتتم الإمامة لأحد إلا بوجود إحدى عشر خصلة .

أحدها : أن يكون رجلا بالغا حراً عاقلا .

الثانى : أن يكون ليس بأعمى ولا أصم .

---

(١) البلاذرى ، انساب ، ٨ / ورقة ١٠ ب . - ابن خياط ، تأريخ خليفة ، ق ٥٨٣/٢ .

(٢) مختصر الخصال ، ورقة ٧٠ب . السالمى ، جوهر النظام فى علمى الأديان والاحكام ، ١٢١/٢ .

الثالث : أن يكون ليس بأخرص(*)

الرابع : فصيحا بالعربية .

الخامس : صحيحا ليس بزمن ، ولا مقطوع اليدين ولا الرجلين ، قلته قياساً .

السادس : أن يكون من أهل العلم والورع فى الدين .

السابع : أن يعقد له من أهل الولاية ستة رجال أحراراً بالغين عاقلين من أفضل المسلمين فى العلم والورع فى الدين ليس فيهم أعمى فصاعدا .

الثامن : أن يكون أهل دعوة المسلمين عليهم عقد الإمامة ، لا يكون فى ذلك شرط .

التاسع : أن لا يعقدوا لأحد قبله من المسلمين إلا أن يكون بينه بحر فان لم يكن بينهما بحر كان داعية الذى قبله وليس بإمام .

العاشر : أن لا يعقدوا له ولغيره فى وقت واحد ولا يدرى أيهما من قبل وليس بينهما بحر فليس الواحد منهما إمامة ، ويرجع الأمر شورى بين المسلمين .

الحادى عشر : أن يكون ممن لم يقم عليه حد من قطع ولا جلد[1]) .

والذى نريد أن نقوله : هو أن هذه الشروط التى أوردها الإمام الأباضى لم تكن أصولا ثابتة ، ففيما يتعلق بالخصلة السابعة نلاحظ التزام أباضية عمان بها بصورة عملية فى الفترة موضوعة البحث ، وخلاف هذه الخصلة قول الإمام الأباضى أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة بالنص على تعيين وتنصيب أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى إماما لأباضية المغرب

(*) هكذا وردت فى النص والصحيح (اخرس) .

(١) مختصر الخصال ، ورقة ٧٠ ب .

يقول تبغورين : « والإمام إن أبا أن يقبل الإمامة إذا رشحها إليه المسلمون قتلوه ونظروا فى غيره وقد أمر عمر رضى الله عنه أصحاب الشورى بذلك ، وأمر به أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة »[1] ويؤكد ماذهب إليه بتغورين قول الشماخى : « ثم استشاروا أبا عبيدة فى شأنهم أن أنسوا فى أنفسهم قوة أيؤمرون عليهم واحد منهم قال : نعم وأشار إلى أبى الخطاب فإن أبى فاقتلوه »[2] .

ولا شك أن قيام أبو عبيدة بالنص على أبى الخطاب يخالف مفهوم الشورى ويبدو أن أبا عبيدة أكد عامل الكفاءة لما توسم فى أبى الخطاب من صفات قيادية فاختاره بنفسه ولم يجد عليه أصحابه اعتراض .

أما فيما يتعلق بالخصلة التاسعة والعاشرة التى يستشف منها الجواز بقيام إمامتين أباضيتين فى وقت واحد فيما لو كان البحر حاجز بينهما . فلاحظ أن هذا الحكم جاء نتيجة للظروف السياسية مسيطرة سياسياً على الحجاز ومصر كما فصلت الموانع البحرية بينهما .

ويمكن القول أن الأباضية هى الفرقة الوحيدة من الفرق الخارجية التى بلغت درجة من الوعى السياسى والمرونة الملائمة مع الأحداث بحيث تمكنت من البقاء والاستمرار حتى يومنا هذا .

---

(١) تبغورين ، عقيدة تبغورين ، ورقة ٢٠ ا .

(٢) الشماخى ، المسير ، ص ١٢٤ .

الانشقاقات والانقسامات فى الاباضية :

ولما ترك الاعتزال أثر سلبياً على الاباضية ، فقد عرضها إلى الإنشقاق كانت مدينة البصرة هى الموطن الذى ترعرعت فيه الأفكار الاباضية والمعتزلية على السواء ، لذا فقد تعرضت الدعوة الأباضية إلى تأثير معتزلى تمثل فى فى المناقشات التى جرت بين أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة وحمزة الكوفى وعطية والحارث وهم من الأباضية فى القول بالقدر[1] ، فترتب على هذه الاختلافات العقائدية البراءة من القائلين بالقدر وعزلهم عن المجتمع الأباضى فى البصرة ، وجمع حاجب وأبو عبيدة الناس فقالا أن حمزة وعطية والحارث أحدثوا علينا فمن آواهم فهو الخائن المتهم[2] ، وقد ترتب على هذه الاختلافات العقائدية بين القائلين بالقدر ورؤساء الدعوة الأباضية إلى ظهور فرق أباضية جديدة لا علاقة لها من الناحية السياسية بالدعوة الأباضية التى نتكلم عنها فى هذا البحث .

ولكن هذا الانشقاق أفقد الدعوة الأباضية الكثير من الأنصار بسبب الموقف المتزمت لقيادتها مع أنها تشترك معها فى الأسس العقائدية ، ولهذا نلاحظ أن المصادر الأباضية المشرقية والمغربية سواء فى ذلك كتب السير أو العقائد والفقه[3] لاتشير إلى وجود فرق أباضية غير الفرقة الوهبية

---

(١) الشماخى ، السير ، ص ١٢٠ . ـ وينقل الشيخ تبغورين بن عيسى المشلوطى فى كتابه المسمى بأصول الدين حديثاً للرسول يذم فيه القدرية فيقول : « قال النبى (ﷺ) : لكل أمة مجوس ومجوس هذه الامة القدرية » . تبغورين ، ورقة ٢ب وهذا إن دل فانما يدل على عداء الأباضية للمعتزلة .

(٢) الشماخى ، السير ، ص ١٢٠ .

(٣) انظر ، أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة . أبو الربيع سليمان ، سيرته . =

بسبب الاختلافات فى مسائل عقائدية كمسألة القدر . أن هذه المصادر تذكرت أو غضت الطرف عن ذكر بعض الشخصيات العلمية المرموقة لأنها تقول بالقدر كهشام الدستوائى (ت ١٥٣ هـ) الذى كان من مشاهير علماء الحديث فى عصره[١] . وقد قام بدعوة الأعراب الذين يقطنون فى منطقة الجناب[٢] إلى الأباضيه فأجابوه إلى ذلك[٣] .

ومما هو جدير بالذكر أن كتب الفرق الإسلامية المشرقية منها على الخصوص هى التى أشارت إلى مثل هذه الفرق مما يدل على تواجد هذه الفرق فى مشرق الدولة الإسلامية . كما أنها كادت مرروية لدى مؤلفى هذه الكتب[٤] ومن الفرق الأباضية :

١ — الحارثية : سميت هذه الفرقة بالحارثية نسبة إلى الحارث بن يزيد

= الدرجينى ، طبقات الأباضية . — ابن بركة ، أبى محمد عبد الله بن محمد العمانى الجامع . بتغورين ، عقيدة بتغورين .

(١) الذهبى ، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد ، تذكرة الحفاظ ، (حيدر آباد ، ١٣٣٣ هـ) ١٥٥/١ . والدستوائى هو أبو بكر عبد الله بن سنبر وكان يبيع الثياب المجلوبة من دستواء إحدى كور الأهواز ، الذهبى المصدر السابق ١٥٥/١ . — ابن حجر ، شهاب الدين ابن الفضل أحمد بن على العسقلانى ، تهذيب التهذيب ، (حيدر آباد ، ١٣٢٧) ، ١١ ٤٤ - ٤٥ . — السخاوى ، محمد بن عبد الرحمن ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ ، تح ، فرانز روزنثال ، (بغداد ، ١٩٦٣) ، ص ٢٣٩ .

(٢) الجناب : تقع فى أرض كلب فى السماوة بين العراق والشام. ياقوت ، معجم البلدان ، ٣١٩/٤ .

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٣٢/١ .

(٤) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، ١٠٤/١ . البغدادى ، الفرق بين الفرق ، (بيروت ، ١٩٧٣) ص ٨٣ فما بعد .

الأباضى[١] ومن المحتمل أن الحارث هذا هو الذى طرده أبو عبيدة مسلم مجالس الأباضية فى البصرة قال الشماخى : « وجمع حاجب وأبو عبيدة الناس فقالا أن حمزة وعطية والحارث أحدثوا علينا فمن آواهم فهو الخائن المتهم[٢] وذلك لأنهم « أخذا بقول أهل القدر فبرىء منهم أبو عبيدة وحاجب[٣] ».

وكما ذكرنا أن المعتزلة هى الفرقة التى تركت أثراً عقائدياً لدى الأباضية بسبب استخدامها العقل فى مناقشة العقائد الإسلامية حيث اتخذت طابعاً كلاميا عقليا وخاصة فيما يتعلق بمسألة القدر[٤] يقول الأشعرى : « قالوا .

---

(١) البغدادى ، المصدر السابق ، ص ٨٤ . الاسفرايينى ، أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد ، التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، (نشر مكتبة الخانجى بمصر ، ١٩٥٥) ص ٥٧ . الشهرستانى ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل . (نشر مكتبة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد ، لات) بهامش كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، أبى محمد على الظاهرى ، ١ ط ١٨٣ . وذكر الأشعرى أنهم « أصحاب الحرث الاباضى » ، ولم يذكر اسما لنسبه ١ / ١٠٤ ، وذكر الاسفرايينى أن اسم أبيه مزيد بدلا من يزيد ، ص ٥٧ . وذكر مؤلف مجهول نسبتهم إلى « أبى الحارث الأباضى » الفرق الاسلامية ورقة ٢٧ .

(٢) الشماخى ، السير ص ١٢٠ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) يقول الأستاذ زهدى جاد الله « يلقب المعتزلة أيضاً بالقدرية ، ويقول البغدادى أن أهل السنة سموهم قدرية لأنهم يذهبون إلى أن الناس هم الذين يقدرون أعمالهم ، وأن الله تعالى ليس له فيها صنع ولا تقدير ... أن القدرية فرقة سبقت المعتزلة وكان شأنها الأوائل معبد الجهنى وغيلان الدمشقى ، ولما ظهر المعتزلة أخذوا عن القدرية قولها فى نفى القدر فعلق بهم لذلك إسمها ... » .

جاد الله ، زهدى ، المعتزلة ، (بيروت ، ١٩٧٤) ص ٦ — ٧

فى القدر بقول المعتزلة وخالفوا فيه سائر الأباضية وزعموا أن الاستطاعة قبل الفعل »[١] ، ولذا فقد كفرتهم عامة الأباضية « لأن جمهورهم على قول أهل السنة فى أن تعالى خالق أعمال العباد وفى أن الاستطاعة مع الفعل »[٢]. وقد قاوم علماء الاباضية بعمان الافكار القدرية التى تسربت بواسطة التجار إلى مدينة صحار أبرز المراكز التجارية فى الخليج العربى ولما كانت هذه المدينة وثيقة الصلة بمدينة البصرة من الناحية التجارية[٣] فمن المحتمل أن الأفكار القدرية انتقلت إليها من مدينة البصرة موطن المعتزلة الأول[٤] .

وفى مطلع القرن الثالث الهجرى أبان إمامة عبد الملك بن حميد ٢٠٧ هـ ٨٢٢ م — ٢٢٦ هـ ٨٤٠ م حذر هاشم بن غيلان الإمام الأباضى عبد الملك ابن حميد من استفحال الأفكار القدرية وطالب بمطاردتهم وإخراجهم من عمان ومما كتب إليه : « أنه بلغنا أن قوما من القدرية ، والمرجئة بصحار ، قد أظهروا دينهم ، ودعوا الناس إليه ، وقد كثر المستجيبون لهم ، ثم قد صاروا بنزوا وغيرها من عمان ، وقد يحق عليك أن تنكر ذلك عليهم ، فإنا نخاف أن يعلو أمرهم فى سلطان المسلمين ، فأمر يزيد أو أكتب إليه أن

---

(١) الأشعرى ، مقالات الإسلاميين ، ١/١٠٤ . مؤلف مجهول ، الفرق الإسلامية ورقة ٣٧ . الشهرستانى ، الملل والنحل ١ /١٨٣ .
الاسفراييني ، التمييز فى الدين ، ص ٥٧ .

(٢) البغدادى ، الفرق بين الشرق ، (القاهرة ، لات) ص ١٠٥

(٣) انظر عن أهمية صحار ، الأصطخرى ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، تح محمد جابر عبد العال ، (القاهرة ، ١٩٦١) ، ص ٢٧ .

(٤) جاد الله ، زهدى ، المعتزلة ، ص ١

لا يترك أهل البدع على إظهار دعوتهم ، حتى يطفىء الضلال والبدع ، وأكتب إليه أن لا يترك أهل البدع على إظهار دعوتهم ، حتى يطفىء الضلال والبدع ، وأكتب إليه رحمك الله ، أن يظهر الافكار عليهم ، ويرسل إلى كل من بلغه شيء من ذلك ، فيعرض عليهم الإسلام ، ويصف لهم الدين ، وإثبات القدر وتكفير أهل الاصرار : فان قبلوا ذلك وإلا فأحبس « وعاقب ، ومن بلغه عنه تماد فى ذلك حبسه وعاقبه ، وأطال حبسه . . »[1] ويتضح من هذا النص الموقف العقائدى لفرقة الأباضية بعمان وقولها بالقدر[2] ، وهذا الحكم فى الحقيقة قال به الفقيه الأباضى أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة فى البصرة حينما طرد حمزة الكوفى ، تقول الشماخى : (فقال - حمزة - يا عجبا لأبى عبيدة قد أمر بهجرانى وهؤلاء الفتيان يقولون أراد وشاء وأحب . ورضى عنهم وهو يدينهم ولا يقول بمثل قولهم فقال : أبو عبيدة هؤلاء أرادوا إثبات القدر فغلوا فيه وحمزة يريد إزالته وليس مثبته كمزيله . .[3] » وبهذا يمكننا تعليل الانفصال بين الحارثية من الأباضية والوهبية مع أن الفرقتين تلتقيان فى الأساس السياسى العام الذى تكونت حوله جميع الفرق الأباضية ، فالحارثية تعتقد (أنه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الأولى ، إلا عبد الله بن أباض وبعده حارث بن يزيد الأباضى[4]) ولذلك فالحارثية لا تعتقد بالأئمة الذين أوجب الأباضية الوهبية ولايتهم[5] ويبدو أن الحارثة

---

(١) السالمى ، التحفة ١٣٨/١ ، ١٤٠ .

(٢) المصدر السابق ، ١٤٠/١

(٣) الشماخى ، السير ، ص ٨٥ .

(٤) البغدادى ، الفرق بين الشرق ، ص ١٥٠ .

(٥) العلوى ، أحمد بن أبى بكر سميط ، مشارق أنوار العقول ، (مصر ، ١٣١٤ هـ) ص ٣٥٧ — ٣٥٨ . راجع الولاية والبراءة ، الركن الثالث من الكتاب ص ٣٣٧ - ٣٤٧ .

ابن يزيد كان آخر أئمتهم بموته اختفت هذه الفرقة الاباضية . ويبقى هناك غموضا يتعلق بجانبين مهمين ، الأول يتعلق بموطن هذه الفرقة والثانى بمؤسسها وحياته الخاصة وتاريخ وفاته ؟[1] .

٢ - الفرقة الحفصية :

والفرقة الثانية من الاباضية التى لا يرد لها ذكر فى المصادر الاباضية هى الحفصية .

نسبت هذه الفرقة إلى إمامها حفص بن أبى المقدام[2] ولا تذكر المصادر الإسلامية شيئاً عن حياته والبيئة التى عاش كى نستطيع معرفة المؤثرات العقائدية التى جعلته ينفصل عن الاباضية[3] . ولما كانت المصادر العمانية تولى اهتماما خاصا للاختلافات العقائدية وما يترتب عليها بما يعرف بمسألة البراءة والولاية والوقوف[4] ، فان هذه المصادر لاتذكر من قريب أو

---

(١) انظر الاختصار الشديد فى روايات كتاب الفرق الاسلامية على سبيل المثال، الاشعرى ، مقالات الاسلاميين ، ١/١٠٤ . الشهرستانى ، الملل والنحل ١/١٨٣ مؤلف مجهول ، الفرق الإسلامية ، ورقة ٣٧ .

(٢) الاشعرى ، مقالات الاسلاميين ، ١ / ١٠٣ . الاسفراييني ، التبصير فى الدين ، ص ٥٧ . الحميرى ، الحور العين ، ص ١٧٥ . ذكر مؤلف مجهول أن اسمه ، أبى حفص بن أبى المقدام ، الفرق الاسلامية ورقة ٣٦ .

(٣) انظر ، الأشعرى ، مقالات الاسلاميين ، ١/ ١٠٣ . البغدادى الفرق بين الفرق ص ٨٣ ، الاسفراييني، التبصير فى الدين ص ٥٧ .

(٤) انظر ، أحكام الديوان ، ألفه عشرة من علماء الاباضية ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٧٩١ ب من ورقة ٨٦ ، ٢٠٢ . أبو المؤثر ، الأحداث والصفات . البسيوى ، الحجة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان .

بعيد هذا الإمام الأباضى وعند مراجعة المصادر المغربية نلاحظ أيضاً عدم ذكرها لحفص بن أبى المقدام ، استطيع القول أن هذه الفرقة عاشت فى المشرق الإسلامى لاسيما وقد ورد ذكرها لدى كتاب مشارقة كالأشعرى والبغدادى والأسفرايينى[1] .

ويبدوا أن الافتراق بينهم وبين الفرق الأباضية الوهبية نتيجة لنظرات اجتهادية فى جوانب عقائدية يقول مؤلف مجهول (وهؤلاء زادوا على الاباضية أن بين الإيمان والشرك معرفة الله تعالى فانها خصلة متوسطة بينهما[2]) ، (ثم كفر بمن سواه من رسول أو كتاب أو جنة أونار أو عمل جميع الجنايات فهو كافر برىء من الشرك ومن جهل الله أو أنكره فهو مشرك[3]) ونتيجة لآرائه هذه فقد (برىء منه جل الاباضية إلا من صدقه منهم)[4] ، ولا شك أن هذه الانقسامات العقائدية أفقدت الأباضية الكثير من الأتباع مما أضعفها من ناحية سياسية .

أما آراء الحفصية السياسية فى الخلافة فهى غالبة ، فهم لا يقرون خلافة عثمان ، وابتدعوا تأويل القرآن فى عدائهم للامام على (وزعم أن عليا هو الحيران الذى ذكره القرآن)[5] كما يقولون أن الله تعالى أنزل فيه (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد

---

(١) تبغورين ، عقيدة تبغورين . أبى زكريا ، السيرة وأخبار الأمة .

(٢) مؤلف مجهول ، الفرق الاسلامية ، ورقة ٣٦ .

(٣) الاشعرى ، مقالات الاسلاميين ، ١٠٢/١ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق ، أيضا .

الخصام[١]) على أن هذه الفرقة لا يعرف لها دور سياسي يذكر فى تاريخ الحركات الخارجية .

٢ — الفرقة اليزيدية :

على أن أكثر الفرق الاباضية غلوا هى الفرقة المسماة باليزيدية . فلمسب هذه الفرقة إلى إمامها يزيد بن أنيسة[٢] وهو يلتقى مع الأباضية من ناحية الأفكار النظرية التى تتعلق بالإمامة ، فقد (قال : بتولى المحكمة الأولى . وتبرأ ممن بعدهم الا الاباضية فانه يتولاهم)[٣] . ويظهر أنه تعرف على المبادىء الأباضية فى مدينة البصرة ثم انتقل الى أرض فارس[٤] :

ويبدو أن يزيد بن أنيسة أراد أن يحرف فى العقائد الاباضية ويجعل منها ستاراً لترويج عقائد غالية لا تمت بصلة الى العقائد الأباضية وأخطر هذه العقائد قوله : (أن الله سيبعث رسولا الى العجم منهم وينزل عليه كتابا جملة واحدة ويترك شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وتكون ملة الصابئة المذكورة فى القرآن)[٥] ، . ولذا قال ابن الاثير أن (هؤلاء أكفر الخوارج)[٦].

ويبدو أن اسكنى يزيد بن أنيسة فى جهال حلوان[٧] تأثير على عقائده

---

(١) الاسفراينى ، التبصير فى الدين ، ص٥٧ .

(٢) الاشعرى ، مقالات الاسلاميين ، ١ / ١٠٣ البغدادى الفرق بين الفرق ص ٢٦٣ .

(٣) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ١/٧١٣ .

(٤) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٣ .

(٥) ابن الاثير ، اللباب فى تهذيب الأنساب (القاهرة ، ١٣٥٧ هـ) ٣ / ٣٠٩ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) تقع حلوان على آخر حدود السواد مما يلى الجبال بينها وبين بغداد خمسة =

حيث تنتشر بقايا العقائد الفارسية ، والصابئة ولا سيما أنه قد بشر بمجيء (ملة الصابئة المذكورة فى القرآن)[١] ولو أنه قال أنها ليست (الصابئة الموجودة فى أواقط وحران)[٢] كما أنه خالف النظرية الأباضية المعتدلة فى نظرتهم لتحديد معانى الشرك والكفر ، ويبدو أن لموطنهم (جفال حلوان ونواحيها[٣]) وعدم مخالطتهم الناس وانقطاعهم للتزهد انعكست فى نظرتهم للحدود الشرعية فقال يزيد بن أنيسة (أن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركين وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك)[٤] ، ولا شك أن مثل هذه التعاليم لكونها بعيدة كل البعد عن روح الاباضية عقائدياً وسياسياً ، فاننا بأى حال من الاحوال لا يمكن أن نجعلها ضمن الفرق الأباضية لاعتناقها هذه المبادىء الغالية .

= مراحل . ياقوت، المشترك وصفا والمفترق صقعا، نشرته مكتبة المثنى ومؤسسة الخانجى بمصر ، لات ، ص ١٤٢ .

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ١/ ١٨٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ابن الاثير ، اللباب فى تهذيب ، الانساب ، ٣٠٩/٣ .

(٤) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ١٨٣/١ .

خاتمة البحث

اتضح لنا من خلال دراستنا الوثائق التاريخية التى حصلنا عليها أن الدعوة الأباضية نشأت وترعرت فى مدينة البصرة فى القرن الأول الهجرى وقد قام بتأسيسها مجموعة من التابعين ، وقد برز من هؤلاء الدعاة جابر بن زيد وعبدالله ابن أباض وقاموا بتأسيس النظام السرى فى الدعوة ، أو ما يعرف لدى الأباضية بمرحلة الكتمان ، وقد دلت هذه المرحلة على نضج سياسى ويظهر هذا واضحاً من خلال الأساليب التى اتبعوها فى علاقاتهم التنظيمية فى الدعوة لمذهبهم . ولم تستطع السلطات المتعاقبة فى البصرة أن تضع يدها على هذه المنظمة السرية للدعوة الأباضية للدقة والتحفظ الذى أحاط بها الدعاة أنفسهم .

— وقد ظهر لنا أن هذه الفرقة كانت على خلاف عقائدى وسياسى مع فرق الخوارج المتطرفة كالأزارقة والنجدات ، حيث امتازت هذه الفرقة بمواقفها المعتدلة فلم تكن تكفر المسلمين المخالفين لهم فى المذهب . واتضح لنا أن هذه الميزة هى إحدى مبررات بقاءهم كمذهب إسلامى يمثل استمرار العقائد المحكمة الأولى حتى تاريخنا المعاصر .

كما اتضح لنا أن عبد الله بن أباض لم يكن هو القائد المؤسس للدعوة الأباضية كما تعارف عليه المؤرخون القدامى والمحدثين ، بل كان الفقيه التابعى جابر بن زيد الأزدى ومجموعة من المشايخ هم المؤسسون للدعوة الأباضية بما فى ذلك عبد الله بن أباض .

وقد قامت مدينة البصرة بدور سياسى كبير فى منطقة جنوب وشرق الجزيرة العربية لازال أثره واضحاً فى سياسة هذه المنطقة حتى يومنا هذا .

فقد انطلق من مركز الدعوة فى البصرة الدعاة الأباضية « حملة العلم » إلى عمان واليمن ، وقد اتصفوا بصفات قيادية وسياسية واجتماعية وكفاءة عالية فى كسب الأتباع لمذهبهم الأباضى .

وقد ظهر لنا من خلال هذه الدراسة أن أبا عبيدة مسلم بن أبى كريمة قد وضع الدعوة فى منعطف تاريخى جديد إذ اتخذت الدعوة مساراً جديداً اتسم بالدقة والعمق السياسى والتنظيمى والعلمى : فبدأت فى عهده الدعوة الأباضية تمارس نشاطاتها السياسية بعد حوالى ستين سنة من التخفى والكتمان ، وكان لأساليب أبى عبيدة البارعة فى التنكر أثراً فى نجاح الدعوة وفشل السلطات الأموية والعباسية فى كشف القيادة السياسية الحقيقية للمنظمة السرية الأباضية فى البصرة . وقد ظهرت مهارة أبى عبيدة من خلال اتخاذه مهنة عمل القفاف حيث لقب بالقفاف ، وكان لسرب القفاف أثراً سياسياً بارزاً فى إعداد حملة العلم الذين نجحوا فى تغيير تاريخ جنوب شرقى الجزيرة العربية والمغرب الأوسط حيث قامت الدولة الأباضية بعمان والدولة الرستمية فى تاهرت إضافة إلى قيام الإمامة الأباضية فى اليمن والتى قضى عليها فى وقت مبكر من قبل الأمويين .

وقد ظهر لنا من خلال هذا البحث وخلافا لما كان سائداً لدى الباحثين المستشرقين والعرب أن العلاقة بين الأباضية وعبد الملك بن مروان خاصة والأمويين بصورة عامة لم تكن علاقة ودية كما ذهب إليه الباحثون لأن دراساتهم لم تحط علما بالعقائد الأباضية ، ولعدم اطلاعهم على مصادر أباضية أصيلة .

ولقد تناول البحث مرحلة الكتمان والبناء التى استمرت زهاء نصف قرن حيث بدأت أولى عمليات النشاط السياسى التى تمثلت بظهور الإمامة الأباضية

فى اليمن سنة ١٢٩/ ٧٤٥ م وقد ظهرت لنا الروابط الوثيقة بين أباضية اليمن ومركز الدعوة فى البصرة ، حيث ظهر الدور الفعال الذى لعبه أباضيةالبصرة والموصل فى هذه الثورة ، مما يدل على التنسيق والإعداد المسبق المنظم من قبل قيادة الدعوة الأباضية . وقد امتدت هذه الحركة للسيطرة على الحجاز إلا أن سيطرتهم بدأت بالإنحسار بعد توجه القائد الأموى عبد الملك بن عطية الذى استطاع أن يقضى على خيرة قادتهم . وقد كان اختبارزمان الثورةدليلا على معرفة القادة بالظروف التى تمر بها الدولة الأموية وهى فى طريقها إلى الانحلال والسقوط .

كما تناول البحث انتشار الدعوة الأباضية بعمان ، وقد تجلى دور مركز الدعوة فى البصرة فى نشر العقيدة الأباضية بعمان . وكان لانتماء بعض قادة الدعوة لإقليم عمان دور فى ذلك ، كالإمام جابر بن زيد الأزدى ، والربيع ابن حبيب بن عمرو الفرهودى الأزدى . وقد قامت فى عمان أولى المحاولات الأباضية لإقامة إمامة حاكمة فيها ، وبهذا اتضح لنا أن إقليم عمان كان من أول الأقاليم الإسلامية استعداداً للانفصال عن الخلافة العباسية خلافاً لما هو شائع بين المؤرخين المحدثين من أن الدويلات الطاهرية والسامانية وغيرها كانت أولى الدويلات التى انفصلت عن الخلافة العباسية ، وكان السبب الرئيسى فى انفصال إقليم عمان فى هذا الوقت المبكر سبب عقائدى ، فقد أصبح المركز العقائدى حتى تاريخنا المعاصر .

وبسبب استفحال الدعوة وتمكنها فى هذا الإقليم فقد قامت ثانى محاولة سياسية للدعوة الأباضية فى القرن الثانى الهجرى سنة ١٣٢ هـ ٧٤٩ م بقيادة الجلندى بن مسعود الأزدى ، إلا أن العباسيين استطاعوا القضاء على هذه الإمامة بسبب ضعف الإمكانيات الاقتصادية والبشرية ولقوة المعارضة الداخلية من آل الجلندى الحكام السابقين لعمان الذين عقدوا حلفاً مع الدولة العباسية .

ثم مرت الدعوة الأباضية فى إقليم عمان فى فترة من الكتمان حتى سنة ١٧٧ هـ / ٧٩٣ ، إذ بدأت الدعوة الأباضية بالسيطرة على إقليم عمان وطرد آل الجلندى حلفاء العباسيين وإعلان الإمامة الأباضية الثانية ، وتعتبر هذه الإمامة أول محاولة ناجحة من الناحية السياسية للدعوة الأباضية فى المشرق إذ استمرت لأكثر من قرن من الزمان . وقد تجلى فى هذه الحركة الدور القيادى لطلاب أبى عبيدة مسلم ، من « حملة العلم » الذين درسوا فى البصرة ، واشتهر من هؤلاء الدعاة موسى بن أبى جابر الأزكوى الذى يعد بحق من أبرز الشخصيات التى ساهمت فى إعلان الإمامة الأباضية الثانية .

وقد ظهر من أئمة هذه الفترة عبد الله بن محمد بن أبى عفان ، الذى حكم لأكثر من عامين ، إذ استطاع أن يخمد قوى المعارضة الداخلية المتمثلة من آل الجلندى وبنى هناءة . وكان هذا الإمام قد بعث به التنظيم الأباضى فى البصرة لقيادة الأباضية من الناحية العسكرية .

من أبرز أئمة هذه الفترة الإمام وارث بن كعب الخروصى سنة ١٧٩هـ / ٧٩٣ م ، ويعتبر عصره من أزهى عصور الإمامة الأباضية الثانية من حيث الاستقرار الداخلى ، وفى عهده تعرضت عمان لغزو عباسى قضى عليه من قبل الأباضية بسهولة مما يدل على قوة هذه الإمامة من الناحية العسكرية واستمرت الإمامة المذكورة بالقوة والازدهار فى عهد خلفه غسان بن عبدالله الفجحى سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م ، واستطاع هذا الإمام أن يخمد قوى المعارضة القديمة المتمثلة بآل الجلندى وبنى هناءة . وقد كانت أبرز الإنجازات التى حققتها عمان فى هذه الحقبة قوة أسطولها البحرى الذى استطاع أن يطهر السواحل العمانية من ظاهرة القرصنة التى كانت سائدة آنذاك .

وقد برز من أئمة هذه الفترة المهنى بن جيفر اليحمدى ٢٢٦ هـ / ٨٤٠م ،

وتعتبر إمامته امتداداً لفترة حكم الأئمة السابقين من حيث الاستقرار النسبى كما امتاز عصره بوجود حكومة مركزية قوية ، مع ازدهار اقتصاد عمان الزراعى والتجارى .

وبعد وفاة المهنا بن جيفر تولى الإمامة الأباضية الصلت بن مالك سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥١ . وقد امتازت الفترة الأولى من سنى حكمه بالاستقرار والقوة السياسية ، حيث حصل توسع يضم جزيرة سقطرة إلى عمان ، وفى أواخر سنى حكمه دب الضعف فى كيان الإمامة الأباضية الثانية نتيجة لكبر سنه وضعفه فى إدارة دفة الحكم ، مما أدى إلى ظهور الحرب الأهلية والفتن الداخلية وانشقاق القبائل العمانية على نفسها إلى يمانية ومضرية ، وقد ظهرت هذه الانقسامات القبلية بشكل واضح فى إمامة راشد بن النظر اليحمدى ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م .

وانتقل الثقل السياسى من أئمة الدعوة إلى رؤساء القبائل ، ولم يعد للإمامة القدسية والأثر السياسى بقدر ما كان لشيوخ القبائل الأمر الذى أدى إلى انقسام قادة الدعوة المتأخرين واعتمادهم على رؤساء القبائل فى تحقيق طموحهم السياسى ، وكان لموسى بن موسى بن على إمام الدين الأباضى دوراً فعالا فى نصب إمام وعزل آخر وقد أدت مواقفه السياسية إلى استفحال النزاعات القبلية وخاصة فى إمامة عزان بن تميم ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م الذى تبلور فى عهده الصراع القبلى بين اليمانية والنزارية ، حيث استنجد الأخيرون بالخلافة العباسية للقضاء على اليمانية مما أدى أخيراً إلى سقوط الإمامة الاباضية ورجوعها إلى حضيرة الدولة العباسية سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م .

ملاحق الرسالة

الملحق الأول

قائمة بذكر مؤلفات الأباضية المشارقة من القرن الثامن الهجرى لذكرها أبو القاسم البرادى وهى تظهر لنا التراث الزاخر لهذه الفرقة الأباضية وهذه القائمة عبارة عن رسالة بعث بها أبو القاسم البرادى إلى أحد العلماء الأباضية رداً على سؤاله الذى طلب فيه تسمية الكتب التى ألفها علماء الأباضية فى المشرق جاء فيها :

« الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين ، سلام عليكم يا أخى يشملكم بمن بين أيديكم وبمن حواليكم من الطلبة والإخوان ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان الرسول لم أفهم عنه مرادك من تسمية التواليف فمن ذلك تواليف أصحابنا المشارقة صفة أحداث عثمان بن عفان رأيته ولم أعرف مؤلفه . وكتب فيه أخبار صفين وأخبار أهل النهر وقتلهم أكثر آثاره عن عن عبد الله بن يزيد الفزارى رأيته ولم أعرف مؤلفه . وكتاب عبد الله بن أباض كتب به إلى عبد الملك بن مروان جواب عن كتابه إليه يشتمل على النقض والرد وتبيين الاعتقادات والاحتجاج بآى القرآن . وكتاب سالم بن الحطيئة الهلالى فى العقايد والنقض والاحتجاج . وكتاب شبيب بن عطية تكلم فيه عن الشكاك والمرجية والذى أعرف من آثار قومنا شبيبا صفرى لكن كلامه فى الكتاب كلام موافق كتب به إلى عبد السلام . وكتاب الفرايض لابن عبد الجبار وقفت عليه والمسند وهو حديث الربيع . وكتاب الحجة على الخلق فى معرفة الحق كتاب ضمام رواية أبى صفرة عبد الملك بن صفرة عن الربيع عن ضمام . وكتاب آخر فى الفروع رواية الهيثم بن الهيثم

عن أشياخه عن الربيع . كتاب أبي سفيان يشتمل على الأخبار والفقه والكلام والعقايد وقال الإمام أفلح رضى الله عنه عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة لا سيما كتب أبي سفيان يشتمل على الأخبار وعهده الذى كتب فيه إلى إلى الإمام عبد الله يحيى الكندى . ومدونة أبي غانم التى قيد سماعها عن تلاميذ أبي عبيدة تشتمل على عدة كتب وقفت منها على كتاب الصيام وكتاب الشهادات ، وكتاب الأقضية والأحكام وكتاب النكاح . . وكتاب محمد بن محبوب وقفت على جزء واحد من أجزائه فى جملته سبعون جزء أذكر ذلك عن الشيخ أبي صالح أبي بكر بن قاسم البراسنى . وجامع أبي جعفر جابر محمد ابن جعفر الأزكوى يكون سفرين كبيرين فى الفروع . ومختصر الشيخ أبي الحسن وهو سبوع اللحم أخبرنى بذلك الثقة الحافظ عطا ربيع بن أحمد وجامع الشيخ أبي الحسن المرافق عليه وذكره لى عليه ذكره لى هذا الشيخ أيضا فقال جامع الشيخ أبي الحسن من جملة الكتب الذى وصل بها الشيخ أبو موسى عيسى بن زكريا البراسنى من عمان إلى الجزيرة[1] . وكتاب مدخ العلم وأهله لأبي محمد عبد الله بن محمد بن بركة وهو جامعة سفر كبير ، وكتاب التقييد له أيضا وقفت عليه . وكتاب الدعائم الأصل ذكره لى بعض أصحابنا العمانيين بمكة شرفها الله سنة خمس وسبعين من مآ تنا هذه أن عدة المثبتة عددهم فى هذا الكتاب بعمان ... وقال هل وصل إليكم القصيد الذى يقول فيه : وأبرأ من شيخ الضلال مساويا وحكم أبي موسى وأبره من على ، والله اعلم بصحة ما ذكروا ، وسير الشيخ أبي محمد الحسين على بن محمد البلساوى[2] وقفت على ثلاثة منها ما هو إلى أهل المغرب كلها فى النقض والردود وتسمية

---

(١) يقصد بالجزيرة ، جزيرة جربه .

(٢) والصحيح البسيوى .

أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم . وكتاب التخصيص لأبى بكر الأزكوى . وكتاب الذكار والحجج وهو المعروف بالحضرومى . وكتاب الضيا يذكرون أنه وصل المغرب من النسخة الكبيرة التامة نيف وأربعون جزءاً ورأيت فيه ثلاثة أسفار كل سفر يشتمل على أجزاء فى التوحيد والصلاة والطلاق والحيض والبيوع والأحكام وغير ذلك وهو من أثر تصنيف أهل الدعوة . وكتاب النور مختصر من كتاب الضيا ولله در صاحبه ما أرشف إشارته فى تسميته بالنور عن الضيا وكيف استخرج هذه العبارة من قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا . ولعمرى أن كل واحد منهما لمطابق مسماه لمعناه . وكتاب تفسير الخمسماية آية فى الحلال والحرام لأبى المؤثر الصلت بن الخميس : وكتاب الحل والإصابة لمحمد بن وصاف فى سفرين كبيرين أوفى أربعة صغار . وسيرة الإمام عبد الله بن يحيى وما معهما من خطاب أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى لا أدرى من ألفه . وكتاب أشعار الإمام عبد الله بن يحيى يذكرونه عندكم ويذكرون فى (الدامه) وأما أنا فلم أقف عليه . ويذكرون من تأليف أهل العصر عندكم كتاب يعرف بكشف الغمة فى اختلاف الأمة يقال أنه لم يرد لأهل الدعوة مثله فى فيه وكنت كلفت بعض أصحابنا من مكة على انتساخة فأتى به من قابل فلم يصادف هناك من له اهتبال بشىء فطلب المحتمل أجرته فلم يجدها جره فلاقوة إلا بالله . ويذكرون المقطعات لأبى سعيد العمانى ولم أر منها شيئا . وذكر الشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ سعيد فى كتابه عن الشيخ أبى العباس أحمد ابن بكر قال « كنت اقرأ على الشيخ سعيد وأحضر مجالسه فأول ما وقعت فيه المذاكرة عنده فنظرت فى أثناء ذلك فى هناك من كتب المذهب التى وصلت من المشرق فاذا نحو من الاثة وثلاثين ألف جزء فتخيرت أكثرها فائدة فقرأته حينئذ والله أعلم .

الملحق الثانى

الرسالة التى بعث بها أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، إلى الدعاة الأباضية فى المغرب ، وهى تقيم الدليل على الصلة الوثيقة بين أباضية المغرب وارتباطهم بمركز الدعوة الأم فى مدينة البصرة ، وتظهر هذه الرسالة الدقة فى التنظيم الأباضى ، ومراقبة أبو عبيدة لدعاته دون أن يفطنوا لذلك[1] وفيما يلى نصوص من هذه الرسالة التى بدأت : « بسم الله الرحمن الرحيم :

صلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أتانا كتابكم تذكرون فيه ما من الله به عليكم ، من جمع كلمتكم وأتتلاف أمركم فى كثرة من يحضرتكم من أهل الخلاف لكم ، ولعمرى ما أكثرتهم وإن كثروا بأكثر مما كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم ، فاقتدوا بهم يهون عليكم كثرتهم على أخلافهم . نسأل الله العون والتوفيق فى جميع أموركم وأن يكفنا وأياكم بأسهم ، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين عليهم الدايرة ويشفى صدور قوم مؤمنين ، ويذهب فيض قلوبهم ، فلعمرى لقد سرنى مأنهيتم إليه من أمركم وإن كان ذلك لم يخف عنا ، غير أنا لم نكتنى الذى كتبتم به إلى ، والله يستتم لكم الخير كله بعونه وتوثيقه .

أتانا كتابكم بمسائل ، فنها ما رأيت أن أجيبكم فيها ، ومنها ما رأيت إلا نجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير ، إلا الذى رأيته أصلح لجماعتكم ، وأقوم لشأنكم ، وأرفق لضعيفكم . وأعطف لقويكم وأجمع لأموركم ،

---

(١) وردت هذه الرسالة بمدونة أبى غانم الخرسانى ، تحت عنوان « رسالة فى أحكام الزكاة لأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة » . مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٥٨٢ ب .

وما توفيق إلا بالله وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه[1] ... » .

أما تاريخ هذه الرسالة فيظهر من محتوياتها أنها كتبت بعد سنة ١٣٢ للهجرة ، وفيها إشارة إلى رفض أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة والرد على بعض أسئلة الدعاة المغاربة ، ويحتمل أنه رفض الإجابة على مسألة البراءة والولاية من الحارث بن تلفد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي التي اختلف فيها الدعاه الأباضية بشكل كاد يؤدي إلى انقسامهم[2] ، « فبلغت مسئلتهما أهل المشرق فاختلفوا كما اختلف أهل المغرب فكتب أبو عبيدة وحاجب بالكف عن ذكرهما . . »[3] .

---

(١) مدونة أبي غانم الخرسانى ورقة ١١٢ — ١١٤ .

(٢) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الامة ، ورقة ٧ أ ، ٧ ب .

(٣) الشماخى ، السير ، ص ١٢٥ . وكان الحارث بن تليد وعبد الجبار بن قيس المرادى قد ثارا على السلطة الأموية بناحية طرابلس فى المغرب عام ١٣١ هـ أو فى ١٣٢ هـ على رواية الشماخى ، ص ٢٥ . ينظر :

المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الإسلامى ، (القاهرة ، ١٣٨٨) ٢/ ٣٥٠ .

الملحق الثالث

قائمة بأسماء الدعاة الاباضية «حملة العلم» الذين حملوا الدعوة الاباضية من البصرة إلى عمان

١ — الربيع بن حبيب بن عمر الفرهودى الأزدى (ت ١٧٠ هـ/٧٨٦م)[١].

٢ — موسى بن أبى جابر الأزكوى وهو من بنى سامة بن لؤى بن غالب (ت ١٨١ هـ / ٧٩٧ م)[٢].

٣ — بشير بن المنذر النزوانى العقرى وهو من بنى سامة بن لؤى بن غالب (ت ١٨٧ هـ / ٨٠٢ م)[٣]

٤ — منير بن النير، بن عبد الملك بن وساد بن وهب من مهرة بن حدان من بنى ريام (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م)[٤].

٥ — محمد بن المعلا الكندى الفسحى من الفسح من جبال كنده. (ت فى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى)[٥].

٦ — راشد بن عمرو الحديدى بن النعمان بن حاضر بن حديد الأزدى، (مجهول الوفاة)[٦].

---

(١) العوتبى، انساب العرب، ورقة ١٧٠ب.

(٢) كشف الغمة ورقة ٢٩٢ ب.

(٣) العوتبى، الساب، ورقة ٩٣ أ.

(٤) العوتبى، ورقة ٥٨ أ، مصباح الظلام ورقة ٣١ ب.

(٥) العوتبى، ورقة ٩٣ أ :

(٦) المصدر نفسه.

٧ - هاشم بن غيلان السيجانى من علماء القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى(١) .

٨ - أبو سفيان محبوب بن الرحيل من علماء القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى(٢) .

---

(١) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٣١ ب .

(٢) اطفيش ، الامكان فى ما جاز أن يكون أو كان ، ص ١٠٩ .

الدولة العباسية

الخليج العربي

الدولة العباسية

جلفار

خليج عمان

صحار

السيب

مسقط

رأس الحد

الرستاق

وادي العين

آدم

الحميري

وادي مسلم

المهرة

الربع الخالي

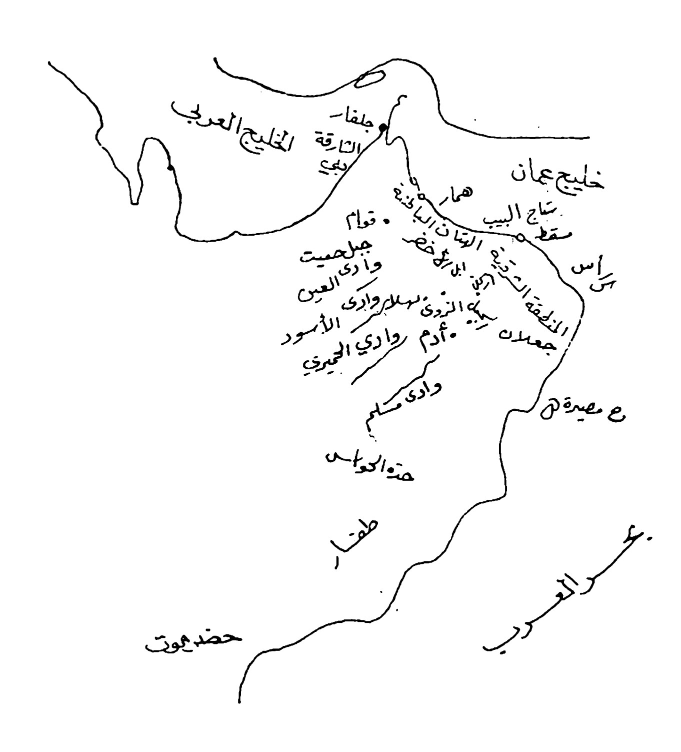
قبائل المهرة

بحر العرب

ظفار

حضرموت

توزيع القبائل العمانية
في الفترة موضوعة البحث



خارطة اقليم عمان توضح موقع بعض المدن
التي وردت في البحث

مصادر البحث

مصادر البحث

(أ) المخطوطات :

ابن أباض ، عبد الله من أئمة الأباضية فى القرن الأول الهجرى .

ــ سيرة عبد الله بن أباض ، مخطوطة بخزانة الإمام غالب بن على ، الدمام بالمملكة العربية السعودية .

ابن أبى كريمة ، أبو عبيدة مسلم ، (توفى فى القرن الثانى الهجرى) .

ــ رسالة فى أحكام الزكاة ، ضمن مجموعة من ورقة ١١٤ - ١١٦ . مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٨٢ب .

ابن بركة ، أبو محمد عبد الله بن محمد العمانى (من علماء القرن الخامس الهجرى) .

ــ كتاب الجامع مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ ب ، ٢١١١١٤ب .

ابن الجوزى ، أبو الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧هـ) .

ــ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، مخطوطة مصورة فى مكتبة الحكيم العامة فى النجف الأشرف تحت رقم ٩٦ .

ابن عطية ، شبيب (من علماء القرن الثانى الهجرى) .

ــ سيرة شبيب بن عطية ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم ٢٢٢٩٨ب .

ابن منقذ ، أسامة بن مرشد بن على (ت٥٨٤هـ) .

ــ المنازل والديار ، مخطوطة مصورة ، نشرها أنس ، خالدوف (موسكو ، ١٩٦١) .

ابن النظر ، أبو بكر أحمد العمانى (من علماء القرن السادس الهجرى) .

— الدعائم ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢١٥٩٠ب .

أبو الربيع ، سليمان بن عبد السلام (من علماء القرن السابع الهجرى) .

— منير أبو الربيع ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩١١٣ح .

أبو زكريا ، يحيى بن أبى بكر ، (ت ٤٧١هـ) .

— السيرة وأخبار الأمة ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٠٣٠ ح .

أبو سنة ، أبو عبد الله محمد بن عمر (من علماء القرن الحادى عشر الهجرى).

— حاشية على شرح قواعد الإسلام مخطوطة التيمورية بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٢٠٦٨ب .

أبو العباس ، أحمد بن محمد بن بكر (من علماء القرن الخامس) .

— تبيين أفعال العباد ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٧٩١ب .

أبو المنذر ، المستأنف .

المستأنف ، مخطوطة بخزانة الإمام غالب بن على بالدمام السعودية .

أبو المؤثر ، الصلت بن خميس (من علماء القرن الثالث الهجرى) .

— الأحداث والصفات ، مخطوطة بخزانة الإمام غالب بن على ضمن كتاب سير وتراجم العلماء بالدمام ، السعودية .

الأزكوى ، سرحان بن سعيد (من علماء القرن الثانى عشر الهجرى) .

— كشف الغمة ، الجامع لأخبار الأمة ، مخطوطة مصورة بالفوتستاتعه

بمكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ، جامعة بغداد ، تحت رقم ٢٠٥٠ .

الأنبارى ، جعفر بن عبد السلام (ت٧٥٣هـ) .

— أبانة المناهج فى نصيحة الخوارج ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩٩ب .

البرادى ، أبو الفضل أبو القاسم (من علماء القرن الثامن الهجرى) .

— رسالة فيها تقييد كتب أصحابنا للشيخ أبو القاسم بن إبراهيم البرادى ، مخطوطة تقع فى ثلاثة أوراق من كتاب أحكام الديوان الذى ألفه عشرة من علماء الأباضية من ورقة (٢٠٥ - ٢٠٧ب) ، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢١٧٩١ ب .

البسيوى ، أبو الحسن على بن محمد العمانى (من علماء القرن الخامس الهجرى) .

— الحجة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان ، مخطوطة بخزانة الإمام غالب بن على ، الدمام بالسعودية .

البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن أبى جابر (ت٢٧٩هـ) .

— أنساب الأشراف ، مخطوطة مصورة بمكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب - جامعة بغداد تحت رقم ١٦٤١ .

البهلوى ، عبد الله بن عمر الشقصى (ت قبل القرن العاشر الهجرى) .

— قصيدة مخمسة فى أمر الخلاف بين الصحابة وفى ذكر الأحداث التى جرت بينهم ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٥٤٩ب .

الجيطالى ، إسماعيل بن موسى (٧٥٠) .

— شرح قواعد الإسلام ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٦٧ب .

الحضرمى ، أبو إسحاق إبراهيم بن قيس من أئمة الأباضية بحضرموت فى القرن الخامس الهجرى .

— مختصر الخصال ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٩١ب .

الخراسانى ، أبو غانم بشر بن غانم ، (من علماء القرن الثالث الهجرى) .

— المدونة الصغرى ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٨٢ب .

الدرجينى ، أبو العباس أحمد (من علماء القرن السابع الهجرى) .

— طبقات الأباضية ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٥٦١ح .

الرقيشى ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الحسين (توفى قبل القرن الحادى عشر الهجرى) .

— مصباح الظلام ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٥٤٩ب .

الشماخى ، أحمد بن سعيد (٩٠٧هـ) .

— شرح مقدمة التوحيد ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٥٧٢ب .

العوتبى ، سلمة بن مسلم الصحارى (من علماء القرن الخامس الهجرى) .

— أنساب العرب ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٦١ تاريخ .

الفرهودى ، الربيع بن حبيب (ت١٧٠هـ) .

— مسند الربيع بن حبيب ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٨٢ب .

الكتبى ، صلاح بن محمد بن شاكر (٧٦٤هـ) .

— عيون التواريخ ، مخطوطة مصورة بمكتبة الإمام الحكيم العامة فى النجف الأشرف تحت رقم ٧٩ .

المشلوطى ، تبغورين بن عيسى (من علماء القرن الخامس الهجرى) .

ـ عقيدة تبغورين مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٢٩٤ب .
المصعبى ، يوسف .
ـ شرح عقيدة تبغورين ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٢٩٥ب .
الموصلى ، ابن حماد محمد بن أبى بكر (ت ٧٥٠هـ) .
ـ روضة الأعيان فى أخبار مشاهير الزمان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، تيمورية تحت رقم ٨٠٩٣ تاريخ .
مؤلف مجهول .
ـ القصيدة الحلوانية ، تاريخ نسخها ١٠٢٨هـ ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٦١ تاريخ .
مؤلف مجهول .
ـ قطعة من كتاب الأديان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم ٢٢٢٩٨ب .
مؤلف مجهول .
ـ الملل والنحل ، وهو غير كتاب الشهرستانى ألف فى القرن السادس الهجرى ، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم ٦٨١٩ .

(ب) المصادر المطبوعة :

ابن الأثير ، أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ) .
ـ الكامل فى التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٧ .
ـ اللباب فى تهذيب الأنساب ، القاهرة ١٣٥٧هـ .
ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت ٧٧٩هـ) .
ـ رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الآثار ، بيروت ١٩٦٠م .

ابن بكار ، الزبير (ت ٢٥٦ هـ) .
– جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق وشرح محمود محمد شاكر ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ .

ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن أمية (ت ٢٤٥ هـ) .
– المحبر ، تصحيح الآنسة الزاشتر ، حيدر آباد ١٩٤٢ .
– مختلف القبائل ومؤتلفها ، نشره المستشرق فرديناند فستلفلد طبع بمدينة غونا سنة ١٨٥٠ .

ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) .
– تهذيب التهذيب ، حيدر آباد ١٣٢٧ هـ .

ابن حزم ، أبو محمد علي ابن أحمد (ت ٤٥٦هـ) .
– جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة دار المعارف ١٩٧١م .
– الفصل والعلل والأهواء والنحل ، بغداد مكتبة المثنى ١٣٢١ هـ .

ابن الحسين ، ابن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠ هـ) .
– غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عبد الفتاح ، القاهرة ١٩٦٨ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ١٨٠٨) .
– العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ١٩٥٧ م .

ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) .
– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٠ م .

ابن خياط ، أبو عمرو ، خليفة (ت ٢٤٠ هـ) .

— تاريخ خليفة ، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ١٩٦٨ م . والطبعة الأخرى تحقيق د . أكرم ضياء العمرى ، النجف الأشرف ١٩٦٧ م

— الطبقات ، تحقيق د . أكرم ضياء العمرى ، بغداد ١٩٦٧ .

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ) .

— الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٩٥٨ م .

ابن رزيق ، حميد بن محمد (من علماء القرن الثالث عشر الهجرى) .

— الفتح المبين فى سيرة سادة البوسعيد ، نشره بادجر باللغة الانجليزية ١٨٧١ م .

ابن سعد ، محمد (ت ٢٣٠ هـ) .

— الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٥٨ م .

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) .

— العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

ابن العراق ، نعمان بن محمد (من علماء القرن العاشر الهجرى) .

— معادن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، اسلام آباد باكستان ، ١٩٧٣ م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الكريم بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) .

— المعارف ، تحقيق ثروة عكاشه ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٠م .

ابن كثير ، أبو الفدا عماد الدين (ت ٧٧٤ هـ) .

— البداية والنهاية ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

الكرمانى ، محمد بن يوسف بن على (ت ٨٨٦ هـ) .

— الفرق الإسلامية ذيل كتاب شرح المواقف للكرمانى ، تحقيق سليم عبد الرسول ، بغداد ١٩٧٣ م .

ابن ماجد ، شهاب الدين أحمد .

— كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد ، تحقيق إبراهيم خورى وعزة حسن ، دمشق ١٩٧١ م .

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) .

— لسان العرب ، بيروت ، ١٩٦٨ م

ابن النديم ، محمد بن اسحاق (ت ٣٨٧ هـ) .

— الفهرست ، بيروت ١٩٦٤ م .

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك ، (توفى فى أواخر العقد الثانى من القرن الثالث الهجرى) .

— السيرة النبوية ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .

أبو الفدا ، عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢ هـ) .

— تقويم البلدان ، تصحيح رينود ، باريس ١٨٤٠ م .

الأزدى ، أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤ هـ) .

— تاريخ الموصل ، تحقيق د . على حبيبة ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

الاسفرايى ، أبو المظفر شاهفور بن طاهر محمد (ت ٤٧١ هـ) .

— التبصير فى الدين وتمييز الفرق الناجية ، تحقيق محمد زاهد ، القاهرة ١٩٥٥ م .

الأشعرى ، أبو الحسن على بن اسماعيل (ت ٣٢٤ هـ) .

— مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تصحيح هـ . ريتر ، استانبول ١٩٣٠ م .

الاصطخرى ، أبو إسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤١ هـ) .
— المسالك والممالك ، تحقيق جابر عبد العال ، القاهرة ١٩٦١ م .
الأصفهانى ، أبو الفرج على بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦ هـ) .
— الأغانى ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، بيروت ، ١٩٦١م .
البرادى ، أبو الفضل ، أبو القاسم بن ابراهيم (من علماء القرن الثامن الهجرى).
— الجواهر المنتقاة فى اتمام ما أخل به كتاب الطبقات قسطنطينية ، الجزائر ، طبعه حجرية ، ١٣٠٥ هـ .
البستى ، أبو حاتم محمد بن حيان ، (ت ٣٥٤ هـ) .
— مشاهير علماء الأمصار ، تصحيح م . فلاشهمر ، القاهرة ١٩٥٩م .
البسوى ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ) .
— المعرفة والتاريخ ، تحقيق د . أكرم ضياء العمرى ، بغداد ١٩٧٥ م .
البسيوى ، أبو الحسن على بن محمد العمانى (من علماء القرن الخامس الهجرى)
— مختصر البسيوى ، زينجبار ، طبعة حجرية ، ١٣٠٤ هـ .
البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على الخطيب (ت ٤٦٣ هـ) .
— تاريخ بغداد ، القاهرة ، ١٩٣١ م .
البغدادى ، عبد القادر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) .
— الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، لا ت .
— الفرق بين الفرق ، بيروت ١٩٧٣ م .
البلاذرى ، أحمد بن يحى بن أبى جابر (ت ٢٧٩ هـ) .
— أنساب الأشراف ، باشراف جوته ، القدس ، ١٩٣٨ م .
— فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) .
— البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .
— الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٩٣٨ م .
الجيطالى ، اسماعيل بن موسى ، (ت ٧٥٠هـ) .
— قناطر الخيرات ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
الحموى ، ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) .
— المشترك وصفا والمفترق صقعا ، الناشر مكتبة المثلى ببغداد لا.ت.
— معجم البلدان ، القاهرة ، لا ت . وطبعة طهران ١٩٦٥ م .
الحميرى ، أبو سعيد نشوان بن سعيد . (ت ٥٧٣ هـ) .
— الحور العين ، تحقيق كمال مصطفى ، طهران ، ١٩٧٢ م .
الخنفى ، أبو محمد عثمان بن عبد الله (ت حوالى ٥٠٠ هـ) .
— الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة ، تحقيق د . بشار قوتلوآى أنقرة ، ١٩٦١ م .
الذهبى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) .
— تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .
الرازى ، أبو حاتم ، أحمد بن حمدان (ت ٣٢٢ هـ) .
— الزينة فى الكلمات الإسلامية ، تحقيق عبد الله سلوم السامرائى ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
الرازى ، أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم ، (٣٢٧ هـ) .
— كتاب الجرح والتعديل ، حيدر آباد ، ١٣٥٧ هـ) .
الزبيدى ، محمد مرتضى ، (ت ١٠٢٥ هـ) .

ـ تاج العروس من شرح القاموس المسمى «تاج العروس من جواهر القاموس» بيروت ، لا ت .

الزبيرى ، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٣٦ هـ) .

ـ نسب قريش ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

السمعانى ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور ، (ت ٥٦٢ هـ) .

ـ الأنساب ، حيدر آباد ، ١٩٦٢ م .

الشماخى ، أحمد بن سعيد بن الشيخ عبد الواحد ، (ت ٩٢٧ هـ) .

ـ كتاب السير ، الجزائر ، قسطنطنة ، طبعة حجرية ، لا ت .

الشماخى ، عامر بن على بن سيفا (من علماء القرن السابع الهجرى) .

ـ الإيضاح (؟ ، لا ت) .

الشهرستانى ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر ، (٥٤٨ هـ) .

ـ الملل والنحل ، تحقيق محمد سعيد جيلانى ، القاهرة ١٩٦١ م . والطبعة الأنجلو مصرية ، لا ت .

شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى طالب ، (ت ٧٢٧ هـ) .

ـ نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، بطرسبور ، ١٨٦٥ م .

الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت ٣١٠ هـ) .

ـ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٦ ، وطبعة القاهرة ١٩٧١ م .

العلوى ، أحمد ابن أبى بكر سميط .

ـ مشارق أنوار العقول ، القاهرة ، ١٣١٤ هـ .

القزوينى ، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢ هـ) .

ـ آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

القفطى ، جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف ، (ت ٦٤٦ هـ) .
— أنباه الرواة على أنباه النحاة .

القلقشندى ، أبو العباس أحمد بن على بن احمد ، (ت ٨٢١ هـ) .
— نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، نشره على الخفقانى بغداد ، ١٩٥٨ م .

المبرد ، محمد بن يزيد الأزدى (ت ٢٥٨ م) .
— الكامل فى اللغة والأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة . القاهرة ، لا ت . وطبعة بيروت ، لا ت .

المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسن بن على (ت ٣٤٦ هـ) .
— التنبيه والإشراف ، بيروت ، ١٩٦٥ م .
— مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ١٩٥٨ م .

المقد ى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعى ، (ت ٣٧٥ هـ) .
— أحسن الت ا اسيم فى معرفه الاقاليم ، ليدن ١٩٠٦ م .

المقدسى ، مطهر بن طاهر ، (ت ٣٢٢ هـ) .
— البدء والت اريخ ، باريس ١٩١٦ م .

المقريزى ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ) .
— التخطيط المقريزية ، بولاق ١٢٩٤ هـ .

الملطى ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، (ت ٣٧٧ هـ) .
— التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، بيروت ١٣٨٨ هـ .

المهرى . سليمان بن أحمد بن سليمان .
— المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر ، تحقيق ابراهيم خورى ، دمشق ، ١٩٧٠ م .

مؤلف مجهول .
— العيون والحدائق فى أخبار الحقائق ، نشرته مكتبة المثنى و بغداد ، لا ت .

الناشىء الأكبر ، عبد الله بن محمد ، (ت ٢٩٣ ﻫ) .
— مسائل الإمامة ، تحقيق يوسف فان أس ، أصدره المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية ، بيروت ، ١٩٧١ م .

اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر ، (ت بعد سنة ٢٩٢ ﻫ) .
— تاريخ اليعقوبى ، النجف ، ١٩٦٤ م .

ﺟ — المصادر الحديثة :

أبو العلا ، د . محمود طه .
— جغرافية شبه جزيرة العرب ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

اسماعيل ، محمود .
— الحركات السرية فى الإسلام ، القاهرة ١٩٧٣ م .

اطفيش ، محمد بن يوسف .
— الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان ، طبعة حجرية ، الجزائر ، ١٣٠٤ ﻫ .
— شرح كتاب النيل وشفاء العليل يقع فى سبعة عشر جزءاً فى الفقه الأباضى ، بيروت ١٩٧٢ م .

البارونى ، أبو الربيع سليمان .
— مختصر تاريخ الأباضية ، تونس ١٩٣٦ م .

البارونى ، عبد الله .
— الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الأباضية ، تونس ، لا ت .

وكلمان ، كارل .

— تاريخ الأدب العربى ، ترجمة د . عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ١٩٧٤ .

البكرى ، صلاح .

— تاريخ حضرموت السياسى ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

الجومرد ، عبد الجبار .

— هارون الرشيد ، القاهرة ١٩٧٣ م .

الحارثى ، سالم بن حمد بن سليمان .

— العقود الفضية فى أصول الأباضية ، دار اليقظة العربية فى سوريا ولبنان ، لات .

الحامد ، صالح .

— تاريخ حضرموت ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

حسن ، ابراهيم حسن .

— تاريخ الإسلام السياسى ، القاهرة ، ١٩٤٥ م ، ١٩٦١ م .

الدباغ ، مصطفى مراد .

— جزيرة العرب ، موطن العرب ومهد الإسلام ، بيروت ١٩٦٣م .

الدجيلى ، محمد رضا حسن .

— فرقة الأزازقة ، الدجف الأشرف ، ١٩٧٣ م .

دكسن ، د . عبد الأمير .

— الخلافة الأموية ٦٥ ﻫ / ٨٦ ﻫ ، ٦٨٤ م / ٧٠٥ م ، دراسة سياسية ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

الراوى ، ثابت اسماعيل .
- تاريخ الدولة العربية ، خلافة الراشدية والأمويين ، بغداد ، ١٩٧٠ م .

الزركلى ، خير الدين .
- الأعلام ، القاهرة مطبعة كوسناموس ١٩٥٤ م .

زلوم ، عبد القادر .
- عمان والامارات السبع ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣ م .

السالمى ، عبد الله بن حميد .
- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، الكويت ، ١٩٧٤ م .
- جوهر النظام فى علم الأديان والأحكام ، القاهر ، لا ت .

السالمى ، محمد عبد الله .
- عمان تاريخ يتكلم ، دمشق ، ١٩٦٣ .

السباعى ، أحمد .
- تاريخ مكة ، مكة ١٣٨٥ ه .

السيابى ، سالم .
- اسعاف الأعيان بسيرة أهل عمان ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

الشايب ، أحمد .
- تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى الهجرى ، القاهرة ١٩٧٠ م .

الشريق ، ابراهيم .
- التاريخ الإسلامى خلال أربعة عشر قرناً ، السعودية ، ١٩٧١ .

ع

عبد الحميد ، د . عرفان .

ــ دراسات فى الفرق والعقائد الإسلامية ، بغداد ، ١٩٦٧ م .

عطية الله ، أحمد .

ــ القاموس الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

عمر ، د . فاروق .

ــ طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت ، ١٩٧٠ .

ــ العباسيون الأوائل ، ج ا بيروت ، ١٩٧٠ م .

علسان ، محمد عبد الله .

ــ تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

قاسم ، د . جمال .

ــ دولة بوسعيد فى عمان وشرق أفريقيا ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

القرشى ، حسن بن أحمد .

ــ بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .

قلماوى ، د . سهير .

ــ أدب الخوارج ، مصر ١٩٤٥ م .

لوريمر ، جون نور دون .

ــ دليل الخليج ، القسم الجغرافى ، ترجمة المكتب لحاكم قطر ، بيروت ، ١٩٦٩ .

متز ، آدم .

ــ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، بيروت ١٩٦٧ م .

معمر ، على يحيى .

ـ الأباضية فى موكب التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ م .

موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الإسلامى ، أصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٣٨٨ هـ .

مؤنس ، د . حسين .

ـ عالم الإسلام ، القاهرة ١٩٧٣ .

د ـ المقالات العربية والإنجليزية :

د . عمر ، فاروق .

ـ بيليوغرافيا فى تأريخ عمان ، مجلة المورد ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٧٤ م .

ـ ملامح من تأريخ حركة الخوارج الأباضية كما تكشفها مخطوطة الأزكوى ، مجلة المؤرخ العربى ،العدد الثانى ، بغداد ١٩٧٥ م ؛

Bathurst, R.D. Maritime trade ond Imamate Government (in Arabain peninonia) londen 1972.

Encyclopedia of Islam, Ibadiyya by Lewicki, new edition.

هـ ـ المراجع الأجنبية :

Vaglieri, L.V I' Imamato ibadita delle Oman, Anali (R.) Institute Orientale di Napoli, 1949, PP. 246 — 282.

Watt, M., Kharijite thought in the Umayyad perior, Der Islam, Band 36, 1961 Berilm. PP. 215 - 32

Welkinson, The Origins of the Omani - State (in Arabian penindula) Londin, 1972.

D.Hopwood, ed., The Arabian peninsula Society and Politics 1972.

Milcs, S.B., The Countries and the tribes of the persian (sic) Gulf, Vol.I, London, 1919.

Omar, F., The Abbasid Caliphate, 132 - 170. Baghdad, 1969.

Rubinacci, R, The Ibadis, Religion in the Moddle East. Edi, A.J Arbery, Gambridge, 1969. Vol.2.

ABSTRACT

Until very recently we Knew few dources on the history of Oman. The imprtant muslim historians, such as Tabari, Yaqubi and Ibn al - Athir, do not give details on the ploitical or social events which Occurd in Oman during the Umayyad or the Abbasid Caliphates.

We were, however, able to discover now material Concerning the history of Oman in various manuscripts from different libraries. We shall endeavour, in this work, to extract from these indigenous, confused and illsorted sources the most noto-worthy events in the history of the Ibadites of Oman to insert them into historical Iacts of greaterinuortance, a thing that modern sholars have have not done yet as for as our period is concerned.

Besides, we shala use sources which are not utilized umtil uow.

The Ibadiypa da' wa started in Basra, thecentre of Kharijite movements in the second half of first century of Hijra. The first pioneers who established this moderate line (Ibadiyya) were Jabir b. Zayd al - Azdi (d. 93 A.A/711AD.) and Abdallah b. Ibar (died in the reign of Abd al - Malik b. Marwan), The sect Ibadiyyah wos named after Ibn Ibad. Those Leaders and thir close onociates worked secretly bud activley to spread the religiaus as weel ad the peliticel doctricnes of their da wa, and were able to succeed in Oman, hadramout and Yemen also, found ogreat sesponse in al - Maghrib. This period witnessed the estabilshment of two short - lived Imamites, the first in Yemen (129-132 A.H.) and the seoind in Oman (132 - 134 A.H.).

However, the du at saccuded in founding the second Ibadite

Imame in 177 A.H/793 A.D which lasted until 281 A.H/894-95 A.D. This new and strong Imamate respresented the reealizat-ion of the iBadite docrine as well as its political programme Most the Imams are described by the Omani sources as virtuous mene acting according to the ideals of Islam. Oman also witnen-ed long periods of stability and economic prosperity .

There was, howerer, internal tribal opporition to the Ibadi-tes. This opposition wad represented by Mahra tribes in the sout-hern Oman, a well ad by Banu al Juhunra and Banu a. The The turning point in the history of the Imamate was in the Year 273 A.H./ 886 A.D. When the tribal opposition was able to overth-row Imam al - salt b. Malik, and the cicli war begen between all Omani tribes.

The Abbasids took the opportunity and helped the orrasition with new troops from Irag The Abbasid intervention, among other factors, helped to Overlhrow the political entity fouded by thl Ibadiyya in 280 A.H./ 893 A.D

Sumning up, the period of al - Kutman in the Ibaryya move-ment shous a great deal of activity and organization while in the period of the deline of the Imamate we notice how triha Ieami-ngs played an out standing role in the politics of the re, gime.
7emyprdb

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
الفصل السابع :	
الأبعاد السياسية لنظرية الإمامة الأباضية	٢٨٩ — ٣١٣
خاتمة البحث	٣١٤ — ٣١٨
ملاحق الرسالة	٣١٩ — ٣٢٦
مصادر البحث	٣٢٩ — ٣٤٧

رقم الايداع ١٩٨١/٤٢٧٧